اللّه والإنسان
في
سفر أيوب

تقديم
الأنبا متاؤس

تأليف
ممدوح شفيق

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
الأسقفية العامة للشباب
مركز القديس تيموثاوس
لدراسة الكتاب المقدس

اللّه والإنسان في سفر أيوب

تفسير وتحليل كامل للسفر

تقديم

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف دير السيدة العذراء «السريان»

تأليف

ممدوح شفيق

اسم الكتاب: الله والإنسان في سفر أيوب
المؤلف: ممدوح شفيق
الناشر: أسقفية الشباب. القاهرة
الطبعة: الأولى
تاريخ الإصدار: ٢٠١٣
تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي: سامح سرور ت ٠١٢٢٤٩٠٢٢٨٩
إعداد الأفلام والطباعة: مطبعة عربية للطباعة والنشر. القاهرة ت : ٣٣٢٥١٠٤٣

© حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عرفان وتقدير
لصاحب النيافة الأنبا متاؤس
أسقف دير السيدة العذراء «السريان»
الذي كان دائماً بالنسبة لي الأب المحب
والمرشد المختبر والقائد الحكيم
ليهبه الرب الصحة والسلامة والعمر المديد

حضرة صاحب القداسة

الأنبا تاوضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقديم

لصاحب النيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء «السريان»

العهد القديم غني بالأسرار والرموز والتاريخ الخصب لتأسيس مفهوم شعب الله وميراثه، وسفر أيوب من الأسفار التي تعكس الكثير من هذه الرموز، والتي تستوقف الكثيرين من راغبي الدراسة لهذا السفر الكبير في أصحاحاته، والعميق في كلماته.

نشكر الله لمجهود الخادم الشماس/ ممدوح شفيق، الذي كتب تفسيراً لهذا السفر النفيس، وهو ثمرة عدة محاضرات قدمها في مركز القديس تيموثاوس لدراسة الكتاب المقدس بأسقفية الشباب، وتجسدت هذه المجهودات لتكشف أمامنا غوامض وأسرار هذا السفر.

وبحق فإنه مجهود لشرح سفر مقدس يستفيد منه كل من يتابع هذا الكتاب، محققاً له فهماً أعمق، ونحن نشكره على جهده وتعبه وتكريس وقته في هذا البحث الغني.

نسأل إلهنا أن يبارك حياة الخادم المهندس/ ممدوح شفيق، وحياة كل المتابعين لهذه الدراسة في هذا الكتاب. بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم الطاهرة مريم، وصلوات القديس أيوب البار صاحب هذا السفر، وبركات ابينا المكرم البابا تاوضروس الثاني.

الرب يبارك كل عمل لمجد وانتشار اسمه القدوس. آمين.

عيد الغطاس المجيد
١٩ يناير ٢٠١٣
١١ طوبه ١٧٢٩

الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان

تمهيد

أدين بالفضل في هذا البحث إلى الأستاذين هاني سليمان وإسحق فوزي، اللذين كلفاني بتقديم هذا السفر البديع إلى اخوتي واخواتي شباب مركز القديس تيموثاوس لدراسة الكتاب المقدس، فاتاحوا لي فرصة ثمينة لدراسته وتقديمه بمعونة الرب في ١٤ ساعة تقريباً موزعة على ٩ لقاءات.

لقد استندنا في هذه الدراسة إلى مراجع أساسية، وكثير من الترجمات والمعاجم التي مكنتنا من سبر أغوار اللغة، والتزمنا بإيراد النص كاملاً مع شرحه والتعليق عليه، كما تحرينا شرح كل كلمة قد يعسر فهمها، حتى يصبح النص مفتوحاً للتدبر والتأمل. وقد راعينا الاختصار في الكتابة انطلاقاً من تقديرنا لايقاع العصر الذي نعيشه.

لقد عشت فترة من أجمل أيام حياتي وأنا اتتلمذ لهذا السفر، خاصة وقد رتبت عناية الله أن تجري هذه الدراسة وسط ظروف صعبة تمر بها بلادنا وكنيستنا، إلى جانب محبة الرب التي غمرتني، فكانت معاناتي الشخصية أرضاً مناسبة، لتسقط فيها ثمار النعمة الإلهية التي يذخرها الروح القدس في كلمات الكتاب المقدس، والذي يخسر كثيراً كل من يتكاسل عن دراستها لسبب أو لآخر.

كيف تقرأ هذا الكتاب:

إقرأ أولاً جزءاً من النص، دون النظر في الشرح، وليكن في متناولك كراستك الشخصية وقلماً تدون به ملاحظاتك وتساؤلاتك وتأملاتك.

إقرأ الجزء الذي اخترته من النص ومعه الشرح الموجود في كتابنا هذا.

عد إلى كراستك لترى هل وصلت إلى أجابات على أسئلتك، وإلا فابحث عنها بنفسك، أو إرسل بتساؤلاتك إلينا على البريد الإلكتروني المدون في نهاية الكتاب.

وتبقى نصيحة أخيرة: قد تشعر بالملل في بداية قراءتك، لكن لا تتعجل، ففي سفر أيوب تتحقق كلمة الرب: «على كل مجد غطاء. أش ٤: ٥» فأصبر قليلاً لتنال الثمرة الحلوة، ونعدك أنك لن تندم على الوقت والجهد الذي ستبذله. الرب يبارك حياتك.

ممدوح شفيق

عيد الميلاد المجيد – يناير ٢٠١٣

المحتويات

صفحة	الأصحاح
٨	أرض عوص
٩	الأول
١٢	الثاني
١٤	الثالث
١٦	الرابع
١٨	الخامس
٢٠	السادس
٢٣	السابع
٢٦	الثامن
٢٨	التاسع
٣٣	العاشر
٣٥	الحادي عشر
٣٧	الثاني عشر
٤٠	الثالث عشر
٤٣	الرابع عشر
٤٥	الخامس عشر
٤٨	السادس عشر
٥٠	السابع عشر
٥١	الثامن عشر
٥٢	التاسع عشر
٥٥	العشرون
٥٧	الحادي والعشرون
٥٩	الثاني والعشرون
٦١	الثالث والعشرون
٦٢	الرابع والعشرون
٦٤	الخامس والعشرون
٦٤	السادس والعشرون
٦٦	السابع والعشرون
٦٨	الثامن والعشرون
٧١	التاسع والعشرون
٧٣	الثلاثون
٧٥	الحادي والثلاثون
٨١	الثاني والثلاثون
٨٢	الثالث والثلاثون
٨٦	الرابع والثلاثون
٩٠	الخامس والثلاثون
٩٢	السادس والثلاثون
٩٧	السابع والثلاثون
٩٩	الثامن والثلاثون
١٠٤	التاسع والثلاثون
١٠٦	الأربعون
١١٠	الحادي والأربعون
١١٢	الثاني والأربعون
١١٧	ملخص سفر أيوب

الغلاف: صورة لوقت الغروب في منطقة واحة سيوه.
مهداة من المهندس/ تامر ممدوح شفيق.

المواجهة بين اللّه والإنسان
في
سفر أيوب
مع شرح تفصيلي للسفر

لكل كمالٍ رأيت حداً أما وصاياك فواسعة جداً – مزمور ١١٩

أرض عوص

تتباين الآراء حول موقعها: ١- أنها جنوب شرق فلسطين حيث أقامت قبيلة أدوم المنحدرة من نسل عيسو طبقاً لما سنذكره من قرائن.

٢- أنها شمال شرق فلسطين ما بين الجولان ومنطقة حوران استناداً إلى تراث شائع ووجود بعض الآثار التي تنسب إلى أيوب خاصة مع تنقلات عشائر عيسو «أدوم» (تك ٣٦) وهي منطقة تتميز بالخصب والثراء تناسب ما يرد في السفر.

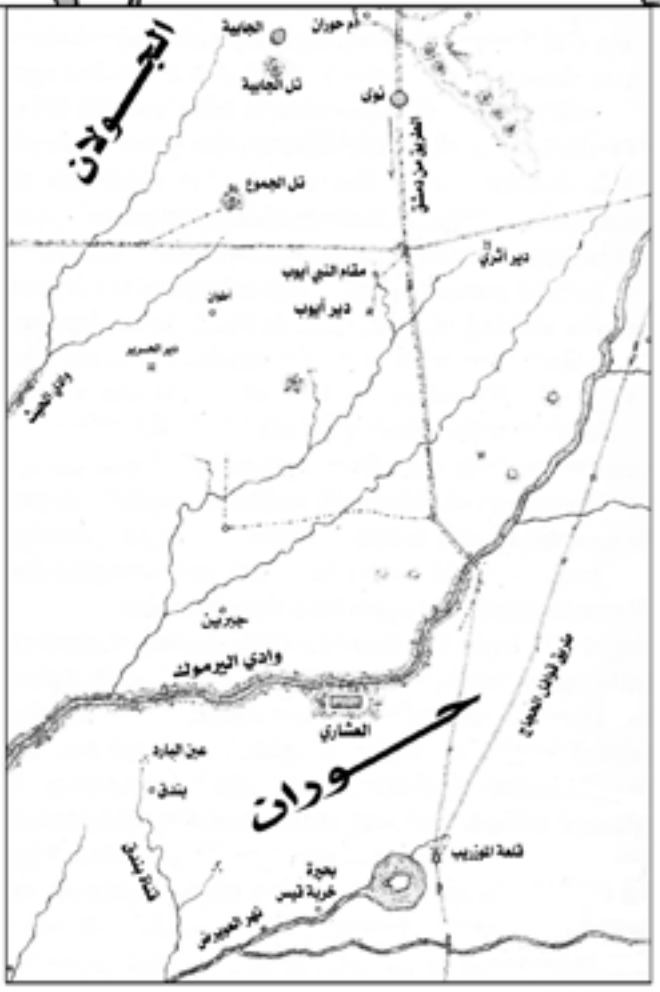

خريطة من زيارة ميدانية لباحث ألماني نشرت عام 1966 منقولة من موسوعة تفسير العهد القديم (مرجع 14)

الأصحَاحُ الأوَّلُ

١كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. ٢وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ. ٣وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَثَلاَثَةَ آلاَفِ جَمَلٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَرٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ، وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِدًّا. فَكَانَ هذَا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ.

أرض عوص: الاعتقاد السائد أنها تقع **جنوب شرق فلسطين نواحي أدوم**، وربما سكنها «عوص» ابن ناحور شقيق إبراهيم (قارن تك ١١: ٢٩ مع تك ٢٢: ٢٠-٣٠). إن أسماء أصدقاء أيوب توحي بالمكان: «بنو أليفاز أمير تيمان... في أرض أدوم – تك ٣٦: ١٥» أما بلدد الشوحي فلعله أيضاً من نسل إبراهيم (تك ٢٥: ١-٢). كما أن وصف أيوب بأنه من بني المشرق يشير إلى إقامته شرق الأردن. لكن هناك وجهة نظر أخرى أنها تقع **شمال شرق فلسطين** ما بين سفوح الجولان ووادي اليرموك، بالقرب من الحدود السورية الأردنية، وهي منطقة يسميها الناس «ضياع أيوب» كما يوجد فيها «دير أيوب» ومقام «النبي أيوب». وذكرها ياقوت الحموي في «معجم البلدان».

أيوب: الاسم قد يكون عبرياً من «آياب» بمعنى يعادي أو عربياً من «إياب = عودة»

زمن القصة: يرجح أنها جرت في عصر الآباء الكبار لعدة أسباب:

١- العمر الطويل الذي عاشه أيوب (٢١٠ سنة) الذي تميز به هذا العصر.

٢- العملة النقدية «قسيطة» لم ترد سوى في تك ٣٣: ١٩ ، وفي يش ٢٤: ٣٢ حين اشترى يعقوب بئراً، مما يوضح أنها كانت معروفة لبني إسرائيل حتى بعد موسى.

٣- الإشارة إلى بناء الأهرام تؤكد أن القصة دارت في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد

٤- الكهنوت الأبوي: كان أيوب يقدم ذبائح عن أولاده، لكن هذا ليس دليلاً كافياً فالمفروض أن أحداث القصة دارت خارج أرض كنعان.

٥- تقديم أيوب لمحرقات للتكفير عن خطايا أبنائه فلم تعرف ذبائح الخطية قبل موسى.

٦- نال بنات أيوب ميراثاً من أبيهن، وهو ما غيرته شريعة موسى (عد٢٧: ١-١١).

لكن **الكاتب كان من بني إسرائيل بدليل إشارته إلى الرب «يهوه»، ولعل السفر كان تراثاً شفهياً حتى تم تدوينه في عصر متأخر.**

١ وَكَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ
الأخلاق تعبير مباشر عن التدين. فتقوى (مخافة) الله تشجع الإنسان وتقويه على تجنب الشر، **لكن مفهوم التقوى أوسع من الخوف، فهي مزيج من الثقة والحب والمهابة.**

٤ وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ، وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمِ الثَّلاَثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ. ٥ وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ، أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ، وَبَكَّرَ فِي الْغَدِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ،
نفهم من هذا أنَ أبناء أيوب كانوا يقيمون في منطقة واحدة، فكان من السهل عليه أن يجمعهم ليقدسهم في نهاية الأسبوع ، بعد أن «دارت أيام الوليمة»

٥ لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: «رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللهِ فِي قُلُوبِهِمْ». كَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الأَيَّامِ.
كان مفهوم البر عند أيوب باطنياً يشمل الفكر والمشاعر وليس مجرد الأفعال.
«كل الأيام» : لا تعني أنه كان يقدم ذبائح يومياً، بل أنها كانت عادة مستمرة في حياته.

٦ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنَ أَيْنَ جِئْتَ؟». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ».
بَنو الله: كائنات علوية خلقها الله، وميزها بطبيعة خاصة اتاحت لها إمكانية الاقتراب من المجد الإلهي، وهم **الملائكة** استناداً إلى أدلة كثيرة في الكتاب المقدس.
الشيطان (المعاند أو المقاوم) يأتي في وسطهم، بما يعني أنه من نفس طبيعة الملائكة.
الله يسأله : من أين جئت؟ ولكن الله يعلم من أين جاء فلماذا يسأله؟ **إنه الأسلوب الإلهي لجذب مخلوقاته لإعلان أفكارها** (الله يعرف ما يفكر فيه الشيطان، لكنه يريد لنا أن نعلمها، فالأسفار كتبت لفائدة الناس) ولنذكر نداؤه لآدم (أين أنت؟) وسؤاله لقايين (أين أخوك)، ويجيب الشيطان بشئ من الصلف، لكنه يثير قضية في غاية الخطورة.

٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ ١٠ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ. ١١ وَلكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». ١٢ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ.

إن القضية الهامة هنا: **هل يتقي الإنسان الله دون مقابل؟** الحق أن الجزء الأكبر من التعليم الديني قائم على هذه الفكرة، اتق الله واحفظ وصاياه تكافأ بكذا، أما كسرك للأوامر الإلهية فعقوبته كذا. إن أكثر وصايا العهد القديم مبنية على هذا، ويكفي أن نرى كيف تعامل الرب مع بني إسرائيل في عصر الأنبياء.

الشائع أن العبرة الأساسية في سفر أيوب هي: **لماذا يتألم البار؟ وأين عدل الله هنا؟** منذ القديم يتساءل الناس عن الحكمة وراء كثير من أمور الدنيا: وحتى الذين لا يعترضون، يشتهون أن يعرفوا العلة لما يحدث: أرميا النبي يتساءل «أبرٌ انت يارب من أن أخاصمك، لكن اتكلم من جهة أحكامك. لماذا تنجح طرق الأشرار– أر ١٢: ١» (قارن مز ٣٧: ١ + مز ٣٥: ١١–١٧ + حب ١: ٢–٤ + ملا ٣: ١٥).

لقد لمس الشيطان قاعدة جوهرية في التعليم الديني: **أن العلاقة بين الله والإنسان تقوم على صفقة متبادلة: اتق الله تنال الخيرات، كن باراً تتعاظم أرباحك في الدنيا والآخرة. إذن لو لم تكن حياتك هنيئة، فتقوى الله تبدو بلا فائدة!** هل يتقي الإنسان الله دون مقابل، هل يوجد إنسان يؤمن بالله محبة في الله، دون خوف من عقاب أو طمع في مكافأة، إنما البر الحقيقي هو الإخلاص النابع من نفس تشبعت بمحبة الرب.

إذن قضية السفر **هي قضية عبادة وأسلوب للتفكير والحياة، وليست قضية لاهوت وشرح موقف إلهي غير مفهوم**، وربما كانت قصة التجربة أو لغز الألم مجرد إطار لمناقشة القضية الأهم: **لماذا يتحتم على الإنسان أن يخاف (يتقي) الله ؟**

١٣وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، ١٤أَنَّ رَسُولاً جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ: «الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ، وَالأُتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا، ١٥فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَئِيُّونَ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». ١٦وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». ١٧وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَقٍ، فَهَجَمُوا عَلَى الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». ١٨وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، ١٩وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ، فَسَقَطَ عَلَى الْغِلْمَانِ فَمَاتُوا، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ».

تنزل المصائب متتالية بنمط متكرر: المصيبة تحدث، وواحد فقط ينجو لابلاغ أيوب، وقبل أن ينهي كلامه يلحقه التالي، وقبل أن يستوعب أيوب ما حدث، تضربه الكارثة التالية ونرى الضربتان الأولى والثالثة تحدثان لأسباب بشرية: (سرقة الماشية) غارة من لصوص البدو، و(سرقة الجمال) غارة من الكلدانيين، والضربتان الثانية والرابعة تحدثان بظواهر طبيعية (إلهية): الأغنام تحرقها الصواعق، وإعصار يهدم البيت على من فيه. كانت الضربة الأخيرة ساحقة حتى أن أيوب يشق ثيابه، ويسقط على الأرض.

٢٠فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ، ٢١وَقَالَ: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا». ٢٢فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ للهِ جِهَالَةً.

إن رد فعل أيوب يتسم بـ :

١- الإذعان الكامل: التسليم بقضاء الله «الرب أعطى والرب أخذ ... »

٢- الإيمان الثابت: عرياناً خرجت من بطن أمي ... فليكن اسم الرب مباركاً»

ورغم كل ما حدث فإن أيوب لا ينسب إلى الله أي جهالة (أي فعل غير أخلاقي مثل الغدر، أو الظلم، أو القسوة ...)

إن توالي الضربات في ساعات قليلة، يسبب للقارئ إحساساً بألم فوق العادة، فيتركز انتباهه حول عذاب أيوب، ويشفق على: **رجل غني يفتقر، شيخ يفقد سلالته، وتقي يُسحق، وكل هذا بلا سبب نراه في البداية.**

الأصحاح الثاني

١وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ لِيَمْثُلَ أَمَامَ الرَّبِّ. ٢فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». ٣فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي (حرضتني) عَلَيْهِ لأُبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ»

١- كيف يمكن أن يحرض الشيطان الله ضد شخص ما؟

المعنى المباشر للعبارة الأخيرة هو أن الشيطان هو الذي يحرك الله (حاشا). لكن هناك

مصطلح معروف للباحثين «Anthropomorphism» ويعني **صياغة الفكر الإلهي في شكل يفهمه الإنسان،** لكن الحرص واجب في فهم أسلوب التعبير هذا حتى لا ندخل في دائرة التجديف فننسب إلى الله أنه يقع في أخطاء. لكن من الواضح أن الكاتب لا يهتم بالجانب العقائدي، بل يركز على التصوير الدرامي للقصة. فها هو **الشيطان يتحدى الله، والله يقبل التحدي ولكن على حساب أيوب!**

٢- كيف يقبل الله أن يضرب شخصاً بلا سبب؟

المقصود أنه لا يوجد سبب مصدره أيوب، كأن يكون ارتكب ذنباً، فقد شهد الله له منذ البداية أنه «كامل ومستقيم». وليصبر القارئ فسوف يعالج السفر هذه القضايا بالتفصيل.

٤فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «جِلْدٌ بِجِلْدٍ، وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ. ٥وَلكِنْ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». ٦فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ فِي يَدِكَ، وَلكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ». ٧فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. ٨فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقْفَةً (كسرة فخار) لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسَطِ الرَّمَادِ.

«جلد بجلد» تعبير كان يستخدم في المقايضة بين التجار. ويقبل الله التحدي لكي يثبت زيف حجة الشيطان، فيضرب أيوب بمرض جلدي مؤلم يشير إليه أيوب في مواضع عديدة تالية، لكننا نفهم أنه كان مرضاً بشعاً يدفعه إلى حك جسده بقطعة من الفخار.

٩ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: «أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ اللهَ وَمُتْ!». ١٠فَقَالَ لَهَا: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَلْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ.

في السبعينية «جدِّف على الله ومت!» إن زوجته توبخه لأنه ما زال متمسكاً بكماله، فتطلب منه أن يبارك الله مرة أخيرة ويموت، إن السخرية تبدو واضحة في كلامها، وفي المعنيين الهدف واحد: كفاك تمسكاً بالله. لقد كانت الزوجة تدفع بأيوب في الاتجاه الذي كان يتمناه الشيطان، لكن أيوب ما زال على موقفه متقبلاً لكل ما يأتي من عند الله. **(من البداية ينسب أيوب وأصدقاؤه ما حدث لله وليس لأسباب طبيعية).**

أن أيوب لا يخطئ **بشفتيه:** لعل المقصود أنه لم تصدر عنه كلمة خاطئة، والأرجح أن النص يمهد لما سيحدث، حين يتضح أن ما بداخل أيوب غير ما تراه إمرأته.

١١ فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ أَيُّوبَ الثَّلاَثَةُ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ، جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ: أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَبِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَانِيُّ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَأْتُوا لِيَرْثُوا لَهُ وَيُعَزُّوهُ. ١٢وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا، وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ، وَذَرَّوْا تُرَابًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ، ١٣ وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ، لأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَآبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا.

يحضر أصدقاؤه، ثم يجلسون صامتين، **فكيف تعزي شخصاً فقد أبناءه جميعاً!**

الأصحاح الثالث

يبدأ أيوب الكلام بشكل مختلف عن الإذعان، ويبدو أنه ينحدر في هاوية اليأس، لكنه ليس يأساً مطلقاً، وإلا لصمت تماماً ولم يعد يبالي، إنه يتحدث بأسلوب هجومي:

أولاً: اللعنة:

١ بَعْدَ هذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ، ٢ وَأَخَذَ أَيُّوبُ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: ٣ «لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ: قَدْ حُبِلَ بِرَجُل. ٤ لِيَكُنْ ذلِكَ الْيَوْمُ ظَلاَمًا. لاَ يَعْتَنِ بِهِ اللهُ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ يُشْرِقْ عَلَيْهِ نَهَارٌ. ٥ لِيَمْلِكْهُ الظَّلاَمُ وَظِلُّ الْمَوْتِ. لِيَحُلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ. لِتَرْعَبْهُ كَاسِفَاتُ ظُلْمَاتُ النَّهَارِ. ٦ أَمَّا ذلِكَ اللَّيْلُ فَلْيُمْسِكْهُ الدُّجَى، وَلاَ يَفْرَحْ بَيْنَ أَيَّامِ السَّنَةِ، وَلاَ يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ. ٧ هُوَذَا ذلِكَ اللَّيْلُ لِيَكُنْ عَاقِرًا، لاَ يُسْمَعْ فِيهِ هُتَافٌ. ٨ لِيَلْعَنْهُ لاَعِنُو الْيَوْمِ الْمُسْتَعِدُّونَ لإِيقَاظِ التِّنِّينِ. ٩ لِتُظْلِمْ نُجُومُ عِشَائِهِ. لِيَنْتَظِرِ النُّورَ وَلاَ يَكُنْ، وَلاَ يَرَ هُدُبَ الصُّبْحِ، (لا يرى بشائر الصبح، أو كما يقولون «ما يطلعش عليه صبح!»)

إن أيوب يلعن اليوم الذي ولد فيه، ويتمنى لو يمحى من أيام السنة فيطلب أن «يلعنه لاعنو اليوم المستعدون لإيقاظ التنين «لوياثان»: في العقائد القديمة تتوالى الأيام، كأنها عجلة تدير نفسها، وفي الأساطير السامية نقرأ عن «لوياثان» ككائن ينتمي إلى عالم الفوضى والظلام ويسكن في أمواج البحر، قام الخالق باخضاعه حتى يتمكن من ترتيب الخليقة. **لو استيقظ لوياثان لحلت الفوضى وتوقفت الحياة ولما ولد أيوب!**

ثانياً الحيرة:

١٠ لأَنَّهُ لَمْ يُغْلِقْ أَبْوَابَ بَطْنِ أُمِّي، وَلَمْ يَسْتُرِ الشَّقَاوَةَ عَنْ عَيْنَيَّ.
١١ لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّحِمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ، لِمَ لَمْ أُسْلِمِ الرُّوحَ؟
١٢ لِمَاذَا أَعَانَتْنِي الرُّكَبُ، وَلِمَ الثدِيُّ حَتَّى أَرْضَعَ؟
١٦ أَوْ كَسِقْطٍ مَطْمُورٍ فَلَمْ أَكُنْ، كَأَجِنَّةٍ لَمْ يَرَوْا نُورًا. [قدمنا ع ١٦ هنا لتسلسل الفكرة]
إن ايوب يتساءل: **هل وُهب الحياة لكي يقاسي العذاب؟ ثم يتمنى الموت لنفسه.**

١٣لأَنِّي قَدْ كُنْتُ الآنَ مُضْطَجِعًا سَاكِنًا. حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحًا
١٤مَعَ مُلُوكٍ وَمُشِيرِي الأَرْضِ، الَّذِينَ بَنَوْا أَهْرَامًا لأَنْفُسِهِمْ،
١٥أَوْ مَعَ رُؤَسَاءَ لَهُمْ ذَهَبٌ، الْمَالِئِينَ بُيُوتَهُمْ فِضَّةً،
١٧هُنَاكَ يَكُفُّ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الشَّغْبِ، وَهُنَاكَ يَسْتَرِيحُ الْمُتْعَبُون.
١٨الأَسْرَى يَطْمَئِنُّونَ جَمِيعًا، لاَ يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْمُسَخِّرِ.
١٩الصَّغِيرُ كَمَا الْكَبِيرُ هُنَاكَ، وَالْعَبْدُ حُرٌّ مِنْ سَيِّدِهِ.
رغم أن الفكر العبراني يعتبر الموت شراً، إلا أنه في مصر وبابل كان اعتقاد الخلود منتشراً **وأن الموت حالة من السكون والراحة،** بل قد يستمتع المنتقل بصحبة عظماء الأرض الراحلين، **في مساواة وحرية، وتسامي عن الأذى والعبودية.**

ثالثاً: الصرخة:

٢٠«لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ، وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟
٢١الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ وَلَيْسَ هُوَ، وَيَحْفُرُونَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُنُوزِ،
٢٢الْمَسْرُورِينَ إِلَى أَنْ يَبْتَهِجُوا، الْفَرِحِينَ عِنْدَمَا يَجِدُونَ قَبْرًا!
لِمَ توهب الحياة لمن يقاسي شقاءها؟ أيوب يتساءل بمرارة عن نفسه وعن كل بائس تعس يتمنى الموت ويبحث عنه بكل طاقته، ويبتهج عندما يجد قبراً!
٢٣ لِرَجُل قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ، وَقَدْ سَيَّجَ اللهُ حَوْلَهُ. (كحيوان محبوس بلا مهرب)
٢٤ لأَنَّهُ مِثْلَ خُبْزِي يَأْتِي أَنِينِي، وَمِثْلَ الْمِيَاهِ تَنْسَكِبُ زَفْرَتِي،
إنه لا يفهم علة وجوده ولا يعلم إلى أين هو ذاهب، وأصبح الأنين طعامه اليومي، وتتدفق زفراته دون انقطاع مثل المياه (زئيره مثل الوحش المقيد). { الكلمة العبرية المستخدمة في «زفرات» هي نفسها المستخدمة في «زئير» }.

٢٥ لأَنِّي ارْتِعَابًا ارْتَعَبْتُ فَأَتَانِي، وَالَّذِي فَزِعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ.
٢٦ لَمْ أَطْمَئِنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْتَرِحْ، وَقَدْ جَاءَ الزُّجْرُ».

إن الخير العميم الذي عاش فيه أيوب، كان يثير قلقه: ترى هل سيستمر حاله هكذا؟ وهنا نرى بوضوح النزعة التشاؤمية المصرية. (عندما يضحك الناس يقولون «اللهم اجعله خيراً»، وحين يتسع رزقهم يرددون «لا يحسد المال سوى أصحابه»!)

الأصحاح الرابع

١ فَأَجَابَ أَلِيفَازُ التَّيمَانِيُّ وَقَالَ: (يتحدث أولاً، ولعله كان أكبرهم سناً،فيبدأ بلطف)
٢ إِنِ امْتَحَنَ أَحَدٌ كَلِمَةً مَعَكَ، فَهَلْ تَسْتَاءُ؟ وَلكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ الامْتِنَاعَ عَنِ الْكَلاَمِ؟
٣ هَا أَنْتَ قَدْ أَرْشَدْتَ كَثِيرِينَ، وَشَدَّدْتَ أَيَادِيَ مُرْتَخِيَةً.
٤ قَدْ أَقَامَ كَلاَمُكَ الْعَاثِرَ، وَثَبَّتَّ الرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ!
٥ وَالآنَ إِذْ جَاءَ عَلَيْكَ ضَجِرْتَ، إِذْ مَسَّكَ ارْتَعْتَ.

لقد شددت كثيرين وساندت بالكلام وبالفعل أناساً مجربين، فلا يصح أن تتصرف مثلهم، لقد نصحت آخرين، تذكر نصائحك التي ثبتت المرتعدين.

٦ أَلَيْسَتْ تَقْوَاكَ هِيَ مُعْتَمَدَكَ، وَرَجَاؤُكَ كَمَالَ طُرُقِكَ؟
٧ اُذْكُرْ: مَنْ هَلَكَ وَهُوَ بَرِيءٌ، وَأَيْنَ أُبِيدَ الْمُسْتَقِيمُونَ؟
٨ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ: أَنَّ الْحَارِثِينَ إِثْمًا، وَالزَّارِعِينَ شَقَاوَةً يَحْصُدُونَهَا.
٩ بِنَسَمَةِ اللهِ يَبِيدُونَ، وَبِرِيحِ أَنْفِهِ يَفْنَوْنَ.

إن أليفاز بداية لا يشكك في كمال أيوب، بل ويعتبره أساساً للرجاء. صحيح أننا لا نرى سبباً لهذه المحنة، لكن تبقى الحقيقة ياصديقي: فما دام البار لا يهلك فلا يجب أن تستسلم لليأس، فما يزرعه الإنسان إياه يحصد. هل يقصد أن يعزى أيوب أم أنه يلمح إلى أن ما أصابه هو حصاد لشرور زرعها قبلاً، وهنا قد يكون مناسباً أن نربط بين كلمات أيوب: (لماذا) لم يستر (الله) **الشقاوة** عن عينيَّ – ٣: ١٠، وكلمات أليفاز: الزارعين **الشقاوة** يحصدونها ٤: ٨. حتى الآن لا يوضح أليفاز موقفه، هل يرى أيوب مذنباً أم بريئاً. لكن النص يوحي بالقصد؛ ففي ع ٧ فقط يتحدث عن البرئ، وباقي الأصحاح عن مصير الأشرار. ثم يجيب على زفرات (زئير) أيوب:

١٠ زَمْجَرَةُ الأَسَدِ وَصَوْتُ الزَّئِيرِ وَأَنْيَابُ الأَشْبَالِ تَكَسَّرَتْ.
١١ اَللَّيْثُ هَالِكٌ لِعَدَمِ الْفَرِيسَةِ، وَأَشْبَالُ اللَّبْوَةِ تَبَدَّدَتْ.
١٢ «ثُمَّ إِلَيَّ تَسَلَّلَتْ كَلِمَةٌ، فَقَبِلَتْ أُذُنِي مِنْهَا رِكْزًا.
١٣ فِي الْهَوَاجِسِ مِنْ رُؤَى اللَّيْلِ، عِنْدَ وُقُوعِ سَبَاتٍ عَلَى النَّاسِ،
١٤ أَصَابَنِي رُعْبٌ وَرَعْدَةٌ، فَرَجَفَتْ كُلَّ عِظَامِي.
١٥ فَمَرَّتْ رُوحٌ عَلَى وَجْهِي، اقْشَعَرَّ شَعْرُ جَسَدِي.
١٦ وَقَفَتْ وَلكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَنْظَرَهَا، شِبْهٌ قُدَّامَ عَيْنَيَّ. سَمِعْتُ صَوْتًا مُنْخَفِضًا:

أليفاز: إن الزئير لا يجدي، مهما صرخ الأسد فلن ينال شيئاً **ولعله يلمح بقسوة إلى مصير الأبناء «الأشبال»**، ثم يقول بغرابة: أن ما ستسمعه يا أيوب ليس كلاماً عادياً، بل وحياً تلقاه من عالم الروح!

١٧ أَالإِنْسَانُ أَبَرُّ مِنَ اللهِ؟ أَمِ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟

هل يمكن لأي إنسان أن يكون باراً أمام الله؟ هل يمكن لمخلوق أن يبدو مثالياً أمام خالقه. صحيح أن أيوب لم يقارن نفسه بالله، لكنه يتناسى الفارق بين المخلوق والخالق، **فقد يكون بلا لوم طبقاً للأخلاق الإنسانية، ولكن مقارنة بقداسة الله لا يمكن لمخلوق أن يدعي البراءة** فهذا يتجاوز الأخلاق ويتعلق بالمجد الإلهي اللانهائي.

١٨ هُوَذَا عَبِيدُهُ لاَ يَأْتَمِنُهُمْ، وَإِلَى مَلاَئِكَتِهِ يَنْسِبُ حَمَاقَةً،
١٩ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ سُكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينٍ، الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ فِي التُّرَابِ، وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ؟
٢٠ بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ يُحَطَّمُونَ. بِدُونِ مُنْتَبِهٍ إِلَيْهِمْ إِلَى الأَبَدِ يَبِيدُونَ.

ليس المقصود أن الملائكة يفعلون شراً، أو أن الشر كامن فيهم، لكن قداستهم لا تقارن بقداسة الله المطلقة، فإن كانت هذه هي منزلة الملائكة، فكم وكم تكون مرتبة الإنسان. إن الله ينسب إلى الملائكة حماقة فكم بالحري المخلوق من الطين، إنه يهلك في لحظة دون أن يلتفت إليه أحد، ولا ينقص الدنيا شئ. **الخلاصة: أنه لا قيمة لحياة الإنسان لدى الله** (المسيح يرى غير ذلك: أقول لكم أنه هكذا يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاجون إلى توبة– لو ١٥: ٧).

٢١ أَمَا (متى/عندما) **انْتُزِعَتْ مِنْهُمْ طُنُبُهُمْ؟ يَمُوتُونَ بِلاَ حِكْمَةٍ**

تُشَبَّهُ الروح (النفس) بحبل الخيمة «الطنب» الذي يشد الخيمة إلى أعلى. إن تشبيه وجود الإنسان على الأرض بالخيمة يتكرر في الكتاب المقدس. «.. قبلما ينفصل حبل الفضة، فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها– جا ١٢: ٦ + مسكني قد انقلع وانتقل عني كخيمة الراعي... من الأول يقطعني – أش ٣٨: ١٢. إن هذا الخيط ينقطع بالموت، وفي مصر يقولون عن إنسان عندما يموت: «انقطع خيطه». **وكما تسقط الخيمة مرة واحدة عند قطع أحبالها يموت الإنسان في لحظة.**

إن إحساس التفوق لدى الإنسان على سائر الخليقة، يغرس فيه الكبرياء والتمرد والرضا عن الذات، وغالباً ما يشغله عن محاولة إدراك مغزى وجوده. ومتى نزعت منهم الحياة يموتون، «بلا حكمة» لأنهم عاشوا غير مدركين لطبيعتهم الفانية، ولا لأهمية علاقتهم بالله، فيذهبون وهم غير مستعدين، ودون أن يتعلموا من إنذارات الله.

الأصحاح الخامس

٢ لأَنَّ الْغَيْظَ يَقْتُلُ الْغَبِيَّ، وَالْغَيْرَةَ تُمِيتُ الأَحْمَقَ.

٣ إِنِّي رَأَيْتُ الْغَبِيَّ يَتَأَصَّلُ وَبَغْتَةً لَعَنْتُ مَرْبِضَهُ. (قد يزدهر لكن سرعان ما يندثر)

٤ بَنُوهُ بَعِيدُونَ عَنِ الأَمْنِ، وَقَدْ تَحَطَّمُوا فِي الْبَابِ وَلاَ مُنْقِذَ.

٥ الَّذِينَ يَأْكُلُ الْجَوْعَانُ حَصِيدَهُمْ، وَيَأْخُذُهُ حَتَّى مِنَ الشَّوْكِ، وَيَشْتَفُّ الظَّمْآنُ ثَرْوَتَهُمْ.

يلاحظ أليفاز أن أيوب لا يذعن أمام الله، وفي رأيه لو كان أيوب باراً لانحنى أمام الله واثقاً في حكمته الإلهية. ثم يلقي بالكلام تلميحاً وتصريحاً: الإنسان يغتاظ من بلية تلم به ويراها غير مستحقة، ويصف مثل هذا بالغباء! وقد يزدهر الغبي لكنه في لحظة يتبدد كل ما بناه، ثم يشير بخشونة إلى هلاك الأبناء (تحطموا .. ولا منقذ)، وإلى أن تعبهم يكون بلا طائل وكل ماجمعوه سيؤكل ويشرب (يشتف/يمتص). الحق أنه كلام مؤلم للغاية لأن أيوب لا يحتاج إلى ذكاء ليعرف أن أليفاز يقصده.

٦ إِنَّ الْبَلِيَّةَ لاَ تَخْرُجُ مِنَ التُّرَابِ، وَالشَّقَاوَةَ لاَ تَنْبُتُ مِنَ الأَرْضِ،

٧ وَلكِنَّ الإِنْسَانَ مَوْلُودٌ لِلْمَشَقَّةِ كَمَا أَنَّ الْجَوَارِحَ لارْتِفَاعِ الْجَنَاحِ.

إن البلية لا تأتي من نفسها، وكما ترتفع الطيور القوية بجهد أجنحتها، يجلب الإنسان الشر على نفسه باختياره، ولكن المحزن أن النسر يجاهد ليرتفع، بينما الإنسان يجاهد ليسقط، فهو صعود ولكن إلى الهاوية! ولاحظ التناقض في كلام أليفاز: أن الشقاء لا يأتي من تلقاء نفسه، ثم يقول أن الإنسان مولود للمشقة (الشقاء مفروض عليه)، **ولا يمكن توافق العبارتين إلا إذا كان يعتقد أن الشر كامن في طبيعة الإنسان منذ ولادته.**

١ «اُدْعُ الآنَ. فَهَلْ لَكَ مِنْ مُجِيبٍ؟ وَإِلَى أَيِّ الْقِدِّيسِينَ تَلْتَفِتُ؟ (أخرناه لتسلسل المعني)

إن الله ينسب إلى ملائكته حماقة، فبمن تتشفع؟ **حتى الآن لا يوجه أليفاز إتهاماً مباشراً إلى أيوب،** فيتحول إلى النصيحة: كيف ينبغي أن يسلك الإنسان وقت الضيق؟

اللجوء إلى الله (التوسل):

٨ « لكِنْ كُنْتُ أَطْلُبُ إِلَى اللهِ، وَعَلَى اللهِ أَجْعَلُ أَمْرِي.
٩ الْفَاعِلِ عَظَائِمَ لاَ تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لاَ تُعَدُّ.
١٠ الْمُنْزِلِ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَالْمُرْسِلِ الْمِيَاهَ عَلَى الْبَرَارِيِّ.
١١ الْجَاعِلِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي الْعُلَى، فَيَرْتَفِعُ الْمَحْزُونُونَ إِلَى أَمْنٍ.
١٢ الْمُبْطِلِ أَفْكَارَ الْمُحْتَالِينَ، فَلاَ تُجْرِي أَيْدِيهِمْ قَصْدًا.
١٣ الآخِذِ الْحُكَمَاءَ بِحِيلَتِهِمْ، فَتَتَهَوَّرُ مَشُورَةُ الْمَاكِرِينَ.
١٤ فِي النَّهَارِ يَصْدِمُونَ ظَلاَمًا، وَيَتَلَمَّسُونَ فِي الظَّهِيرَةِ كَمَا فِي اللَّيْلِ.
١٥ الْمُنَجِّي الْبَائِسَ مِنَ السَّيْفِ، مِنْ فَمِهِمْ وَمِنْ يَدِ الْقَوِيِّ.
١٦فَيَكُونُ لِلذَلِيلِ رَجَاءٌ وَتَسُدُّ الْخَطِيَّةُ فَاهَا.

إن أليفاز يلقي تمجيداً لله، وتسبحة للقدير، ويحث أيوب: لو كنت مكانك كنت أصلي للإله الرفيق الحكيم. ونلاحظ تأكيد أليفاز على: **نصرة الله للمتواضعين،** للذليل وللبائس ... هؤلاء لهم رجاء ونجاة، **بينما يخذل الله المحتالين، الحكماء في أعين ذواتهم،** الماكرين (الملتوين كالحيات) هؤلاء يتعامون عن الحق فلا يروه حتى في عز الظهر.

١٧ «هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَلاَ تَرْفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ.

الطوبى في العبرية من نفس الجذر اللغوي لفعل «يتقدم/ينطلق»، **فالطوبي ليست بَرَكَةً ساكنة بل تشمل النمو الدائم، فتصبح التجربة نقطة إنطلاق للأفضل فلا ترفضها.** إن

الغبي هو من يتحدى أو يرفض أن يتوسل لله، فيقتله الغيظ (ع ٢)، فلا ترفض التأديب، فالله لا يطلب خضوعاً دون مقابل، ففي مقابل الطاعة يعطيك حياة رخية.

١٨ لأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ. بالعلاج والشفاء
١٩ فِي سِتِّ شَدَائِدَ يُنَجِّيكَ، وَفِي سَبْعٍ لاَ يَمَسُّكَ سُوءٌ. بالخلاص من الشدائد
٢٠ فِي الْجُوعِ يَفْدِيكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَفِي الْحَرْبِ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ. بالنجاة من الهلاك
٢١ مِنْ سَوْطِ اللِّسَانِ تُخْتَبَأُ، فَلاَ تَخَافُ مِنَ الْخَرَابِ إِذَا جَاءَ. ومن التشهير والخراب
٢٢ تَضْحَكُ عَلَى الْخَرَابِ وَالْمَحْلِ(الفقر الشديد)، وَلاَ تَخْشَى وُحُوشَ الأَرْضِ.
لا تخاف من وحوش الأرض (تشير أحياناً إلى الحكام والمتسلطين– دا ٨+ رؤ ١٣)
٢٣ لأَنَّهُ مَعَ حِجَارَةِ الْحَقْلِ عَهْدُكَ، وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ تُسَالِمُكَ. بالأمان من الوحوش
٢٤ فَتَعْلَمُ أَنَّ خَيْمَتَكَ آمِنَةٌ، وَتَتَعَهَّدُ مَرْبِضَكَ وَلاَ تَفْقِدُ شَيْئًا. بالطمأنينة
٢٥ وَتَعْلَمُ أَنَّ زَرْعَكَ كَثِيرٌ وَذُرِّيَّتَكَ كَعُشْبِ الأَرْضِ. بالبركة في المحصول وفي الذرية
٢٦ تَدْخُلُ الْمَدْفَنَ فِي شَيْخُوخَةٍ، كَرَفْعِ الْكُدْسِ (حِزَمْ المحصول) فِي أَوَانِهِ.
بالخاتمة الكريمة في الوقت المناسب.
٢٧ هَا إِنَّ ذَا قَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ. كَذَا هُوَ. فَاسْمَعْهُ وَاعْلَمْ أَنْتَ لِنَفْسِكَ».

أليفاز: هذا ما توصلنا إليه والمفروض يا أيوب أنك تعلم هذا! ثم يختم أليفاز كلامه بعبارة توحي بنفاذ صبره، وبإحساسه بالتفوق في الحكمة على أيوب!

الأصحاح السادس

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ «لَيْتَ كَرْبِي وُزِنَ، وَمَصِيبَتِي رُفِعَتْ فِي الْمَوَازِينِ جَمِيعَهَا،
٣ لأَنَّهَا الآنَ أَثْقَلُ مِنْ رَمْلِ الْبَحْرِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ لَغَا كَلاَمِي.
٤ لأَنَّ سِهَامَ الْقَدِيرِ فِيَّ وَحُمَتَهَا (شوكتها) شَارِبَةٌ رُوحِي. أَهْوَالُ اللهِ مُصْطَفَّةٌ ضِدِّي

إنكم لا تشعرون بثقل مصيبتي (جحيمي)، لو وزنت فوق بعضها، فقد تلاحقت مصائبي، أهوال الله مصطفة ضدي مثل طابور من الجنود، لهذا لغا (احتد/طاش) كلامي. قدروا عذابي ثم حاسبوني على عنف كلماتي، لأن سهام القدير (مغروسة) فيَّ (كمحارب غشيم لا يبالي كيف أو أين يضرب)، وروحي تتشرب سمومها. أليفاز يدين أسلوبي العنيف ويقول: الغيظ يقتل الغبي... فهل كنت أصرخ لو كانت حالتي مريحة؟

٥ هَلْ يَنْهَقُ الْفَرَا عَلَى الْعُشْبِ، أَوْ يَخُورُ الثَوْرُ عَلَى عَلَفِهِ؟
٦ هَلْ يُؤْكَلُ الْمَسِيخُ بِلاَ مِلْحٍ، أَوْ يُوجَدُ طَعْمٌ فِي مَرَقِ الْبَقْلَةِ؟
٧ مَاعَافَتْ نَفْسِي أَنْ تَمَسَّهَا، هذِهِ صَارَتْ مِثْلَ خُبْزِيَ الْكَرِيهِ!

أيوب: أليس طبيعياً أن يصرخ الحيوان طالباً العشب، وأن يخور الثور طالباً العلف؟ أليس طبيعياً أن يرفض الإنسان الطعام الذي لا نكهة له؟ وهل يستسيغ الإنسان حساء البقلة (نبات معروف باسم «الرِجْلَه»). الإنسان لا يحتاج إلى مجرد طعام بل إلى طعام لائق، **الإنسان لا يريد مجرد الحياة، لكن وجوداً يستحق أن يعاش،** وإلا فإنه يرفض الحياة ويحتج ضد ما يُفرض عليه. أيوب: كما تعاف النفس الطعام الكريه، وتفضل الجوع، تمج نفسي هذا العذاب، وتفضل الموت. أيوب يخاطب أليفاز بشكل مجازي: أتظن أنني يمكن أن أقبل تعزياتك الماسخة، ونصيحتك الممقوتة. إنه ينتقل من الدفاع إلى الهجوم، **ويستنكف من صديق مستريح جاء ليعزيه فإذا به يبكته!**

٨ «يَا لَيْتَ طِلْبَتِي تَأْتِي وَيُعْطِينِيَ اللهُ رَجَائِي!
٩ أَنْ يَرْضَى اللهُ بِأَنْ يَسْحَقَنِي، وَيُطْلِقَ يَدَهُ فَيَقْطَعَنِي.
١٠ فَلاَ تَزَالُ تَعْزِيَتِي وَابْتِهَاجِي فِي عَذَابٍ، لاَ يُشْفِقُ: أَنِّي لَمْ أَجْحَدْ كَلاَمَ الْقُدُّوسِ.
١١ مَا هِيَ قُوَّتِي حَتَّى أَنْتَظِرَ؟ وَمَا هِيَ نِهَايَتِي حَتَّى أُصَبِّرَ نَفْسِي؟
١٢ هَلْ قُوَّتِي قُوَّةُ الْحِجَارَةِ؟ هَلْ لَحْمِي نُحَاسٌ؟
١٣ أَلاَ إِنَّهُ لَيْسَتْ فِيَّ مَعُونَتِي، وَالْمُسَاعَدَةُ مَطْرُودَةٌ عَنِّي!

لعل الله يهبني الموت كما أطلب، فرغم عذابي، إلا أنني لم انتكر للإيمان حتى الآن. **ولكن إلى متى احتمل،** لست من حجر أو نحاس، ولا شئ يشجعني على الصبر (كمن يرى ضوءاً في نهاية طريق مظلم). لكن لم تعد فيَّ قوة، ولا أجد مساعدة من أحد. **فالموت من يد إله لا يحبني خير من الحياة تحت ثقل الالآم.** لذا يرجو هذا الإله القاسي الذي يُسرُ بعذابه أن يعيده إلى العدم (يقطعني).

أيوب يشعر أن الوهن يتسرب إليه، ويخشى لو استمر الألم لمدة أطول، أن يصل إلى رفض كلام الله. إن الموت في هذه الحالة سيكون وسيلة للنجاة من إغواء التجديف، فيصير تعزية ونجاة من عذاب لا يرحم، فقد نفدت طاقتي، ومُنعت عني أية مساعدة.

١٤ حَقُّ الْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ، وَإِنْ تَرَكَ خَشْيَةَ الْقَدِيرِ.

ينبغي أن يترفق أصدقائي برجل بائس، حتى لو كان على حافة التجديف أو جحد مخافة الله. **إن قسوة الصديق قد تدفع بإنسان في أزمة إلى القفز في هوة الهلاك.**

فهم آخر: **عندما تغيب محبتي عن صديق أو جارٍ في شدة، أخون إيماني.** ليس أيوب هو المعرض لخطر البعد عن الإيمان، بل أليفاز هذا المعلم المستريح، الذي يدين أيوب المعذب، بلا بصيرة أو شفقة. **عندما أخذل إنساناً وقت ضيقته، فأنني أنا الذي أترك خشية الله.** إن هذه الفكرة المتفردة تعطي ظلاً مسبقاً لتعليم المسيح في مثل السامري (لو ١٠).

١٥ أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ غَدَرُوا مِثْلَ الْغَدِيرِ. مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدْيَانِ يَعْبُرُونَ،
١٦ الَّتِي هِيَ عَكِرَةٌ مِنَ الْبَرَدِ، وَيَخْتَفِي فِيهَا الْجَلِيدُ.
١٧ إِذَا جَرَتِ انْقَطَعَتْ. إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ مِنْ مَكَانِهَا.
١٨ يُعَرِّجُ السَّفْرُ عَنْ طَرِيقِهِمْ، يَدْخُلُونَ التِّيهَ فَيَهْلِكُونَ.
١٩ نَظَرَتْ قَوَافِلُ تَيْمَاءَ. سَيَّارَةُ سَبَاءٍ رَجَوْهَا.
٢٠ خَزُوا فِي مَا كَانُوا مُطْمَئِنِّينَ. جَاءُوا إِلَيْهَا فَخَجِلُوا.

لقد غدرتم بي كمنخفض في البرية، يمتلئ ماءً وقت السيل، وسرعان ما يتبدد، في البرد يتجمد، وفي الحر يتبخر. يحول المسافرون طريقهم في الصحراء إلى هذه الغدران بحثاً عن الماء، والقوافل تغير طريقها أملاً في النجاة، فإذا وصلوا إليها لا يخيب رجاؤهم فحسب بل يهلكون (كمن يترك خشية الله). أيوب لأصدقائه: خذلتموني مثل هذا الأمل الخادع القاتل، وصرت وحيداً في شقائي!

٢١ فَالآنَ قَدْ صِرْتُمْ مِثْلَهَا. رَأَيْتُمْ ضَرْبَةً فَفَزِعْتُمْ.
٢٢ هَلْ قُلْتُ: أَعْطُونِي شَيْئًا، أَوْ مِنْ مَالِكُمُ ارْشُوا مِنْ أَجْلِي؟
٢٣ أَوْ نَجُّونِي مِنْ يَدِ الْخَصْمِ، أَوْ مِنْ يَدِ الْعُتَاةِ افْدُونِي؟
٢٤ عَلِّمُونِي فَأَنَا أَسْكُتُ، وَفَهِّمُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ضَلَلْتُ. (سهوت/أخطأت بغير عمد)

أيوب: رأيتم مصيبتي ففزعتم، خفتم أن تقفوا معي لئلا يصيبكم شئ (١٣: ٨-٩)، **أم أتكم تلقون عليَّ بالمسئولية حتى لا أكلفكم شيئاً، أنا لم أطلب سوى الفهم والتعاطف.** إن حجة مقنعة كفيلة بأن تسكتني. أنا مستعد للسكوت لو عرفت أين أخطأت.

٢٥ مَا أَشَدَّ الْكَلاَمَ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَمَّا التَّوْبِيخُ مِنْكُمْ فَعَلَى مَاذَا يُبَرْهِنُ؟
٢٦ هَلْ تَحْسِبُونَ أَنْ تُوَبِّخُوا كَلِمَاتٍ، وَكَلاَمُ الْيَائِسِ لِلرِّيحِ؟
٢٧ بَلْ تُلْقُونَ عَلَى الْيَتِيمِ، وَتَحْفُرُونَ حُفْرَةً لِصَاحِبِكُمْ. (يفترون على اليتيم)
٢٨ وَالآنَ تَفَرَّسُوا فِيَّ، فَإِنِّي عَلَى وُجُوهِكُمْ لاَ أَكْذِبُ.

ماذا يثبت توبيخكم لي، مجرد كلام بلا جدوى. **إن أيوب لا يعترف بأي خطأ أخلاقي، هو فقط يقر بحدة كلماته، ويعلل هذا بشدة آلامه،** وفي النهاية هو مجرد كلام يتبدد (كلام البائس للريح). **إنه يَصِمُ أصدقائه بغياب المحبة،** بل إنهم يفترون على الضعيف، كمن يستأسد على طفل يتيم. بل ويصنعون فخاً (حفرة) لصديقهم!

٢٩ اِرْجِعُوا. لاَ يَكُونَنَّ ظُلْمٌ. اِرْجِعُوا أَيْضًا. فِيهِ حَقِّي.
٣٠ هَلْ فِي لِسَانِي ظُلْمٌ، أَمْ حَنَكِي لاَ يُمَيِّزُ فَسَادًا؟

بعد هذا الهجوم الحاد، يبدو أن أليفاز أتي بإيماءة توحي بأنه سينصرف هو ومن معه، فيصرخ أيوب: ارجعوا دعونا لا نرتكب خطأ، أعطوني حقي ولو هذه المرة فقط، هل من تجاوز في كلامي، أنا أيضاً استطيع أن أميز الكلام الفاسد كما يميز فمي الطعام. إن غضب أيوب يتراجع، وها هو يدلي بأمثاله (فهو لا يقل عنهم في الحكمة!)

الأصحاح السابع

١ « أَلَيْسَ جِهَادٌ لِلإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ، وَكَأَيَّامِ الأَجِيرِ أَيَّامُهُ؟
٢ كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ، وَكَمَا يَتَرَجَّى الأَجِيرُ أُجْرَتَهُ،
٣ هكَذَا تَعَيَّنَ لِي أَشْهُرُ سُوءٍ، وَلَيَالِي شَقَاءٍ قُسِمَتْ لِي.

حياة الإنسان على الأرض جهاد (فترة تجنيد)، يعيشها بلا اختيار، ينفذ الأوامر، مثل العبد الذي يكد لأجل آخرين في الشمس الحارة يشتاق إلى الظل وينتظر أجرته، يفعل ما يُفرض عليه، ما قُسم له، أو ما تحدد نصيباً له في الدنيا.

٤ إِذَا اضْطَجَعْتُ أَقُولُ: مَتَى أَقُومُ؟ اللَّيْلُ يَطُولُ، وَأَشْبَعُ قَلَقًا حَتَّى الصُّبْحِ.
٥ لَبِسَ لَحْمِيَ الدُّودُ مَعَ مَدَرِ التُّرَابِ. جِلْدِي كَرِشَ وَسَاخَ. (تمزق وإمتلأ بالصديد)
٦ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنَ الْوَشِيعَةِ، وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ. (الوشيعة = مكوك نول النسيج)

بالنهار شقاء وبالليل قلق. اكتسى لحمي بالدود وقشور (مَدَر) التراب، جلدي تمزق (كَرِش) وامتلأ صديداً (ساخ)، وحياتي تمر سريعاً وستنتهي دون أمل.

أيوب يصلي:

ع ٧–١١ صلاة توسل + ع ١٢–١٦ صلاة تحدي ! + ع ١٧–٢١ صلاة حيرة ؟

التوسل

٧ «اُذْكُرْ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ، وَعَيْنِي لاَ تَعُودُ تَرَى خَيْرًا.
٨ لاَ تَرَانِي عَيْنُ نَاظِرِي. عَيْنَاكَ عَلَيَّ وَلَسْتُ أَنَا.
٩ السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ، هكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَاوِيَةِ لاَ يَصْعَدُ.
١٠ لاَ يَرْجِعُ بَعْدُ إِلَى بَيْتِهِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مَكَانُهُ بَعْدُ.
١١ أَنَا أَيْضًا لاَ أَمْنَعُ فَمِي. أَتَكَلَّمُ بِضِيقِ رُوحِي. أَشْكُو بِمَرَارَةِ نَفْسِي.

أيوب يخاطب الله: تذكر أن حياتي مثل نفخة ريح، وبعد قليل لن تتاح لي فرصة أن أرى خيراً فسبيلي إلى الهاوية. سأختفي من أعين الناس، أما أنت فعيناك عليَّ إلى الأبد. **(حتى عندما يقرر أن حياته بلا أمل، فما زال يؤمن أن الله سوف يبحث عنه، لكنه يخشى أن يحدث هذا بعد فوات الأوان)**، لأنه سرعان ما أمضي إلى الموت. لن أتواجد فيما بعد. لهذا لن أسكت، سأقول ما أشتهي الآن فلا عودة من الهاوية. سأخرج ما بداخلي من مرارةٍ. **إن الشعور باقتراب الموت يجعل أيوب يتخطي أي إعتدال، والاستعطاف يتحول إلى عتاب مرير**، وسرعان ما تتوالي عبارات التجاوز:

التحدي:

١٢ أَبَحْرٌ أَنَا أَمْ تِنِّينٌ، حَتَّى جَعَلْتَ عَلَيَّ حَارِسًا؟

في الأساطير القديمة: البحر وساكنه التنين: هو المجال الذي كان لابد من أن تخضعه الآلهة لتوفر الأمن للناس، وعند البابليين أن الآلهة وضعت حارساً على التنين ليتسنى لها إكمال الخلق. أيوب (بمرارة): هل أنا عظيم الشر لدرجة أنني أهدد المسكونة ؟!

١٣ إِنْ قُلْتُ: فِرَاشِي يُعَزِّينِي، مَضْجَعِي يَنْزِعُ كُرْبَتِي،
١٤ تُرِيعُنِي بِالأَحْلاَمِ، وَتُرْهِبُنِي بِرُؤًى،
١٥ فَاخْتَارَتْ نَفْسِي الْخَنِقَ، الْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هذِهِ.

أيوب يستشعر عداوة الله المقصودة في الأرق والكوابيس التي تطارده. حتى أنه يفضل ميتة صعبة (الخنق) على هذا الجسد المضروب، **الموت أفضل من هذه الحياة.**

١٦قَدْ ذُبْتُ. لاَ إِلَى الأَبَدِ أَحْيَا. كُفَّ عَنِّي لأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ.
لقد اضمحل جسدي، وقاربت الموت (لاحظ أنه يعتبر أن حياته تنتهي بالموت، لم يكن مفهوم الحياة الأبدية راسخاً بعد) فهو يستثقل الزمن، لأنه يعاني في كل لحظة يعيشها.

الحيرة:
١٧ مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ، وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ؟
١٨ وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ، وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ؟ (تفتش عليه / تفحصه ناقداً)
١٩ حَتَّى مَتَى لاَ تَلْتَفِتُ عَنِّي وَلاَ تُرْخِينِي رَيْثَمَا أَبْلَعُ رِيقِي؟
الإنسان أضعف من أن تقيم له وزناً، وحتى تضعه في دماغك، وتتابعه كل صباح، **وتفتش عليه كل لحظة** (مز ١٤٤: ٣-٤) الإنسان أشبه بنفخة، أيامه ظل عابر. **لم لا تحول وجهك عني، ولو لأبلع ريقي.** إن أيوب يطالب الرب أن يرخيه (يمد له القيد قليلاً،لا أن يطلقه) ويرفض أن يكون سلوك الإنسان موضعاً لاهتمام الله الملح. {في مز ١٣٩ يعتبر المرنم رقابة الله شيئاً مطمئناً، أما أيوب فيراها في صورة متابعة خانقة}

٢٠ أَأَخْطَأْتُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ يَا رَقِيبَ النَّاسِ؟ لِمَاذَا جَعَلْتَنِي عَاثُورًا لِنَفْسِكَ حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي حِمْلاً؟ (عاثوراً = هدف منتخباً للقنص)
أيوب: لماذا تراقبني كمن يرصد عدواً! **ولو افترضنا أنني أخطأت فأنني لم أفعل شيئاً ضدك. إن الخطيئة في مفهوم أيوب، ليست تعدياً على الله بل هي مجرد خطأ أخلاقي.** **لماذا اخترتني كهدف لك، حتى صرت حملاً عليك،** (هذه الترجمة أصح لغوياً، لكن يبدو أن اليهود لم يهضموا فكرة أن يصير الإنسان حملاً على الله). {في العامية المصرية = شايلني على رأسك وزاعق، أو حاططني في دماغك!}

إن أيوب يطالب بإله لا يبالي بسلوك الناس. إن هذه الرغبة الضمنية هي الخطأ اللاهوتي المتأصل في فكر أيوب: فهو يرى أن رب الكون يجب أن يكون بعيداً ومتسامياً، حتى أن خطأ الإنسان لا يمسه ولا يزعجه. وكأن أيوب يضع نفسه معلماً يتولي تصحيح مفهوم البشر، أن حاشا لله أن تكون له نفس مشاعر الناس (يغضب لآثام البشر) **لكن هذا الإله الذي يتمناه أيوب هو مجرد صنم لا يوجد إلا في مخيلة الناس.**

٢١ وَلِمَاذَا لاَ تَغْفِرُ ذَنْبِي، وَلاَ تُزِيلُ إِثْمِي؟ لأَنِّي الآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ، تَطْلُبُنِي فَلاَ أَكُونُ».

فإن أخَذ الله بفكرة أيوب (أن الإنسان أتفه من أن يتابعه) سيسهل عليه أن يغفر. إن **أيوب يتراجع عن جسارته، ولم يعد الله مجرد قناص متربص، بل إلهاً عطوفاً يسعي ويطلب خليقته، ويا ليت يحدث هذا قبل فوات الأوان، وقبل أن أرحل عن الحياة.**

هذا التقلب في موقف أيوب يوضح لنا فهم النص للطبيعة الإنسانية، وهي حالة طبيعية لمن يعاني عذاباً شديداً. ولنستعيد بدايات السفر لنشعر بثقل المعاناة. **ترجمة أخرى:** اضطجع في التراب = يظلم وجهي. النص ينتقل من التعلق اليائس بمحبة الله، إلى نظرة مريرة إلى أحكام الله، الذي يتذكر الإنسان لكي ينصفه، ولكن بعد فوات الأوان. **وبينما أنانية الإنسان تجعله يتمنى إلهاً يتجاهل أخطاءه بحجة أنه أصغر وأضعف من أن يحاسب على ذنوبه، فإن الإنسان في نفس الوقت يريد إلهاً يعتني بتفاصيل حياته، والإنسان يدرك هذا التناقض جيداً، لكنه يُفَصل إلهاً على هواه، وحسب أهوائه.**

الأصحاح الثامن

١ فَأَجَابَ بِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَقَالَ: ٢ إِلَى مَتَى تَقُولُ هذَا، وَتَكُونُ أَقْوَالُ فِيكَ رِيحًا شَدِيدَةً؟ ٣ هَلِ اللهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ، أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقَّ؟

يبدو «بلدد» غاضباً من كلام أيوب فيبدأ بهجوم حاد: إلى متى تقول هذا؟ **ولعل بلدد كان من ذوي التدين المتزمت والقناعات الجامدة، فيتكلم كأنما لحقته إهانة شخصية،** ويُشَبِّه كلام أيوب بالعاصفة، لأنه موجه ضد عقيدة جوهرية: أن «الله لا يخطئ». ويبدو أن بلدد يعتقد أن عبارة واحدة تكفي لدحض ما يبدو ظلماً إلهياً لأيوب!

٤ إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بَنُوكَ، دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مَعْصِيَتِهِمْ.

إن غضب بلدد يجعله أشد قسوة، فيطعن قلب أيوب: إن أبناءك نالوا جزاء خطاياهم! ويتصرف كمحامٍ عن الله. **إن الموت يبدو هنا عقوبة على المعصية، وهي عقوبة فورية فقاضي السماء لا يحتاج إلى تدبر أو مداولات فهو يعلم دفاعنا قبل أن نقوله.** في رأي بلدد: أن الأحكام الإلهية متفردة في طبيعتها، **فالموت يتبع المعصية بشكل شبه آلي،** أياً كان المذنب، فما دامت الخطيئة تحمل في ذاتها قوة العقاب، يكون مصير مرتكبها حتمياً.

وهو ما تخالفه مواقف عديدة من تعاملات الله مع البشر، ويكفينا كأمثلة مواقف الله من داود الملك (٢ صم ١٢ : ١٤) أو تصرفه من أهل نينوى (يون ٣).

٥ فَإِنْ بَكَّرْتَ أَنْتَ إِلَى اللهِ وَتَضَرَّعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ،
٦ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيًّا مُسْتَقِيمًا، فَإِنَّهُ الآنَ يَتَنَبَّهُ لَكَ وَيُسْلِمُ مَسْكَنَ بِرِّكَ.
٧ وَإِنْ تَكُنْ أُولاَكَ صَغِيرَةً فَآخِرَتُكَ تَكْثُرُ جِدًّا.

يظن بلدد أنه بإدانته للأبناء يخلي الوالد من مسئوليتهم، كأنما براءة أيوب ستخفف عنه ألم فقدانه لبنيه، إن صح هذا الفهم يمكننا بحق أن نصف بلدد «**المعزي المتعب**». ولنلاحظ تكرار كلمة «**أنت**» في كلام بلدد، **انسى ماحدث ياأيوب وأنظر إلى حالك «أنت» والله سيحسن آخرتك!** وإن كانت حالتك الأولي تعسة، فحالتك الأخيرة ستكون مزدهرة، **وكأنما أيوب بلا قلب أو مشاعر، ليقبل اقتراح بلدد بأن ينسى ما حدث! ويهتم بنفسه ويرتب أحواله مع الله (يبكر إليه... يتضرع... يزكي تصرفاته).**

٨ «اِسْأَلِ الْقُرُونَ الأُولَى وَتَأَكَّدْ مَبَاحِثَ آبَائِهِمْ،
٩ لأَنَّنَا نَحْنُ مِنْ أَمْسٍ وَلاَ نَعْلَمُ، لأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الأَرْضِ ظِلٌّ.
١٠ فَهَلاَّ يُعْلِمُونَكَ؟ يَقُولُونَ لَكَ، وَمِنْ قُلُوبِهِمْ يُخْرِجُونَ أَقْوَالاً قَائِلِينَ:

الحياة قصيرة، لذا لنتعلم من التراث. إن «بلدد» يشبه معلماً للدين من النوع الذي يلجأ إلى حفريات الفكر، إلى الماضي، بينما **أهمية التراث لا تنبع من كونه قديماً، بل من تقديمه حلولاً لمشاكل الحاضر**، وما صلح للأجداد قد لا يصلح بنفس الشكل للأحفاد.

١١ هَلْ يَنْمُي الْبَرْدِيُّ فِي غَيْرِ الْغَمِقَةِ، أَوْ تَنْبُتُ الْحَلْفَاءُ بِلاَ مَاءٍ؟ (الغمقة = المستنقع)
١٢ وَهُوَ بَعْدُ فِي نَضَارَتِهِ لَمْ يُقْطَعْ، يَيْبَسُ قَبْلَ كُلِّ الْعُشْبِ.
١٣ هكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِينَ اللهَ، وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ،

إن حكمة القدماء تتجسد في الأمثال السائرة: لا ينمو البردي إلا في مستنقع، وكما يقطع البردي وهو ناضر لأنه ييبس سريعاً، هكذا الفاجر (غير المؤمن/ الدنيوي).

١٤ فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ، وَمُتَّكَلُهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ!
١٥ يَسْتَنِدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلاَ يَثْبُتُ. يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلاَ يَقُومُ.

١٦ هُوَ رَطْبٌ تُجَاهَ الشَّمْسِ وَعَلَى جَنَّتِهِ تَنْبُتُ خَرَاعِيبُهُ. (الفروع الممتدة مثل اللبلاب)
١٧ وَأُصُولُهُ مُشْتَبِكَةٌ فِي الرُّجْمَةِ، فَتَرَى مَحَلَّ الْحِجَارَةِ. (الرجمة = كومة من التراب والحجارة تشكل تربة ضعيفة، والنبات الذي يؤصل جذوره فيها يسهل جداً اقتلاعه)

١٨ إِنِ اقْتَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ، يَجْحَدُهُ قَائِلاً: مَا رَأَيْتُكَ!
١٩ هذَا هُوَ فَرَحُ طَرِيقِهِ، وَمِنَ التُّرَابِ يَنْبُتُ آخَرُ. (فرح طريقه = حالته النهائية)

«الفاجر» هذا لا يجد ما يعتمد عليه (يستند إلى خيوط العنكبوت!)، فتربته واهية وليست له جذور حقيقية، **وما أسهل أن يقتلع وسرعان ما ينسى، فليست له قيمة أو فائدة، وهذا هو أقصى إنجاز له «فَرَحُ طَرِيقِهِ»**. وللأسف يأتي آخرون لا يعتبرون بما حدث

٢٠ هُوَذَا اللهُ لاَ يَرْفُضُ الْكَامِلَ، وَلاَ يَأْخُذُ بِيَدِ فَاعِلِي الشَّرِّ.
٢١ عِنْدَمَا يَمْلأُ فَاكَ ضِحْكًا، وَشَفَتَيْكَ هُتَافًا،
٢٢ يَلْبِسُ مُبْغِضُوكَ خَزْيًا، أَمَّا خَيْمَةُ الأَشْرَارِ فَلاَ تَكُونُ».

لأنك بار ستأتي ساعة يمنحك الله الفرح ويُخرس من يكرهوك، ويُسقط الأشرار.

يبدو بلدد بكلماته الأخيرة وكأنه يعتذر عن بدايته العنيفة فيصبح أكثر مودة. إن النص يثير اعجابنا بفهمه العميق للنفس البشرية، **فالشخصيات المتحاورة ليست دمى خشبية بل بشر تتقلب مشاعرهم ومواقفهم**، وقد أجد جزءاً من نفسي في واحد منهم.

الأصحاح التاسع

الإنسان دائماً مذنب أمام الله، (ولكن لماذا؟)

ليس السبب هو الاستعداد الغريزي لدى الإنسان لارتكاب الشر، لكن السبب هو أنه مهما كان الإنسان باراً فبرُّه لا يقارن بقداسة الله المطلقة، لكن أيوب من خلال بليته، يرى أن السبب هو غطرسة القدرة الإلهية (حاشا). **هكذا ينظر أيوب إلى الله!!**

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ صَحِيحٌ. قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَا، فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ؟
٣ إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ، لاَ يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ.
٤ هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟

حتى أحكم وأقوى البشر لا يمكن أن يواجهوا الله ويخرجوا سالمين، وإن حاول إنسان أن يقارع الله بالحجة، لا يجيبه الله ولو عن سؤال واحد من كل ألف سؤال.

٥ الْمُزَحْزِحُ الْجِبَالَ وَلاَ تَعْلَمُ، الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ. (نماذج من قدرة الله المطلقة)
٦ الْمُزَعْزِعُ الأَرْضَ مِنْ مَقَرِّهَا، فَتَتَزَلْزَلُ أَعْمِدَتُهَا. (أعمدة الأرض = الجبال عند القدماء)
٧ الآمِرُ الشَّمْسَ فَلاَ تُشْرِقُ، وَيَخْتِمُ عَلَى النُّجُومِ. (الكسوف والخسوف)
٨ الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ، وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ. (خالق السموات والبحار)
٩ صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالثُّرَيَّا وَمَخَادِعِ الْجَنُوبِ. (أسماء لنجوم وكواكب)
١٠ فَاعِلُ عَظَائِمَ لاَ تُفْحَصُ، وَعَجَائِبَ لاَ تُعَدُّ. (الله يفعل عظائم لا تحصى)

إن أيوب يصف قدرة الله بشئ من التفصيل تمهيداً لطرح قضية خطيرة حقاً هي:

لا أخلاقية القدرة المطلقة:

أن الله قوي جداً، مرعب جداً، لا يواجهه أحد وينجو. هل من الممكن لهذه القدرة أن تتحاشي الظلم، ولو أخطأ الله فمن يجرؤ على الحساب أو المراجعة.

إن هذا الفكر يتجاهل مبدأ من المسلمات: أن الله لا يخطئ، ولكن مشكلة الإنسان أنه لا يستطيع أن يفسر كثيراً مما يحدث حوله في الكون ويراه بعيداً عن العدالة.

١١ «هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلاَ أَرَاهُ، وَيَجْتَازُ فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ.
لا أراه،.. لا أشعر به (لا استوعبه). الله فوق أرضي: فكيف نحاسبه، إن كنا لا نلمسه أو نعلم أين هو، أو بأي أسلوب يصدر قراراته (قارن: لو ٢١: ٣٥).
١٢ إِذَا خَطَفَ فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟
١٣ اللهُ لاَ يَرُدُّ غَضَبَهُ. يَنْحَنِي تَحْتَهُ أَعْوَانُ رَهَبَ. (رهب = لوياثان = قوي الشر)
١٤ كَمْ بِالأَقَلِّ أَنَا أُجَاوِبُهُ وَأَخْتَارُ كَلاَمِي مَعَهُ؟
١٥ لأَنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لاَ أُجَاوِبُ، بَلْ أَسْتَرْحِمُ دَيَّانِي.

هوذا يخطف **(يميت)** فمن يستطيع أن يوقف غضبه **(يرده)**، وحتى قوى الشر تخضع أمامه، فكم وكم أنا، **فمن يجسر أن يقاومه أو ينتقد أفعاله؟! ورغم أني برئ، فلا استطيع أن أدافع عن نفسي، بل استرحم من يتهمني (يدينني).**

يرسم أيوب صورة دعوى قضائية، **وهو متهم بلا فرصة للدفاع عن نفسه، أو حتى لأن يسمعه أحد. أيوب مصمم على أنه برئ ومتهم ظلماً، فيلجأ إلى طلب الرحمة** من قاضيه (من سيصدر الحكم عليه).

لكن يبدو أن أيوب يستنكف التذلل، **ويطلب البراءة عن حق، وليست كهبة أو منحة.** ورغم أن أيوب يدرك جيداً معنى النعمة (هبة) إلا أنه **يطلب أن يكون تعامله مع الله على قدم المساواة، من الناحية القانونية، لأن المساواة في القدرة مستحيلة.** حقاً إن كبرياء الإنسان تقوده إلى مواقف مهلكة، وتحرمه من هبات ينالها المتضعون.

١٦ لَوْ دَعَوْتُ فَاسْتَجَابَ لِي، لَمَا آمَنْتُ بِأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتِي.
{ترجمة أخرى: إن أنا دعوته فأجابني، فهل تراه يستمع لقولي}
قد يسمعني ولكني لا أظن أنه يعطي إذناً لحجتي، ولا أصدق أنه سيهتم بكلامي، **إن انتظار رحمة الله مجرد وهم، أما الحقيقة الملموسة فهي أن الله يسحقني بلا سبب:**

١٧ ذَاكَ الَّذِي يَسْحَقُنِي بِالْعَاصِفَةِ، وَيُكْثِرُ جُرُوحِي بِلاَ سَبَبٍ.
{ترجمة أخرى: يسحقني كشعرة، ويكثر جروحي لسبب بسيط أو تافه}
١٨ لاَ يَدَعُنِي آخُذُ نَفَسِي، وَلكِنْ يُشْبِعُنِي مَرَائِرَ.
١٩ إِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ، يَقُولُ: هأَنَذَا.
وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُحَاكِمُنِي؟
يسحقني لأسباب لا تستحق كل هذا، ولا يتركني استعيد أنفاسي، لكنه يملأني مرارة، **فهو يعلم أنه لا يوجد من ينافسه، في القوة أو في الدعوى، فمن يملك أن يحاكمه.**

الإنسان لعبة في يد القدر

٢٠ إِنْ تَبَرَّرْتُ يَحْكُمُ عَلَيَّ فَمِي، وَإِنْ كُنْتُ كَامِلاً يَسْتَذْنِبُنِي. (يلفق لي ذنوباً)
٢١ «كَامِلٌ أَنَا. لاَ أُبَالِي بِنَفْسِي. رَذَلْتُ حَيَاتِي. (تقززت من حياتي)

إن الإحساس بالظلم يجعل أيوب ينطق بأحرَّ احتجاجاته، **فهو يرى أنه أمام إله متعسف، فيخشى أيوب أن يدينه كلامه هو شخصياً،** فهو واثق من أنه كامل (يكررها في ع ٢٠-٢٢). إن ثقته القوية ببراءته بالإضافة إلى معاناته النفسية والجسدية ينشئان انفعالاً يدفعه إلى تكرار الصراخ، حتى أنه **يزعم** عدم مبالاته بحياته. لقد وصل الأمر بأيوب إلى الاعتقاد أن الله سيلفق له التهم! (أنظر ١٤: ١٧).

٢٢ هِيَ وَاحِدَةٌ. لِذلِكَ قُلْتُ: إِنَّ الْكَامِلَ وَالشِّرِّيرَ هُوَ يُفْنِيهِمَا.
٢٣ إِذَا قَتَلَ السَّوْطُ بَغْتَةً، يَسْتَهْزِئُ بِتَجْرِبَةِ الأَبْرِيَاءِ.
تتصاعد حدة أيوب لتقارب التجديف، فالله لا يفرق في المعاملة بين البار والشرير، فهو ليس ظالماً فحسب، بل إنه مجرد من الشفقة حتى أنه يسخر من آلام الأبرياء!

٢٤ الأَرْضُ مُسَلَّمَةٌ لِيَدِ الشِّرِّيرِ. يُغَشِّي وُجُوهَ قُضَاتِهَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ، فَإِذًا مَنْ؟
والله مسئول أيضاً عن الظلم والقهر، فألقي بالأرض في قبضة الشرير، وحجب العدل عن عيون القضاة، وأن لم يكن الله هو الذي يفعل ذلك أو يسمح به، فمن المسئول؟!
لكن السفر لن ينقضي قبل أن يوضح الله خطأ هذا الرأي والذي تكمن خطورته في:
١- أنه يقدم مبرراً لشرور الإنسان فمهما فعل فلن يسئ أكثر من الله، فقد يخطئ في حق فرد أو مجموعة، أما الله فيخطئ كل يوم في حق البشر جميعاً.
٢- أنه يقدم أساساً لاهوتياً للمقولة «كل شئ مقدَّر ومكتوب مسبقاً فلا مبرر للحساب!

أما من سبيل إلى البراءة؟
٢٥ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنْ عَدَّاءٍ، تَفِرُّ وَلاَ تَرَى خَيْرًا.
٢٦ تَمُرُّ مَعَ سُفُنِ الْبَرْدِيِّ. كَنَسْرٍ يَنْقَضُّ إِلَى قَنَصِهِ.
٢٧ إِنْ قُلْتُ: أَنْسَى كُرْبَتِي، أُطْلِقُ وَجْهِي وَأَتَبَلَّجُ،
٢٨ أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي عَالِمًا أَنَّكَ لاَ تُبَرِّئُنِي.
٢٩ أَنَا مُسْتَذْنَبٌ، فَلِمَاذَا أَتْعَبُ عَبَثًا؟
أن النص يثبت مرة أخرى فهمه للنفس، فما أن فاه أيوب بهذا التجديف (ع ٢٤)، مخاطراً بحياته، حتى يظهر فوراً خوفه من الموت، وأن حياته ستمضي سريعاً، ويكرر هذا في ثلاثة تشبيهات (ركض العداء، عبور السفن، انقضاض النسر). **وعندما يحاول أن يتناسى كربته، تغلبه آلامه، فيعود بصلاة يائسة، عالماً أن الله لن يخلي سبيله.** إن هذه الصلاة تقوده إلى حيرة فلسفية، **ما معنى الحياة؟ لماذا أتعب عبثاً؟**
٣٠ وَلَوِ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ، وَنَظَّفْتُ يَدَيَّ بِالإِشْنَانِ، (نبات كان يستخدم للتنظيف)
٣١ فَإِنَّكَ فِي النَّقْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي.

رغم أن أيوب يقرر أن الكامل والشرير يفنيان دون تمييز (٩: ٢٢)، وأن الله يضطهده ويستذنبه (٩: ٢٨)، **يعود فيعلن مضطراً، عجز الإنسان عن أن يخلص نفسه مما دبره له الله.** وها هو يحتاج إلى نعمة الخلاص، **وبينما يتوسل التائب: اغسلني فأبَّيض– مز ٥١: ٧»، يحتج أيوب «ولو غسلت نفسي.. سوف تغمسني في حفرة»**

- **أيوب، مثل داود، يدرك عجزه عن تطهير نفسه دون معونة،**
- **لكن أيوب، على عكس داود، لا يتخلى عن إمكانية التطهر الذاتي.**

مقاصد الله نحو الإنسان:

الحاجة إلى وسيط

٣٢ لأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِنْسَانًا مِثْلِي فَأُجَاوِبَهُ، فَنَأْتِي جَمِيعًا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ.
٣٣ لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا.
٣٤ لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ وَلاَ يَبْغَتْنِي رُعْبُهُ.
٣٥ إِذًا أَتَكَلَّمُ وَلاَ أَخَافُهُ، لأَنِّي لَسْتُ هكَذَا عِنْدَ نَفْسِي. (أيوب راضٍ عن نفسه)

وإذا بفكرة هائلة تقفز إلى ضمير أيوب! **إنه يقر بالهوة الشاسعة التي تفصل بين الله والإنسان، فكيف تلتقي الأرض مع السماء؟** ومن المستحيل أن يتواجه الله والإنسان معاً للفصل في القضية «**لأنه ليس إنساناً مثلي**». أما من وسيلة لحل هذه المعضلة؟ إن أيوب يستبعد الفكرة فوراً، لكن وهو على حافة اليأس، يتحسس طريقاً في الظلام، **في بحث ملتاعٍ عن وسيلة تجمع الله والإنسان وجهاً لوجه:**

مطلوب كائن خاص، ليس إلهاً وليس إنساناً «ليضع يديه على كلينا، يفهم مطالب الطرفين (الله والإنسان)، يمكنه أن يجعل كل منهماً مفهوماً للآخر، يقرب الخلاف، ويحول العداوة المتبادلة إلى سلام. كائن يرفع عصا الله عن ظهر الشاكي فيتكلم دون ضغط أو إرهاب (٩: ٣٤). **إن النص يتجاوز مجرد تسوية عادلة لمطالب الطرفين، إن من يطلب مصالحاً** يضع يديه على الطرفين ليس مجرد باحث عن الإنصاف، بل **يتوق إلى السلام، ويتعطش للمحبة، إن أيوب يلمس** – بأعمق مما يدرك هو نفسه – **جوهر مشكلة الإنسان وعطشه إلى حضور الله فيه.**

فجأة! يتوقف أيوب عن الاسترسال في حلم اليقظة هذا: ليست هذه هي حالتي، لأني لا أرى نفسي كذلك «**لست هكذا عند نفسي**». هل يرى أيوب نفسه أضعف من القيام بهذا الدور، أم يعجز عن أن يتخيل الله يقبل موقف مثل هذا؟ لا ندري، كل ما ندريه أنه سرعان ما ينتقل من الأحلام المحلقة إلى النكوص في بقية حديثه:

الأصحاح العاشر

هل يتصرف الله كإنسان ؟

١ «قَدْ كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي. أُسَيِّبُ شَكْوَايَ. أَتَكَلَّمُ فِي مَرَارَةِ نَفْسِي
٢ قَائِلاً لِلهِ: لاَ تَسْتَذْنِبْنِي. فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي!
٣ أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ، أَنْ تُرْذِلَ عَمَلَ يَدَيْكَ، وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الأَشْرَارِ؟

أيوب: سوف أتكلم بحرية، وأطلق «أسيِّب» شكواي، لكني أتوسل ألا تدينني قبل أن تعرِّفني ما هي تهمتي. **يا إلهي: هل تستمتع بالظلم**، وترفض عمل يديك وتجد السرور «**تشرق**» في تصرفات الأشرار {اضطهاد الأبرار يستتبعه بالضرورة نجاح الأشرار}.

٤ أَلَكَ عَيْنَا بَشَرٍ، أَمْ كَنَظَرِ الإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟
٥ أَأَيَّامُكَ كَأَيَّامِ الإِنْسَانِ، أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ، (هل تساويني بنفسك)
٦ حَتَّى تَبْحَثَ عَنْ إِثْمِي وَتُفَتِّشَ عَلَى خَطِيَّتِي؟ (وتحاسبني على هذا الأساس؟)
٧ فِي عِلْمِكَ أَنِّي لَسْتُ مُذْنِبًا، وَلاَ مُنْقِذَ مِنْ يَدِكَ. (رغم أنك تعلم براءتي)

بعد أن كان أيوب يتمنى إلهاً يتفهم ضعفات الإنسان، إذا به ينعكس إلى هذه الكوميديا السوداء: إله يسلك كإنسان، فيظلم الآخرين! وكأنما أيام (عمر) الله مثل عمر الإنسان، فيتعجل – وقد يظلم بسبب تعجله – ليعاقب الإنسان المذنب قبل أن يموت ويفلت من يديه. أيوب: **وها أنت تفتش باحثاً عن خطيتي. هل تعذبني لتنتزع مني اعترافاً بالذنب، رغم علمك ببراءتي! ولماذا كل هذا التسرع ؟ رغم تأكدك أنه لا يوجد إنسان يمكنه أن يفلت من قبضتك؟**

الصانع وعمل يديه:

٨ «يَدَاكَ كَوَّنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا، أَفَتَبْتَلِعُنِي؟
٩ اُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ، أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟
١٠ أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّبَنِ، وَخَثَّرْتَنِي كَالْجُبْنِ؟
١١ كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ.
١٢ مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي.

يقسو الفنان على صنع يديه «١٠: ٣»، فيهجر خليقته ويسحقها. أيوب يتكلم كطفل يرتعد إذ يتخلى عنه من تبناه، وليس له آخر يرعاه، بل أسوأ : كطفل يخشى أن يقتله أبوه الذي يأمن إليه. وبعد أن يشرح – كإبن محبط– العناية التي يخلق بها الله إنساناً، **وبدلاً من أن يطالب بحقه في الحياة، يحاول الإبن أن يستدعي أي تعاطف قد يكون كامناً في نفس هذا الأب.** ولنلاحظ الإصرار على صيغة المخاطب «**أنت .. يداك .. كونتاني ... صنعتني» كأنما يلزم الخالق بالمسئولية عن خليقته.**

الصياد القاسي:

١٣ لكِنَّكَ كَتَمْتَ هذِهِ فِي قَلْبِكَ. عَلِمْتُ أَنَّ هذَا عِنْدَكَ:
١٤ إِنْ أَخْطَأْتُ تُلاَحِظُنِي وَلاَ تُبْرِئُنِي مِنْ إِثْمِي.
١٥ إِنْ أَذْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي، وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لاَ أَرْفَعُ رَأْسِي. إِنِّي شَبْعَانُ هَوَانًا وَنَاظِرٌ مَذَلَّتِي.
١٦ وَإِنِ ارْتَفَعَ تَصْطَادُنِي كَأَسَدٍ، ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَلَيَّ.
١٧ تُجَدِّدُ شُهُودَكَ تُجَاهِي، وَتَزِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ. نُوبٌ وَجَيْشٌ ضِدِّي.

أيوب: لكن كل هذا لا يظهر في تعاملك معي، **فرغم أنك صنعتني ورغم أن كل ما أقوله معلوم لديك، إلا أنك لن تعفيني من العقاب لو أخطأت.** إن تعمدت الخطأ فيومي أسود! وإن كنت بريئاً، لا أملك أن أرفع رأسي، لأني مشبع بالهوان، وأرى بعيني مذلتي. وإن حاولت النهوض رغم ألمي، تتربص بي كأسد، ثم تعود لتفرض عليَّ جبروتك وتجدد هجماتك ضدي، تجلب شهوداً جدداً إلى محاكمتي. تشدد غضبك وجيوشك تتناوب ضدي (قارن ٦: ٤) (نوب = جمع نوبة مثل نوبات الحراسة).

طلب هدنة قبيل الموت:

١٨ «فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنْتُ قَدْ أَسْلَمْتُ الرُّوحَ وَلَمْ تَرَنِي عَيْنٌ!
١٩ فَكُنْتُ كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ، فَأُقَادَ مِنَ الرَّحِمِ إِلَى الْقَبْرِ.
٢٠ أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ اتْرُكْ! كُفَّ عَنِّي فَأَتَبَلَّجَ قَلِيلاً، (أتبلج = ابتهج)
٢١ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلاَ أَعُودَ. إِلَى أَرْضِ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ،
٢٢ أَرْضِ ظَلاَمٍ مِثْلِ دُجَى ظِلِّ الْمَوْتِ وَبِلاَ تَرْتِيبٍ، وَإِشْرَاقُهَا كَالدُّجَى».

ما قيمة هذه الحياة ألم يكن أفضل لي لو ولدت ميتاً، كأن لم أكن، فأسير من مولدي إلى مماتي مباشرة. فلنصنع هدنة في الأيام القليلة الباقية: اتركني لأرتاح قليلاً، قبل رحلتي التي بلا عودة، إلى أرض العدم، بل إن النور فيها كالظلام.

إن نعمة الله تخفي مطالب صعبة، فالإنسان مسئول عن كل أعماله أمام الله. إن الحقيقة المخيفة التي تكشفها شكوى أيوب هي: أن على الإنسان – بإرادته الحرة– أن يعيش في سلام مع الله، بينما هو يشعر أنه ليس مطلق الحرية، فهو معرض لضربات من القدر ، قد تأتي من الطبيعة، أو من أخطاء أناس لا يعرفهم، فيجد نفسه خاضعاً لإرادة خفية كثيرة المطالب، هذه الإرادة الخفية تجعله في حيرة، وتمتحن ضميره في كل تصرف. بينما لا تعطيه أية ضمانات يستند إليها، فمن يضمن استجابة صلواته أو أنه بار بقدر يرضي الله.

الأصحاح الحادي عشر

معصية أيوب:

١ فَأَجَابَ صُوفَرُ النَّعْمَانِيُّ وَقَالَ: ٢«أَكَثْرَةُ الْكَلاَمِ لاَ يُجَاوَبُ، أَمْ رَجُلٌ مِهْذَارٌ يَتَبَرَّرُ؟
٣ أَصَلَفُكَ يُفْحِمُ النَّاسَ، أَمْ تَلْغُو وَلَيْسَ مَنْ يُخْزِيكَ؟
٤ إِذْ تَقُولُ: تَعْلِيمِي زَكِيٌّ، وَأَنَا بَارٌّ فِي عَيْنَيْكَ.
٥ وَلكِنْ يَا لَيْتَ اللهَ يَتَكَلَّمُ وَيَفْتَحُ شَفَتَيْهِ مَعَكَ،
٦ وَيُعْلِنُ لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ! إِنَّهَا مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ يُغْرِمُكَ بِأَقَلَّ مِنْ إِثْمِكَ

صوفر: أتظن أنك بكثرة الكلام ستعجزني عن الرد، أم لأنك ثرثار ستبرر نفسك؟ أتظن أن أكاذيبك ستفحمنا، أم تتهكم وليس من يخجلك؟ تقول أن آرائي سليمة وأنك بار، **لكن ليت الله يتكلم، لأنك لا تقبل بكلام أحد، فيعلن لك الاسرار**، ومهما كانت حكمتك ستتضاعف،

فتعلم أن الله يعاقبك بأقل مما تستحق. **أخيراً! الاتهام يقال صراحة: أليفاز يلمح، وبلدد يدين الأبناء، وها هو صوفر يهاجم أيوب مباشرة، إن درجة الإدانة تتصاعد، وبينما يقول أيوب أنه برئ، يرد صوفر: أنت تستحق أسوأ من هذا!**

لانهائية الله:

بينما يُرجع «أليفاز» موقفه إلى رؤيا، ويلجأ «بلدد» إلى حكمة القدماء، **يستخدم «صوفر» حجة شائعة ضد الملحدين: الله أعظم من عقولنا فكيف نحاول أن نفهم أحكامه.** لكن صوفر ليس رجلاً دارساً للعقيدة، فيناقض نفسه: **إن كان يرى أن ايوب تنقصه أسرار الحكمة لأنه مجرد إنسان، فمن أين أتى بها صوفر ليعلم أن ايوب مذنب؟**

٧ «أَإِلَى عُمْقِ اللهِ تَتَّصِلُ، أَمْ إِلَى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟
٨ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعْمَقُ مِنَ الْهَاوِيَةِ، فَمَاذَا تَدْرِي؟
٩ أَطْوَلُ مِنَ الأَرْضِ طُولُهُ، وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ.

لاحظ بلاغة صوفر في استخدام الأبعاد الأربعة (أعلى، أعمق، أطول، أعرض)

١٠ إِنْ بَطَشَ أَوْ أَغْلَقَ أَوْ جَمَّعَ، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟
١١ لأَنَّهُ هُوَ يَعْلَمُ أُنَاسَ السُّوءِ، وَيُبْصِرُ الإِثْمَ، فَهَلْ لاَ يَنْتَبِهُ؟
١٢ أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإِنْسَانُ.(الفرا = حمار الوحش)

من يستطيع أن يفحص أعماق الله (جوهره)، فماذا يمكنك أن تفعل؟. ومهما فعل الله: إن غيَّر أو بدَّل فمن يوقفه أو يتصدى له (وهو ما يدركه أيوب تماماً)، لكن صوفر يرى أن **أيوب أخطأ عندما افترض أن الله لا يفرق بين البار والشرير.** فحتى الآثام التي لا يراها أحد ينتبه إليها الله. **إنك تتساءل عن دوافع الله ليضربك، لكن الإنسان** (والمقصود ايوب) **يفتقر القدرة على استيعاب الله، بل يولد بلا فهم كحمار الوحش!**

بركات العودة إلى الطريق المستقيم:

١٣ «إِنْ أَعْدَدْتَ أَنْتَ قَلْبَكَ، وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ.
١٤ إِنْ أَبْعَدْتَ الإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ، وَلاَ يَسْكُنُ الظُّلْمُ فِي خَيْمَتِكَ،

إن جددت فكرك وصليت إليه، إن تركت الإثم والظلم... **مقولات بديعة صادرة عن اقتناع لا**

شك فيه، لكنها مؤسسة على الأخلاق المألوفة، أنه بأعمالك تنال الخلاص. وكذا يظهر إصرار صوفر على إدانة أيوب (الإثم في يدك، الظلم في خيمتك).

١٥ حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلاَ عَيْبٍ، وَتَكُونُ ثَابِتًا وَلاَ تَخَافُ.
١٦ لأَنَّكَ تَنْسَى الْمَشَقَّةَ. كَمِيَاهٍ عَبَرَتْ تَذْكُرُهَا.
١٧ وَفَوْقَ الظَّهِيرَةِ يَقُومُ حَظُّكَ. الظَّلاَمُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا.
١٨ وَتَطْمَئِنُّ لأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ. تَتَجَسَّسُ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ آمِنًا. (تتجسس = تنظر بدقة)
١٩ وَتَرْبِضُ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى وَجْهِكَ كَثِيرُونَ.
٢٠ أَمَّا عُيُونُ الأَشْرَارِ فَتَتْلَفُ، وَمَنَاصُهُمْ يَبِيدُ، وَرَجَاؤُهُمْ تَسْلِيمُ النَّفْسِ».

وقتها تسترد كرامتك وأمانك، والشقاء يصبح مجرد ذكرى، وتتجلى حياتك «حظك» أوضح من الظهيرة والظلام يصبح نهاراً (قارن: «أرضٌ... إشراقها كالدجي» أي نهارها مظلم مثل الليل ١٠: ٢٢)، وتسترد الأمل، وتتطلع حولك فتشعر أنك محروس فتنام آمناً، وتسكن دون أن يزعجك أحد، ويأتي إليك كثيرون يطلبون إحسانك. أما الأشرار فيهلكون، ولا يجدون مهرباً، ولا يرجون إلا الموت «**تسليم النفس**».

النص يضع مقابلة بين الهاوية حيث يصبح النهار ليلاً، وبين الحياة تحت جناحي الرب فيصبح الليل نهاراً.

الأصحاح الثاني عشر

ملاحظات على ما هو ظاهر في الدنيا من أسلوب العناية الإلهية:

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢صَحِيحٌ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ شَعْبٌ وَمَعَكُمْ تَمُوتُ الْحِكْمَةُ!
٣ غَيْرَ أَنَّهُ لِي فَهْمٌ مِثْلَكُمْ. لَسْتُ أَنَا دُونَكُمْ. وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِثْلُ هذِهِ؟

أيوب: حقا انكم أناس احتكرتم الحكمة، وبعد موتكم ستختفي الحكمة معكم (تهكم واضح) **لكني لا أقل عنكم فهماً** (رد على ١١: ١٢)، إن فكري لا يقل عنكم. «**ومن ليس عنده مثل هذه**»، **فهذه الحكمة التي تدَّعونها مجرد معلومات عامة.** ثم يثير أيوب ثلاثة قضايا مرة واحدة. حقاً، ما أبدع هذا السفر الثمين!

٤ رَجُلاً سُخْرَةً لِصَاحِبِهِ صِرْتُ. دَعَا اللهَ فَاسْتَجَابَهُ. سُخْرَةٌ هُوَ الصِّدِّيقُ الْكَامِلُ.
٥ لِلْمُبْتَلِي هَوَانٌ فِي أَفْكَارِ الْمُطْمَئِنِّ، مُهَيَّأٌ لِمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ.

أولا: إذا طلب شخصٌ معونة الله «دَعَا اللهَ فَاسْتَجَابَهُ» فإذا بالله يضربه، يصبح مادة للسخرية بين أصدقائه، لأن صلاته ليست فقط بلا جدوى بل جلبت عليه المصائب، وبالتالي كيف يزعم هذا الشخص أنه بار. **وهنا يحتار أيوب: إن بره وحيوده عن الشر كانا بلا ثمر، فينهار الفهم الشائع أن التأديب للأشرار فقط، فها هو يُنزل بالبار.**

ثانياً: الذين يتمتعون بالأمان يملكون أن يسخروا ممن ضربته الكوارث، وأن يقللوا من شأن مصيبته، بل وقد يضعون عليه اللوم. فقد يصاب شخص من جراء زلزال في منطقة ما، ولن يعدم شخصاً يقول له: «وإيه بس اللي وداك هناك!». وإن تعرض بائس لتجربة من الله، يعتبر البعض هذا تصريحاً لهم بأن يذلوه هم أيضاً (وهل نحن أحنّ عليه من خالقه). **في الغابة وفي المجتمع أيضاً يُفترس الضعيف** لمجرد أنه ضعيف، **ويتعالى الناس على الفقير، ويرون في حياته المرتبكة حجة على أن السماء قد تخلت عنه، وإذا بكثيرين ينضمون إلى الحزب الذي يزدري هذا التعس.** إن النص هنا يندد بنسق كريه من القيم، كريه حقاً وإن حاول البعض تجميله بفكر ملتوٍ، ويصل الأمر بمن يذهب للعزاء فيقول للأسرة المكلومة: لماذا لم تحضروا طبيباً! وكأنهم في انتظار نصيحة منه أو من غيره حتى يهتموا بأحبائهم!

ثالثاً: إله حسب الطلب!

٦ خِيَامُ الْخَرِّبِينَ مُسْتَرِيحَةٌ، وَالَّذِينَ يُغِيظُونَ اللهَ مُطْمَئِنُّونَ، الَّذِينَ يَأْتُونَ بِإِلهِهِمْ فِي يَدِهِمْ!

ليس فقط كثيرٌ من الأشرار لا يطالهم التأديب الإلهي، بل وحتى من يتحدون الله، **ويصنعون لأنفسهم إلهاً حسب أهوائهم.** إن الوثنيين ليسوا فقط من يرفضون الخضوع لإرادة الله، بل هم **الذين يحاولون أن يستعملوا الله لتحقيق مآربهم، ويتلاعبون بالعقائد من أجل مكاسب شخصية.** كمن يرتكبون جرائم، ثم ينسبون كل فعل إلى إرادة الله، مرددين: ألم يسمح الله بحدوث هذه الجرائم؟!

رؤية للكون:

٧ «فَاسْأَلِ الْبَهَائِمَ فَتُعَلِّمَكَ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ فَتُخْبِرَكَ. (قدرة الله ندركها من الخليقة)

٨ أَوْ كَلِّمِ الأَرْضَ فَتُعَلِّمَكَ، وَيُحَدِّثَكَ سَمَكُ الْبَحْرِ. (ونعلم أيضاً أن حياة الكل في يده)

٩ مَنْ لاَ يَعْلَمُ مِنْ كُلِّ هؤُلاَءِ أَنَّ يَدَ الرَّبِّ صَنَعَتْ هذَا؟ (فهو الذي خلق كل شئ)

١٠ الَّذِي بِيَدِهِ نَفْسُ كُلِّ حَيٍّ وَرُوحُ كُلِّ الْبَشَرِ. (كلامك مكرر يا صوفر)

١١ أَفَلَيْسَتِ الأُذُنُ تَمْتَحِنُ الأَقْوَالَ، كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَسْتَطْعِمُ طَعَامَهُ؟
١٢ عِنْدَ الشَّيْبِ حِكْمَةٌ، وَطُولُ الأَيَّامِ فَهْمٌ. (في سنك هذه كان ينبغي أن تكون أكثر حكمة) إن قدرة الله معلنة ومُدركة في خليقته وبيده حياة كل شئ، ولعل أيوب يؤنب صوفر: إذا كانت البهائم يمكنها أن تعلمك هذا! تأتي لتقول لي إن الحكمة تكتسب من خبرات الحياة، **يا أخي قل لي شيئاً لا أعلمه،** فإن أذني تزن الأقوال كما يتذوق فمي الطعام.

حاكم متعسف للبشر:
١٣ عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ.
١٤ هُوَذَا يَهْدِمُ فَلاَ يُبْنَى. يُغْلِقُ عَلَى إِنْسَانٍ فَلاَ يُفْتَحُ.
١٥ يَمْنَعُ الْمِيَاهَ فَتَيْبَسُ. يُطْلِقُهَا فَتَقْلِبُ الأَرْضَ.
١٦ عِنْدَهُ الْعِزُّ وَالْفَهْمُ. لَهُ الْمُضِلُّ وَالْمُضَلُّ. (المُضِل يضلل الناس. المُضَل ضحية التضليل)
١٧ يَذْهَبُ بِالْمُشِيرِينَ أَسْرَى، وَيُحَمِّقُ الْقُضَاةَ.
١٨ يَحُلُّ مَنَاطِقَ الْمُلُوكِ، وَيَشُدُّ أَحْقَاءَهُمْ بِوِثَاقٍ.
١٩ يَذْهَبُ بِالْكَهَنَةِ أَسْرَى، وَيَقْلِبُ الأَقْوِيَاءَ. ٢٠ يَقْطَعُ كَلاَمَ الأُمَنَاءِ، وَيَنْزِعُ ذَوْقَ الشُّيُوخِ.
٢١ يُلْقِي هَوَانًا عَلَى الشُّرَفَاءِ، وَيُرْخِي مِنْطَقَةَ الأَشِدَّاءِ.
٢٢ يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ مِنَ الظَّلاَمِ، وَيُخْرِجُ ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ.
٢٣ يُكَثِّرُ الأُمَمَ ثُمَّ يُبِيدُهَا. يُوَسِّعُ لِلأُمَمِ ثُمَّ يُجْلِيهَا.
٢٤ يَنْزِعُ عُقُولَ رُؤَسَاءِ شَعْبِ الأَرْضِ، وَيُضِلُّهُمْ فِي تِيهٍ بِلاَ طَرِيقٍ.
٢٥ يَتَلَمَّسُونَ فِي الظَّلاَمِ وَلَيْسَ نُورٌ، وَيُرَنِّحُهُمْ مِثْلَ السَّكْرَانِ.

يتحدث أيوب عن قدرة الله بكلام لا جديد فيه، لكنه يمهد لقضية خطيرة: **إن العالم يظهر القدرة المطلقة لله لكنه لا يُظهر عدالته بنفس القدر**، الله هو المنشئ الوحيد لكل ما يحدث، **كل شئ في قبضته** حتى أعماق الكون، وليس فقط مصائر الأفراد، بل أيضاً صعود الأمم وسقوطها. إن الله **يحول القضاة إلى حمقى،** ويجعل الملوك والقادة عبيداً، ويلغي كلام الأمناء ويُفقد الشيوخ الحكمة، **الله يملك أن يهين الشرفاء ويضعف الأشداء، الله هو العلة وراء ضلال الناس ورشدهم. الله يفعل الشئ وعكسه!** لكن أيوب لا يخضع لهذا الوضع دون احتجاج. أن هذه الفقرة (ع ٧-٢٥) خير تمهيد لهجوم أيوب التالي:

الأصحاح الثالث عشر

أيوب يتحدى أصدقائه ثم يتحدى السماء!:

١ «هذَا كُلُّهُ رَأَتْهُ عَيْنِي. سَمِعَتْهُ أُذُنِي وَفَطِنَتْ بِهِ. ٢ مَا تَعْرِفُونَهُ عَرَفْتُهُ أَنَا أَيْضًا. لَسْتُ دُونَكُمْ.
٣ وَلكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَ الْقَدِيرَ، وَأَنْ أُحَاكِمَ إِلَى اللهِ.

كل ما تقولونه أنا أعرفه، فأنا لست أقل منكم فهماً، لكني أريد أن أكلم القدير وأن أحاكم أمامه، (فأنتم بمعرفتكم هذه، لا تصلحون قضاة لي).

٤ أَمَّا أَنْتُمْ فَمُلَفِّقُو كَذِبٍ. أَطِبَّاءُ بَطَّالُونَ كُلُّكُمْ.
٥ لَيْتَكُمْ تَصْمُتُونَ صَمْتًا. يَكُونُ ذلِكَ لَكُمْ حِكْمَةً.

أيوب يرفض آراء أصدقائه التي لا تشفي، فهم يلفقون له تهماً. **الصمت لكم حكمة!**

٦ اِسْمَعُوا الآنَ حُجَّتِي، وَاصْغُوا إِلَى دَعَاوِي شَفَتَيَّ.
٧ أَتَقُولُونَ لأَجْلِ اللهِ ظُلْمًا، وَتَتَكَلَّمُونَ بِغِشٍّ لأَجْلِهِ؟ ٨ أَتُحَابُونَ وَجْهَهُ، أَمْ عَنِ اللهِ تُخَاصِمُونَ؟
٩ أَخَيْرٌ لَكُمْ أَنْ يَفْحَصَكُمْ، أَمْ تُخَاتِلُونَهُ كَمَا يُخَاتَلُ الإِنْسَانُ؟
١٠ تَوْبِيخًا يُوَبِّخُكُمْ إِنْ حَابَيْتُمُ الْوُجُوهَ خِفْيَةً.
١١ فَهَلاَّ يُرْهِبُكُمْ جَلاَلُهُ، وَيَسْقُطُ عَلَيْكُمْ رُعْبُهُ؟
١٢ خُطَبُكُمْ أَمْثَالُ رَمَادٍ، وَحُصُونُكُمْ حُصُونُ مِنْ طِينٍ.

أيوب: أتدافعون عن الله ظلماً، **هل نصبتم أنفسكم محامين عنه، فتزيفون الكلام لأجله. هب أن الله فحصكم الآن، أيكون الحكم لصالحكم؟**، إنكم تستخفون به وكأنه إنسان يسهل خداعه، إن الله سيوبخكم بشدة لأنكم تحابونه. ألا تخشون الله؟ الذي لا يقبل أن تدافعوا عنه بأقوال غاشة. إن حججكم غير متماسكة (رماد وطين). **بعد أن صوَّر أيوب، الله كحاكم متعسف، يثق أنه الله سوف يوبخ الأصدقاء على مواقفهم، وهو تناقض مذهل، فبينما يؤكد أن الله ليس عادلاً ، ما زال يؤمن أنه سيؤدب المخاتلين.**

١٣ «اُسْكُتُوا عَنِّي فَأَتَكَلَّمَ أَنَا، وَلْيُصِبْنِي مَهْمَا أَصَابَ.
١٤ لِمَاذَا آخُذُ لَحْمِي بِأَسْنَانِي، وَأَضَعُ نَفْسِي فِي كَفِّي؟ (صارت روحي في طرف فمي)
١٥ هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ.
١٦ فَهذَا يَعُودُ إِلَى خَلاَصِي، أَنَّ الْفَاجِرَ لاَ يَأْتِي قُدَّامَهُ.

١٧ سَمْعًا اسْمَعُوا أَقْوَالِي وَتَصْرِيحِي بِمَسَامِعِكُمْ.
١٨ هأَنَذَا قَدْ أَحْسَنْتُ الدَّعْوَى. أَعْلَمُ أَنِّي أَتَبَرَّرُ.
١٩ مَنْ هُوَ الَّذِي يُخَاصِمُنِي حَتَّى أَصْمُتَ الآنَ وَأُسْلِمَ الرُّوحَ؟

أيوب: اسكتوا وانتبهوا لمَا سأقول، **سأخاطر بكل شئ حتى حياتي،** ولو ذبحني الله فلا أمل لي، **ورغم هذا سأدافع عن نفسي أمامه مباشرة،** وفي ذلك يكون خلاصي، لأن الكافر لا يتراءى أمامه. اسمعوني جيداً: لقد أعددت دعواي وأثق أنني سأنال البراءة، أما إن كان الله مصمماً على أن يعاديني، فسوف أصمت وأسلم الروح.

أيوب يعلم أن الله إذا أراد يستطيع أن يميته حالاً، لكن الخوف من الموت لن يخرسه، **إن شجاعته أو بالأحرى كبرياءه، تقويها ثقته في براءته. سيتكلم مها كان الثمن فليس لديه ما يخسره، لكنه قد يكسب كل شئ.** وإن أماته الرب، فهو على الأقل قد واجه خصمه الإلهي الذي يرفض أن يسمعه. ففي اللحظة التي يعتبر فيها أن موته لا مفر منه، **تبزغ له بارقة أمل: أنه سينال خلاصه إذا تمكن من مواجهة الله. إن مجرد السماح له بالوقوف أمام الله شهادةٌ له بأنه بار،** لأن الفاجر لا يثبت أمامه.

هناك بوادر تشير إلى تراجع أيوب عن ثقته المطلقة في كماله، وعن نظرته إلى الله. **إن الله قد يدمر إنساناً، ويبدو لنا ظالماً** (كما يظن أيوب)، **لكنه يظل إلهاً، لا يمكن أن يقترب إليه إلا الأبرار،** وكأنه يقول: طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. إن تقلب أفكار أيوب يمكن إرجاعه إلى: الطبيعة الإنسانية في مواقف اليأس، خاصةً وهو يعالج قضية صعبة: **كيف يمكن مواجهة القادر على كل شئ؟**

٢٠ إِنَّمَا أَمْرَيْنِ لاَ تَفْعَلْ بِي، فَحِينَئِذٍ لاَ أَخْتَفِي مِنْ حَضْرَتِكَ.
٢١ أَبْعِدْ يَدَيْكَ عَنِّي، وَلاَ تَدَعْ هَيْبَتَكَ تُرْعِبُنِي.
٢٢ ثُمَّ ادْعُ فَأَنَا أُجِيبُ، أَوْ أَتَكَلَّمُ فَتُجَاوِبُنِي.
٢٣ كَمْ لِي مِنَ الآثَامِ وَالْخَطَايَا؟ أَعْلِمْنِي ذَنْبِي وَخَطِيَّتِي.
٢٤ لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ، وَتَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَكَ؟
٢٥ أَتُرْعِبُ وَرَقَةً مُنْدَفِعَةً، وَتُطَارِدُ قَشًّا يَابِسًا؟
٢٦ لأَنَّكَ كَتَبْتَ عَلَيَّ أُمُورًا مُرَّةً، وَوَرَّثْتَنِي آثَامَ صِبَايَ،

٢٧ فَجَعَلْتَ رِجْلَيَّ فِي الْمِقْطَرَةِ، وَلاَحَظْتَ جَمِيعَ مَسَالِكِي، وَعَلَى أُصُولِ رِجْلَيَّ نَبَشْتَ.
(المقطرة = قيد مؤلم. راقبت كل تصرفاتي. تتبعت آثار قدميَّ)

٢٨ وَأَنَا كَمُتَسَوِّسٍ يَبْلَى، كَثَوْبٍ أَكَلَهُ الْعُثُّ.

إن ايوب وهو يشعر أن موته وشيك، يطالب بمحاكمة عاجلة، وأن يتقدم بدعواه إلى الله مباشرة دون وسيط، فيجعل من الله الخصم والقاضي في آن واحد، لكنه يشترط:

١- **ألا يرعبه الله فيعجز عن الكلام،** فالمحاكمة لا تستقيم إذا تعرض المتهم للضغط. إرفع يدك عني حتى أعرض شكواي.

٢- **أن يتحدث أيوب أولاً.** وهو مستعد لقبول أي من شكلي المحاكمة: **أن تتكلم أنت يالله فأجيب (أيوب متهماً)، أو أتكلم أنا فتجاوبني (أيوب شاكياً).**

وحيث أن الله صامت، يستمر أيوب في عرض شكواه (المتهم هنا هو الله!)، **لكن ثقته بالبراءة التي أكدها مراراً تبدو وقد اهتزت قليلاً، فيطلب من الله أن يعرِّفه فيم أخطأ.** لقد أجمع الكل على أن خطاياه هي سبب بليته، أيكونوا جميعاً مخطئين؟ أم أن هناك أشياء لا يدريها عن نفسه؟ لذا يطلب من الله أن يكشف له ما لا يراه في نفسه (ع٢٣).

لكن الله لا يجيب أيضاً، وإذا بالعملاق أيوب، وقد أوشك على الاستسلام، يستعيد قدراً من الثقة ويلجأ إلى مدخل آخر، فيسأل الرب:

أ- لماذا تحجب وجهك عني؟

ب- لماذا تحسبني عدواً لك؟

سؤالان لا يجيب عنهما الله، فيلجأ أيوب إلى الاسترحام:

ج- لقد أصبحت لا شئ (ورقة/قشاً/ ثوباً يبليه العث) أهذا اللاشئ يستحق ملاحقة إلهية؟ حتى أنك وضعتني في قيد مؤلم وراقبتني في كل طريق. **إن الإنسان أضعف من أن يحتمل هذه المطاردة التي تسعى لتصيد الأخطاء.**

د- هل السبب هو خطايا صباي؟ وحتى نزوات شبابي المبكر لا تتناسب مع صرامة العقاب. **إن أيوب يحاول يائساً أن يجد سبباً للضربات التي توالت عليه من الله.**

الأصحاح الرابع عشر

مصير الإنسان الفاني:

١ «اَلإِنْسَانُ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ، قَلِيلُ الأَيَّامِ وَشَبْعَانُ تَعَبًا.
٢ يَخْرُجُ كَالزَّهْرِ ثُمَّ يَنْحَسِمُ وَيَبْرَحُ كَالظِّلِّ وَلاَ يَقِفُ. (ينبت ويذوي ويمضي كظل عابر)
٣ فَعَلَى مِثْلِ هذَا حَدَّقْتَ عَيْنَيْكَ، وَإِيَّايَ أَحْضَرْتَ إِلَى الْمُحَاكَمَةِ مَعَكَ. (أمثل هذا تتابعه وتحاكمه؟) لاحظ تغيير الضمير من العام (جنس البشر) إلى الخاص (أيوب)
٤ مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لاَ أَحَدٌ!
٥ إِنْ كَانَتْ أَيَّامُهُ مَحْدُودَةً، وَعَدَدُ أَشْهُرِهِ عِنْدَكَ، وَقَدْ عَيَّنْتَ أَجَلَهُ فَلاَ يَتَجَاوَزُهُ،
٦ فَأَقْصِرْ عَنْهُ لِيَسْتَرِيحْ، إِلَى أَنْ يُسَرَّ كَالأَجِيرِ بِانْتِهَاءِ يَوْمِهِ.

الكل ولدوا في الخطية (النجاسة) بدون اختيار منهم، (ع ٤) والكل يقضي حياته عالماً أنه محكوم عليه بالموت بعد حياة قصيرة، وبلا أمل في مستقبل. إذ يؤكد أيوب عمومية نجاسة البشر، يلتمس ضمناً تفهم الله، فما دامت أيام الإنسان محدودة، وأجله معروف، فاتركه هذه الفترة الوجيزة حتى ينهي خدمته (تجنيده). { ليس المقصود مجرد النجاسة الطقسية في الإنسان، **بل المفهوم المستقر لدى البشرية: وهو الترابط العضوي بين الخطيئة الكامنة في طبيعة الإنسان، وحتمية موت كل بشر** }.

الإنسان يموت عندما يموت!

٧ «لأَنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءً. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفْ أَيْضًا وَلاَ تُعْدَمُ خَرَاعِيبُهَا.
٨ وَلَوْ قَدُمَ فِي الأَرْضِ أَصْلُهَا، وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِذْعُهَا، (وحتى لو بدت الشجرة ميتة)
٩ فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تُفْرِخُ وَتُنْبِتُ فُرُوعًا كَالْغِرْسِ. (ما أن يصلها قليل ماء حتى تحيا)
١٠ أَمَّا الرَّجُلُ فَيَمُوتُ وَيَبْلَى. الإِنْسَانُ يُسْلِمُ الرُّوحَ، فَأَيْنَ هُوَ؟
١١ قَدْ تَنْفَدُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرَةِ، وَالنَّهْرُ يَنْشَفُ وَيَجِفُّ، (البحرة = البحيرة)
١٢ وَالإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ وَلاَ يَقُومُ. لاَ يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لاَ تَبْقَى السَّمَاوَاتُ، وَلاَ يَنْتَبِهُونَ مِنْ نَوْمِهِمْ.

إذا قطعت الشجرة يبقى جذرها في الأرض لينمو ثانية، أما الإنسان فيفنى حين يسلم الروح، كما تتبخر المياة، والإنسان قد ينام فلا يستيقظ إلى الأبد. الخلاصة: لا رجاء!

الحياة بعد الموت:

١٣ «لَيْتَكَ تُوارِينِي فِي الْهَاوِيَةِ، وَتُخْفِينِي إِلَى أَنْ يَنْصَرِفَ غَضَبُكَ، وَتُعَيِّنُ لِي أَجَلاً فَتَذْكُرَنِي.
١٤ إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفَيَحْيَا؟ كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي.
١٥ تَدْعُو فَأَنَا أُجِيبُكَ. تَشْتَاقُ إِلَى عَمَلِ يَدِكَ.
١٦ أَمَّا الآنَ فَتُحْصِي خَطَوَاتِي، أَلاَ تُحَافِظُ عَلَى خَطِيَّتِي!
ترجمة أخرى: وقتها سوف تعتني بي في كل خطواتي، ولكنك لن تتبع خطاياي
١٧ مَعْصِيَتِي مَخْتُومٌ عَلَيْهَا فِي صُرَّةٍ، وَتُلَفِّقُ عَلَيَّ فَوْقَ إِثْمِي.
ترجمة أخرى: وستضع معصيتي في صُرة مغلقة وسوف تستر على خطاياي
ترجمة ثالثة: تحتفظ بمعصيتي لا تنساها وتضع عليَّ ما لا تضعه على أي مخلوق آخر

أيوب: لو كان الإنسان يحيا بعد الموت لانتظرت كل أيام شقائي، صابراً حتى يأتي الفرج (البَدَلْ)، كأسير إلى أن يطلق سراحه. لم لا تخفيني في الهاوية حتى يهدأ غضبك، وتحدد لي وقتاً لتتذكرني (حين يحين وقت إطلاقي). من أول ع ١٤، لا نرى تأملاً في القضية بل هي **مشاعر حبيب يحاول أن يحرك قلب محبوبه (تواريني .. تخفيني .. تذكرني .. تعتني بي في كل خطوة .. تدعوني .. تشتاق إليَّ)**. ليست إذن خدمة مجند أو أجير، بل هي أشبه بخدمة يعقوب المضنية لأجل حبيبة القلب راحيل. **حلم جميل: حياة بعد الموت، بلا شقاء ولا رقابة... سرعان ما يفيق منه أيوب!**

فناء بلا رجاء:

١٨ «إِنَّ الْجَبَلَ السَّاقِطَ يَنْتَثِرُ، وَالصَّخْرَ يُزَحْزَحُ مِنْ مَكَانِهِ.
١٩ الْحِجَارَةُ تَبْلِيهَا الْمِيَاهُ وَتَجْرُفُ سُيُولُهَا تُرَابَ الأَرْضِ، وَكَذلِكَ أَنْتَ تُبِيدُ رَجَاءَ الإِنْسَانِ.
٢٠تَتَجَبَّرُ عَلَيْهِ أَبَدًا فَيَذْهَبُ. تُغَيِّرُ وَجْهَهُ وَتَطْرُدُهُ. (ابداً = باستمرار)
٢١ يُكْرَمُ بَنُوهُ وَلاَ يَعْلَمُ، أَوْ يَصْغِرُونَ وَلاَ يَفْهَمُ بِهِمْ.
٢٢ إِنَّمَا عَلَى ذَاتِهِ يَتَوَجَّعُ لَحْمُهُ وَعَلَى ذَاتِهَا تَنُوحُ نَفْسُهُ».

إن أصلب الأشياء تبلي، فكم بالإنسان: فعمره قصير ولا أمل له في استمرار الوجود. تتجبر عليه باستمرار، فيموت، تنقلب سحنته (وقت الوفاة) ثم تطرده إلى الفناءالأبدي.

ينهي أيوب حديثه وهو أشد تشاؤماً: في البداية يشير إلى الموت كراحة (١٣: ٣)، والآن يواجه مكتئباً لانهائية الألم الممض. **في البداية كان متقبلاً إلى حد ما لموت خالٍ من الألم، وفي النهاية يقف وحيداً أمام هوة مظلمة بلا قاع،** وفي حالة من الرعب تجعله يبكي مشفقاً على نفسه، وعلى ذريته التي لا يدري كيف سيكون مصيرها.

حتى الآن أظهر الأصدقاء عجزهم التام عن تفهم القضية، لكنهم مازالوا يعتقدون أن أيوب يمكنه أن ينال خلاص الله وأن تخفف تعزياتهم آلامه، لكن التعالي الذي قدموا به نصائحهم عمق الهَّوة بينهم وبين أيوب. **من الآن فصاعداً تزداد لغة الحوار حدة،** وأليفاز الذي بدأ بأكثر الأساليب رقةً، نراه يطرح جانباً كل مجاملة.

الأصحاح الخامس عشر

أيوب يدين نفسه!

١ فَأَجَابَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَقَالَ:
٢ «أَلَعَلَّ الْحَكِيمَ يُجِيبُ عَنْ مَعْرِفَةٍ بَاطِلَةٍ، وَيَمْلأُ بَطْنَهُ مِنْ رِيحٍ شَرْقِيَّةٍ،
٣ فَيَحْتَجَّ بِكَلاَمٍ لاَ يُفِيدُ، وَبِأَحَادِيثَ لاَ يَنْتَفِعُ بِهَا؟
٤ أَمَّا أَنْتَ فَتُنَاقِضُ الْمَخَافَةَ، وَتُنَاقِضُ التَّقْوَى لَدَى اللهِ.
٥ لأَنَّ فَمَكَ يُذِيعُ إِثْمَكَ، وَتَخْتَارُ لِسَانَ الْمُحْتَالِينَ.
٦ إِنَّ فَمَكَ يَسْتَذْنِبُكَ، لاَ أَنَا، وَشَفَتَاكَ تَشْهَدَانِ عَلَيْكَ.

أليفاز: تزعم يا أيوب أنك تملك فهماً خاصاً بك، فهل الفهيم هو من يردد كلاماً خالياً من المعرفة والحكمة (أحاديث بلا نفع، كريح شرقية تهلك الزرع وتخنق الناس والبهائم، وتجلب الشقاء). **فهي معرفة مُخَرِبة، لأنها تخلخل التقوى، وتكسر المخافة** (تنتهك العهد)، **فقد كان وما زال الخوف من الله أساساً للتدين في بلاد الشرق.**

ومثل أي محقق في محكمة تفتيش، سرعان ما يشرع أليفاز سيف الاتهام (معصيتك تحركك). **لقد كشفت أقوالك عن إثمك، لذا تتحدث بلسان ملتو** (مثل الحية– تك ٣). أليفاز يرى أن أيوب قدم في دفاعه ما يدينه، فيخلي نفسه من مسئولية إصدار الحكم، **فأنا لا أدينك يا أيوب بل أنت تدين نفسك،** وكأننا نسمع قول رئيس الكهنة «لقد جدف، ما حاجتنا بعد إلى شهود– مت ٢٦: ٦٥».

أوهام أيوب وإهانات أليفاز!

٧ أَصُوِّرْتَ أَوَّلَ النَّاسِ أَمْ أُبْدِئْتَ قَبْلَ التِّلاَلِ ٨ هَلْ تَنَصَّتَّ فِي مَجْلِسِ اللهِ، أَوْ قَصَرْتَ الْحِكْمَةَ عَلَى نَفْسِكَ؟ ٩ مَاذَا تَعْرِفُهُ وَلاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ؟ وَمَاذَا تَفْهَمُ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَنَا؟

١٠ عِنْدَنَا الشَّيْخُ وَالأَشْيَبُ، أَكْبَرُ أَيَّامًا مِنْ أَبِيكَ. (الأشيب = على مشارف الشيخوخة)

١١ أَقَلِيلَةٌ عِنْدَكَ تَعْزِيَاتُ اللهِ، وَالْكَلاَمُ مَعَكَ بِالرِّفْقِ؟

قلت يا أيوب أن الحكمة عند الشيوخ (١٢: ١٢)، وما دمت تزعم أنك أحكم من الجميع، فلابد أنك خُلقت قبل الجميع! هكذا يسخر منه أليفاز (أم ٨: ٢٥). ثم تتوالى العبارات القاسية: **هل تجالس الله؟ أم احتكرت الحكمة،** إن أصغرنا سناً يفوق سن أبيك (وصلنا إلى الإهانة!)، **أتستخف بترفق أصدقائك معك؟ أتستهين حتى بتعزيات الله؟!**

١٢ لِمَاذَا يَأْخُذُكَ قَلْبُكَ؟ وَلِمَاذَا تَخْتَلِجُ عَيْنَاكَ (تلمع/تزوَّر/تغمز)

(أكثر الناس تضيق عيناه عندما يذهب فكره بعيداً)

١٣ حَتَّى تَرُدَّ عَلَى اللهِ وَتُخْرِجَ مِنْ فِيكَ أَقْوَالاً؟ (من أنت حتى تناقش الله؟!)

١٤ مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى يَزْكُو، أَوْ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ حَتَّى يَتَبَرَّرَ؟

١٥ هُوَذَا قِدِّيسُوهُ لاَ يَأْتَمِنُهُمْ، وَالسَّمَاوَاتُ غَيْرُ طَاهِرَةٍ بِعَيْنَيْهِ،

١٦ فَبِالْحَرِيِّ مَكْرُوهٌ وَفَاسِدٌ الإِنْسَانُ الشَّارِبُ الإِثْمَ كَالْمَاءِ!

هل نسيت أنك مجرد إنسان؟ لا تترك فكرك (قلبك) يأخذك بعيداً، ثم **يكرر أليفاز الحجج المستهلكة** أنه حتى القديسين وسكان السماوات ليسوا مثاليين في عيني الله، فبالأولى الإنسان الذي يرتكب الآثام دون غضاضة (كما يشرب الماء).

مصير الإنسان الشرير

١٧ أُوحِي إِلَيْكَ، اسْمَعْ لِي فَأُحَدِّثَ بِمَا رَأَيْتُهُ،

١٨ مَا أَخْبَرَ بِهِ حُكَمَاءُ عَنْ آبَائِهِمْ فَلَمْ يَكْتُمُوهُ.

١٩ الَّذِينَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ أُعْطِيَتِ الأَرْضُ، وَلَمْ يَعْبُرْ بَيْنَهُمْ غَرِيبٌ.

إفهمني! إسمع لأوضح لك ما رأيت: إنني لا اتحدث من عندياتي، بل بما استلمته من حكماء ورثوه من آباء هم الأصل في هذه الأرض دون تأثر بأي فكر غريب.

٢٠ الشِّرِّيرُ هُوَ يَتَلَوَّى كُلَّ أَيَّامِهِ، وَكُلَّ عَدَدِ السِّنِينَ الْمَعْدُودَةِ لِلْعَاتِي.
٢١ صَوْتُ رُعُوبٍ فِي أُذُنَيْهِ. فِي سَاعَةِ سَلاَمٍ يَأْتِيهِ الْمُخَرِّبُ. (رعوب = جمع رعب)
٢٢ لاَ يَأْمُلُ الرُّجُوعَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَهُوَ مُرْتَقَبٌ لِلسَّيْفِ.
٢٣ تَائِهٌ هُوَ لأَجْلِ الْخُبْزِ حَيْثُمَا يَجِدُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ يَوْمَ الظُّلْمَةِ مُهَيَّأٌ بَيْنَ يَدَيْهِ.
٢٤ يُرْهِبُهُ الضُّرُّ وَالضِّيْقُ. يَتَجَبَّرَانِ عَلَيْهِ كَمَلِكٍ مُسْتَعِدٍّ لِلْوَغَى.

إن الشرير (المفتري) يعيش حياته في حالة صعبة: مرتعب، بلا رجاء، يترقب نهايته في أية لحظة، يلهث وراء الخبز، وفي كل ضيقة يعاني، **وكأنه متأهب للحرب كل يوم.**

٢٥ لأَنَّهُ مَدَّ عَلَى اللهِ يَدَهُ، وَعَلَى الْقَدِيرِ تَجَبَّرَ (تعدى على الله وتكبر عليه)
٢٦ عَادِيًا عَلَيْهِ، مُتَصَلِّبُ الْعُنُقِ بِأَوْقَافِ مَجَانِّهِ مُعَبَّأَةً. (وقف المَجَنَّ = إطار الدرع)
٢٧ لأَنَّهُ قَدْ كَسَا وَجْهَهُ سَمْنًا، وَرَبَّى شَحْمًا عَلَى كِلْيَتَيْهِ،

في تصوير رائع: **من يخطئ كمن يتطاول على الله** (يمد على الله يده)، إن هذا يثبت أن الكبرياء هي أساس كل خطية. (قارن: الشر أمامك/في عينيك صنعت مز ٥١ : ٤).

٢٨ فَيَسْكُنُ مُدُنًا خَرِبَةً، بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ عَتِيدَةً أَنْ تَصِيرَ رُجَمًا.

يشير النص إلى المدن والبيوت التي يعمرها الأشرار كخرائب بحكم مصيرها المحتوم

٢٩ لاَ يَسْتَغْنِي، وَلاَ تَثْبُتُ ثَرْوَتُهُ، وَلاَ يَمْتَدُّ فِي الأَرْضِ مُقْتَنَاهُ.(كل ما له يتبدد)
٣٠ لاَ تَزُولُ عَنْهُ الظُّلْمَةُ. خَرَاعِيبُهُ تُيَبِّسُهَا السُّمُومُ، وَبِنَفْخَةِ فَمِهِ يَزُولُ.(نفخة من فم الله)
٣١ لاَ يَتَّكِلْ عَلَى السُّوءِ. يَضِلُّ. لأَنَّ السُّوءَ يَكُونُ أُجْرَتَهُ.(الجزاء من جنس العمل)
٣٢ قَبْلَ يَوْمِهِ يُتَوَفَّى، وَسَعَفُهُ لاَ يَخْضَرُّ.(يموت قبل أن يسلم الروح)
٣٣ يُسَاقِطُ كَالْجَفْنَةِ حِصْرِمَهُ، وَيَنْثُرُ كَالزَّيْتُونِ زَهْرُهُ. (وجوده غير مثمر)
٣٤ لأَنَّ جَمَاعَةَ الْفُجَّارِ عَاقِرٌ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ خِيَامَ الرَّشْوَةِ.
٣٥ حَبِلَ شَقَاوَةً وَوَلَدَ إِثْمًا، وَبَطْنُهُ أَنْشَأَ غِشًّا».

الشرير يسكن مدناً وبيوتاً محكوم عليها بالخراب، وكل ما يجمعه إلى زوال، لا نفع في الشر، فالشرير ميت بالفعل، وكنخلة سعفها لا يخضر، أو شجرة لا تثمر، أو إمرأة عاقر، وبأسلوب رفيع (حبل شقاوةً وولد إثماً). **إن أليفاز يخلط بين الحق السمائي وبين المعتقدات الشائعة، فمصير الشرير على الأرض ليس دائماً بهذه الصورة.**

الأصحاح السادس عشر

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ «قَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِثْلَ هذَا. مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ كُلُّكُمْ!
٣ هَلْ مِنْ نِهَايَةٍ لِكَلاَمٍ فَارِغٍ؟ أَوْ مَاذَا يُهَيِّجُكَ حَتَّى تُجَاوِبَ؟
٤ أَنَا أَيْضًا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ مِثْلَكُمْ، لَوْ كَانَتْ أَنْفُسُكُمْ مَكَانَ نَفْسِي، وَأَنْ أَسْرُدَ عَلَيْكُمْ أَقْوَالاً وَأُنْغِضَ رَأْسِي إِلَيْكُمْ. (أهز رأسي، كما يفعل عادة المتطوعين بتقديم النصيحة)
٥ بَلْ كُنْتُ أُشَدِّدُكُمْ بِفَمِي، وَتَعْزِيَةُ شَفَتَيَّ تُمْسِكُكُمْ.
٦ «إِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ تَمْتَنِعْ كَآبَتِي، وَإِنْ سَكَتُّ فَمَاذَا يَذْهَبُ عَنِّي؟

أيوب: انتم لا تسببون لي سوى الحزن والتعب، كفاكم كلاماً خاوياً، وأنت يا أليفاز ما الذي يغضبك، لو تبادلنا الأماكن لأستطعت أن أقول لكم كلاماً حلواً، مجرد تعزيات شفوية، في قضيتي الكلام أو السكوت لا يغير شيئاً أو يخفف من أحزاني.

٧ إِنَّهُ الآنَ ضَجَّرَنِي. خَرَّبْتَ كُلَّ جَمَاعَتِي. (ضجَّرني = ضيَّق خناقي)
٨ قَبَضْتَ عَلَيَّ. وُجِدَ شَاهِدٌ. قَامَ عَلَيَّ هُزَالِي يُجَاوِبُ فِي وَجْهِي.
٩ غَضَبُهُ افْتَرَسَنِي وَاضْطَهَدَنِي. حَرَقَ عَلَيَّ أَسْنَانَهُ. عَدُوِّي يُحَدِّدُ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ. (يركز عليَّ)
١٠ فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ. لَطَمُونِي عَلَى فَكِّي تَعْيِيرًا. تَعَاوَنُوا عَلَيَّ جَمِيعًا.
١١ دَفَعَنِيَ اللهُ إِلَى الظَّالِمِ، وَفِي أَيْدِي الأَشْرَارِ طَرَحَنِي.

لقد هد الله عزيمتي، ودمر جماعتي وخرَّب بيتي، ثم قيدني (في العبرية «قبض» تنطق «ق م ط» = أمسكني بقسوة) ويجلب شهوداً جدداً ضدي. قام يتهمني في وجهي الهزيل (من الألم)، أي **برغم ضعفي الواضح لم يشفق عليَّ،** بل أصَّر على ضربي وسلمني ليد الأشرار، **ثم يتوسع أيوب في وصف عذابه الذي يراه عداوة إلهية لا ترحم.**

١٢ كُنْتُ مُسْتَرِيحًا فَزَعْزَعَنِي، وَأَمْسَكَ بِقَفَايَ فَحَطَّمَنِي، وَنَصَبَنِي لَهُ غَرَضًا.
١٣ أَحَاطَتْ بِي رُمَاتُهُ. شَقَّ كُلْيَتَيَّ وَلَمْ يُشْفِقْ. سَفَكَ مَرَارَتِي عَلَى الأَرْضِ.
١٤ يَقْتَحِمُنِي اقْتِحَامًا عَلَى اقْتِحَامٍ. يَعْدُو عَلَيَّ كَجَبَّارٍ. (أنظر ٦: ٤ + ١٠: ١٧)
١٥ خِطْتُ مِسْحًا عَلَى جِلْدِي، وَدَسَسْتُ فِي التُّرَابِ قَرْنِي. (قرني= جبهتي)
١٦ اِحْمَرَّ وَجْهِي مِنَ الْبُكَاءِ، وَعَلَى هُدُبِي ظِلُّ الْمَوْتِ.

أمسك الرب برقبتي (كما يهصر الوحش الفريسة)، **وجعلني كهدف للرمي.** ضربني في أعماقي (كليتي/مرارتي). انحططت ذليلاً، من يراني يرى الموت على وجهي.

١٧ مَعَ أَنَّهُ لاَ ظُلْمَ فِي يَدِي، وَصَلاَتِي خَالِصَةٌ.
١٨ يَا أَرْضُ لاَ تُغَطِّي دَمِي، وَلاَ يَكُنْ مَكَانٌ لِصُرَاخِي.

ما زال أيوب مصمماً على أنه برئ وأن صلاته نقية طاهرة، ويطلب الإنصاف. إن الدم المسفوك على الأرض ينادي بالانتقام (خر ٢٤: ٧)، وهذه الصرخات ستظل تطارد القاتل. **إن إحساس أيوب بأمل جديد يأتي دائماً بعد أن يسقط في هوة اليأس. إن قناعته ببراءته ممتزجةً بتصوره لله كقاتل متعمد! ينشئان حالة من الاحتدام النفسي تصرخ: ياأرض لا تغطي دمي ...**

١٩ أَيْضًا الآنَ هُوَذَا فِي السَّمَاوَاتِ شَهِيدِي، وَشَاهِدِي فِي الأَعَالِي.

لقد فقد أيوب الأمل في أن يكسب رضا الله، وحتى فكرة الوسيط كانت مجرد وهم. لكنه **يعود ليطرق فكرة المجهول السمائي، ويصفه بالشاهد.** بعض الدارسين يفسرون «**الشاهد في الأعالي» على أنه هو الله، أي أن أيوب يستنجد بالله من الله! أو يستغيث برحمة الله من غضب الله،** لكن هذا الفهم يتعارض مع:

١- لو كان الشاهد هو الله يعني أن أيوب ينظر إلى الله كممثل للاتهام وشاهد للإدعاء وفي ذات الوقت كمحام للدفاع وساعٍ لاسترداد حق الضحية، وهو ما لا يستقيم منطقياً.

٢- الشاهد في ع ١٩ و٢١ ، سيحفظ حق الإنسان لدى الله، فهو بالضرورة ليس الله.

٣- الشاهد في ع ١٩ هو نفسه الولي، صاحب حق الدم (عد ٥: ٨ + ٣٥: ١٩)، وله حق الثأر وهو ليس الله. **إذن الشاهد ليس الله.**

٢٠ الْمُسْتَهْزِئُونَ بِي هُمْ أَصْحَابِي. لِلهِ تَقْطُرُ عَيْنِي
٢١ لِكَيْ يُحَاكِمَ الإِنْسَانَ عِنْدَ اللهِ كَابْنِ آدَمَ لَدَى صَاحِبِهِ.
٢٢ إِذَا مَضَتْ سِنُونَ قَلِيلَةٌ أَسْلُكُ فِي طَرِيقٍ لاَ أَعُودُ مِنْهَا.

رغم غياب أي أمل في العدل على الأرض، فإن أيوب يبدو مقتنعاً بأن براءته لابد وأن تعلن في السماء (الأعالي) حيث يوجد كفيل. لكن لماذا لا يتدخل هذا الولي الآن؟

إن النص لا يناقش مواقف الله، بل يرسم صورة **لإنسان محاصر تأكد له أنه محكوم عليه بالموت فلم يعد يقاتل من أجل حياته، لكنه يقاتل دفاعاً عن اسمه وشرفه.** يتوقع أيوب أن كلامه سيثير سخرية السامعين، لذا يقطع تسلسل أفكاره ليتحدث عن استهزاء أصحابه (ع٢٠)، وعن دموعه أمام الله، وعموماً بعد سنوات قليلة ستأتي النهاية.

الأصحاح السابع عشر

١ رُوحِي تَلِفَتْ. أَيَّامِي انْطَفَأَتْ. إِنَّمَا الْقُبُورُ لِي. (روح = نَفَس/ تنفس)

٢ لَوْلاَ الْمُخَاتِلُونَ عِنْدِي، وَعَيْنِي تَبِيتُ عَلَى مُشَاجَرَاتِهِمْ. (المخاتلون = الساخرون)

أيوب يشعر إن اضطراب تنفسه يعني اقتراب موته، ورغم هذا فأصدقاؤه لا يبرئوه ويستمرون في تجريحه. **أيوب:** وها أنا عرضة للساخرين وعيني تحدق إليهم بمرارة (**وَعَيْنِي تَبِيتُ عَلَى مُشَاجَرَاتِهِمْ** = يحاصرونني واستفزازتهم تستغرقني).

٣ كُنْ ضَامِنِي عِنْدَ نَفْسِكَ. مَنْ هُوَ الَّذِي يُصَفِّقُ يَدِي؟

٤ لأَنَّكَ مَنَعْتَ قَلْبَهُمْ عَنِ الْفِطْنَةِ، لأَجْلِ ذلِكَ لاَ تَرْفَعُهُمْ.

لا أحد يريد أن يدفع كفالته، أو يسانده، لكنه يرفض الاستسلام، ويطلب ضمانة بالبقاء حتى يثبت براءته، ولكن من يقبل المخاطرة ويرفع يده ليضمنه (يصفق يده)، يكفي يارب أنك أغلقت عقول أصدقائي عن الفهم، فلا تدعهم ينتصرون. **لقد وصل أيوب إلى أن السماء ليست مسئولة فقط عن بلاياه، بل أيضاً عن عجز أصدقائه عن فهمه.**

٥ الَّذِي يُسَلِّمُ الأَصْحَابَ لِلسَّلْبِ، تَتْلَفُ عُيُونُ بَنِيهِ.

مثل شائع معناه: «الّذي يبدد أمواله على أصحابه، أولاده ينظرون وهم محرومون»، وهناك احتمالان لاستخدام هذا المثل كتشبيه:

أ- الأصدقاء يدعون الحكمة، بينما هم لا يدبرون عائلاتهم حسناً (لو ٤: ٢٣).

ب- الله يشبه إنساناً قاسياً يولم لأصدقائه بينما أولاده ينظرون الطعام وهم جائعون.

٦ أَوْقَفَنِي مَثَلاً لِلشُّعُوبِ، وَصِرْتُ لِلْبَصْقِ فِي الْوَجْهِ. (مثلاً وهُزأة. تث ٢٨: ٣٧)

٧ كَلَّتْ عَيْنِي مِنَ الْحُزْنِ، وَأَعْضَائِي كُلُّهَا كَالظِّلِّ. (تعبير عن الهزال والضعف)

٨ يَتَعَجَّبُ الْمُسْتَقِيمُونَ مِنْ هذَا، وَالْبَرِيءُ يَنْتَهِضُ عَلَى الْفَاجِرِ. (البرئ يعلو على الفاجر)

٩ أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَسْتَمْسِكُ بِطَرِيقِهِ، وَالطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ يَزْدَادُ قُوَّةً.
صرت عبرة للناس، وتعرضت للاحتقار. وكل أعضائي تضمحل، يراني الأبرار فيندهشون. قصتي تستفز المستقيم وتشدد البار. **ويبدو أن أيوب يتحدث عن الأجيال المقبلة التي ستقرأ حكايته وتتأثر بها**، ألم يجعله الله مثلاً للشعوب؟

١٠ وَلكِن ارْجِعُوا كُلُّكُمْ وَتَعَالَوْا، فَلاَ أَجِدُ فِيكُمْ حَكِيمًا. (تعالوا إلى كلمة سواء)
١١ أَيَّامِي قَدْ عَبَرَتْ. مَقَاصِدِي، إِرْثُ قَلْبِي، قَدِ انْتَزَعَتْ.
١٢ يَجْعَلُونَ اللَّيْلَ نَهَارًا، نُورًا قَرِيبًا لِلظُّلْمَةِ.
ليس فيكم حكيماً حقيقياً، مضى العمر وتبددت الأمنيات ورغبات القلب. يقولون: كلما اشتد ظلام الليل اقترب الفجر. لكني أكثر خبرة من أن أخدع نفسي

١٣ إِذَا رَجَوْتُ الْهَاوِيَةَ بَيْتًا لِي، وَفِي الظَّلاَمِ مَهَّدْتُ فِرَاشِي،
١٤ وَقُلْتُ لِلْقَبْرِ: أَنْتَ أَبِي، وَلِلدُّودِ: أَنْتَ أُمِّي وَأُخْتِي،
١٥ فَأَيْنَ إِذًا آمَالِي؟ آمَالِي، مَنْ يُعَايِنُهَا؟ (تكرار «آمالي» يعطي تعاطفاً أشد مع أيوب)
١٦ تَهْبِطُ إِلَى مَغَالِيقِ الْهَاوِيَةِ إِذْ تَرْتَاحُ مَعًا فِي التُّرَابِ».
لم أعد انتظر سوى الموت فأهبط ومعي كل أحلامي للراحة في التراب، **راحة اليائس**.

الأصحاح الثامن عشر

١ فَأَجَابَ بِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَقَالَ: ٢ «إِلَى مَتَى تَضَعُونَ أَشْرَاكًا لِلْكَلاَمِ؟ تَعَقَّلُوا وَبَعْدُ نَتَكَلَّمُ.
٣ لِمَاذَا حُسِبْنَا كَالْبَهِيمَةِ، وَتَنَجَّسْنَا فِي عُيُونِكُمْ؟ ٤ يَا أَيُّهَا الْمُفْتَرِسُ نَفْسَهُ فِي غَيْظِهِ، هَلْ لأَجْلِكَ تُخْلَى الأَرْضُ، أَوْ يُزَحْزَحُ الصَّخْرُ مِنْ مَكَانِهِ؟
بلدد يتحدث إلى أيوب بصيغة الجمع لسبب لا نعلمه: لماذا تنصب لنا فخاخاً، تعقل واسمع، أم تحسبنا لا نفهم كالبهائم. ما زلت تغلي غيظاً «تهري وتنكت!»، ماذا تريد؟ **هل نغير نظام الكون من أجلك؟**

٥ «نَعَمْ! نُورُ الأَشْرَارِ يَنْطَفِئُ، وَلاَ يُضِيءُ لَهِيبُ نَارِهِ. (نعم! بلدد مصر على رأيه)
٦ النُّورُ يُظْلِمُ فِي خَيْمَتِهِ، وَسِرَاجُهُ فَوْقَهُ يَنْطَفِئُ.
٧ تَقْصُرُ خَطَوَاتُ قُوَّتِهِ، وَتَصْرَعُهُ مَشُورَتُهُ. (فكر الشرير يقوده إلى الهلاك)
٨ لأَنَّ رِجْلَيْهِ تَدْفَعَانِهِ فِي الْمِصْلاَةِ فَيَمْشِي إِلَى شَبَكَةٍ. (المصلاة = الفخ)

٩ يُمْسِكُ الْفَخُّ بِعَقِبِهِ، وَتَتَمَكَّنُ مِنْهُ الشَّرَكُ. (يعجز عن الفكاك من نتائج شَرِّهِ)
١٠ مَطْمُورَةٌ فِي الأَرْضِ حِبَالَتُهُ، وَمِصْيَدَتُهُ فِي السَّبِيلِ. (الفخ في طريقه ولو خفي عنه)
١١ تُرْهِبُهُ أَهْوَالٌ مِنْ حَوْلِهِ، وَتَذْعَرُهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. (الشرير خائف دائماً فيتعثر)

ثم يسرد بلدد قائمة من المصائب المرعبة التي لابد وأن تصيب الشرير (نفسية ومادية)، **كما يشير إلى نقطة هامة: أن الشرير يسير بنفسه إلى الشرك.**

١٢ تَكُونُ قُوَّتُهُ جَائِعَةً وَالْبَوَارُ مُهَيَّأٌ بِجَانِبِهِ.
١٣ يَأْكُلُ أَعْضَاءَ جَسَدِهِ. يَأْكُلُ أَعْضَاءَهُ بِكْرُ الْمَوْتِ.

قوته جائعة = الكوارث تفتح له فاها لا تشبع، والخراب حاضر لا مفر.
بُكْرُ الموت = بواكير الموت = أشياء تصيب الإنسان فيعلم أن موته وشيك.

١٤ يَنْقَطِعُ عَنْ خَيْمَتِهِ، عَنِ اعْتِمَادِهِ، وَيُسَاقُ إِلَى مَلِكِ الأَهْوَالِ.
١٥ يَسْكُنُ فِي خَيْمَتِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ. يُذَرُّ عَلَى مَرْبِضِهِ كِبْرِيتٌ.

مصيره أن يسلم إلى ملك الهاوية، ويأخذ مسكنه آخر، ويرشون كبريتاً على مكان رقاده، كما يفعلون مع من يموتون بأمراض معدية شديدة الخطر مثل الجدري.

١٦ مِنْ تَحْتُ تَيْبَسُ أُصُولُهُ، وَمِنْ فَوْقُ يُقْطَعُ فَرْعُهُ.
١٧ ذِكْرُهُ يَبِيدُ مِنَ الأَرْضِ، وَلاَ اسْمَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّ.
١٨ يُدْفَعُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ، وَمِنَ الْمَسْكُونَةِ يُطْرَدُ.
١٩ لاَ نَسْلَ وَلاَ عَقِبَ لَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ، وَلاَ شَارِدَ فِي مَحَالِّهِ.

مثل الشجرة الميتة لا ثمر له ولا جذور، لا نسل له حتى ولو عابر سبيل (شارد)

٢٠ يَتَعَجَّبُ مِنْ يَوْمِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ، وَيَقْشَعِرُّ الأَقْدَمُونَ.
٢١ إِنَّمَا تِلْكَ مَسَاكِنُ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَهذَا مَقَامُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ اللهَ».

بلدد: يتعجب من حاله أهل الغرب (المحدثون) وأهل الشرق (القدماء). **سيصير عبرة للرائح والغادي، هذه هي مصائر الأشرار، وأنت منهم يا أيوب!**

الأصحاح التاسع عشر

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ «حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُونَ نَفْسِي وَتَسْحَقُونَنِي بِالْكَلاَمِ؟
٣ هذِهِ عَشَرَ مَرَّاتٍ أَخْزَيْتُمُونِي. لَمْ تَخْجَلُوا مِنْ أَنْ تَحْكِرُونِي. (تحقرونني)

٤ وَهَبْني ضَلَلْتُ حَقًّا. عَلَيَّ تَسْتَقِرُّ ضَلاَلَتي!
٥ إِنْ كُنْتُمْ بِالْحَقِّ تَسْتَكْبِرُونَ عَلَيَّ، فَثَبِّتُوا عَلَيَّ عَارِي.
٦ فَاعْلَمُوا إِذًا أَنَّ اللهَ قَدْ عَوَّجَني، وَلَفَّ عَلَيَّ أُحْبُولَتَهُ. (عوجني = إبتلاني)

إلى متى هذا الكلام المؤلم، مرات عديدة حقرتوني بلا خجل، **ولو سلمت بأنني مخطئ، فأنا وحدي اتحمل نتيجة أخطائي.** إن كنتم تهاجموننني عن حق فقدموا حججكم وبرهنوا كلامكم الذي به تتعالون عليَّ. الواقع أن الله قد ابتلاني، ولف عليَّ شبكته.

اللّه يعاديني:
٧ هَا إِنِّي أَصْرُخُ ظُلْمًا فَلاَ أُسْتَجَابُ. أَدْعُو وَلَيْسَ حُكْمٌ.
٨ قَدْ حَوَّطَ طَرِيقِي فَلاَ أَعْبُرُ، وَعَلَى سُبُلِي جَعَلَ ظَلاَمًا.
٩ أَزَالَ عَنِّي كَرَامَتِي وَنَزَعَ تَاجَ رَأْسِي.
١٠ هَدَمَني مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَذَهَبْتُ، وَقَلَعَ مِثْلَ شَجَرَةٍ رَجَائِي،
١١ وَأَضْرَمَ عَلَيَّ غَضَبَهُ، وَحَسِبَنِي كَأَعْدَائِهِ.
١٢ مَعًا جَاءَتْ غُزَاتُهُ، وَأَعَدُّوا عَلَيَّ طَرِيقَهُمْ، وَحَلُّوا حَوْلَ خَيْمَتِي.

إني أصرخ من الظلم ولا مجيب، وأشكو ولا أجد حكماً منصفاً، لقد أغلق الله طريقي وأضاع كرامتي، وهدمني حتى الأساس، واقتلع أملي في الغد. أشعل فيَّ (عليَّ) غضبه، وعاملني كعدو. وتتالت عليَّ ضرباته، والأقسى أن البلايا مكثت ولم ترحل، وما أعانيه لا تبدو له نهاية، **لا أمل في حال أفضل.**«**معا جاءت غزاته**» = ضربتني المصائب مجتمعة. هذه الفكرة يعود إليها أيوب مراراً (٦:٤ + ١٠: ١٧+ ١٦: ١٤).

الناس يعادونني (موقف المجتمع تجاه أيوب في بليته):
١٣ قَدْ أَبْعَدَ عَنِّي إِخْوَتِي، وَمَعَارِفِي زَاغُوا عَنِّي.
١٤ أَقَارِبِي قَدْ خَذَلُونِي، وَالَّذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي.
١٥ نُزَلاَءُ بَيْتِي وَإِمَائِي يَحْسِبُونَنِي أَجْنَبِيًّا. صِرْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ غَرِيبًا.
١٦ عَبْدِي دَعَوْتُ فَلَمْ يُجِبْ. بِفَمِي تَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ.

لأول مرة نقرأ عن أسرة أيوب، فنعلم أنهم **زاغوا** عنه منذ البداية، ونزلاء بيته يعاملونه كغريب (ما أقسى الغربة بين الأهل) وحتى عبيده لا يبالون به.

١٧ نَكْهَتِي مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ امْرَأَتِي، وَخَمَمْتُ عِنْدَ أَبْنَاءِ أَحْشَائِي. (خممت = أنتنت)
١٨ اَلأَوْلاَدُ أَيْضًا قَدْ رَذَلُونِي. إِذَا قُمْتُ يَتَكَلَّمُونَ عَلَيَّ.
١٩ كَرِهَنِي كُلُّ رِجَالِي، وَالَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمُ انْقَلَبُوا عَلَيَّ.

أنفاسي (نكهتي) لا تطيقها إمرأتي، ورائحة جسمي أنتنت لا يحتملها من رعيتهم كأبنائي، وبمجرد أنصرافي يتناولونني بالإساءة، ومن احبهم انقلبوا عليَّ. إن ايوب يقدم وصفاً مؤثراً لموقف الناس ممن يطول مرضه، و لو مات يقولون: اراح واستراح.

توسل أخير إلى الأصدقاء:

٢٠ عَظْمِي قَدْ لَصِقَ بِجِلْدِي وَلَحْمِي، وَنَجَوْتُ بِجِلْدِ أَسْنَانِي. (جلد أسناني = لثتي)
٢١ تَرَاءَفُوا، تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي، لأَنَّ يَدَ اللهِ قَدْ مَسَّتْنِي.

لقد اصبحت جلداً على عظم، ولم يسلم سوى لثتي! **إذا كان النَاس يقسون عليَّ، فارحموني يا أصدقائي** بعد أن تخلى عني الجميع إثر لمسة من يد الله (تعادل ضربة ساحقة على الإنسان). **تراءفوا:** تكرار النداء صيغة شائعة في الكتاب لإثارة انتباه المخاطب. [صموئيل: ١ صم ٣: ١٠+ موسى: خر ٣: ٤+ مرثا: لو ١٠: ٤١].

٢٢ لِمَاذَا تُطَارِدُونَنِي كَمَا اللهُ، وَلاَ تَشْبَعُونَ مِنْ لَحْمِي؟
٢٣ «لَيْتَ كَلِمَاتِي اَلآنَ تُكْتَبُ. يَا لَيْتَهَا رُسِمَتْ فِي سِفْرٍ، (أسلوب تسجيل التاريخ في وقت)
٢٤ وَنُقِرَتْ إِلَى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ وَبِرَصَاصٍ. (أيوب لدي كل الشعوب)

«**لماذا تطاردونني**» تعبير رائع، وكأنكم تستمعون بتمزيق لحمي. (انتم والزمن عليَّ !) لعل قصتي هذه تسجل وتُحفظ فتكون درساً للأجيال ترى فيها الحقيقة.

إن التوسل إلى الأصدقاء لا يجدي، والرجاء في الأجيال القادمة أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، **فينفسح المجال لأقوى تعبير عن الإيمان ربما في العهد القديم كله:**

إيمان أيوب البار:

٢٥ أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ، وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ،
٢٦ وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ.
٢٧ الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي.
٢٨ فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا نُطَارِدُهُ؟ وَالْكَلاَمُ الأَصْلِيُّ يُوجَدُ عِنْدِي.

٢٩ خَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ السَّيْفِ، لأَنَّ الْغَيْظَ مِنْ آثَامِ السَّيْفِ. لِكَيْ تَعْلَمُوا مَا هُوَ الْقَضَاءُ».
كل آمالي في البراءة على الأرض تبددت، لكني أتشبث بما أعلمه. أنا أثق أن وليي حيٌ [وليي = منقذي، فاديَّ، من سيرد حقوقي]. من هو هذا الولي؟ من المؤكد أنه ليس إنساناً، فقد مات أولاده وهجره اخوته وأقاربه.

إن ايوب برغبة محتدمة في نوال البراءة، يحطم فجأة سور عزلته، وينتقل من حالة التمني الواهم، إلى إقتناع إيجابي، فيعلن ثقته الراسخة أنه بطريقة ما، لابد أن الله نفسه هو الذي سيعلن براءته، ويدافع عن ذكراه، ويرد له اعتباره.

«**والآخر على الأرض يقوم**»: إن الله سينزل من السماء ليتولى الدفاع عن بطلنا. ولو كان هذا الفهم سليماً، **فإن أيوب يستعيد موقفه الإيماني بالإله الحي، في نفس اللحظة التي يطرح فيها جانباً وهم إمكانية أن يدافع عن نفسه أمام الله.**

«الله يقوم»: تستخدم في العهد القديم كإشارة إلى التدخل الإلهي لحسم قضية ما: مز ١٢: ٥ «من أجل صرخة البائسين الآن اقوم» +(أنظر أيضاً أش ٣٣: ١٠). ويبدو الكاتب ملماً بفكرة «آخر الأزمنة» حين يأتي الله ليخلص شعبه، وقتها يصدر حكمه النهائي لأيوب، وليس حكم الناس، ليكون حكم الله هو خاتمة القصة.

أيوب بجرأة وثقة يعلن أنه بعد موته سيرى الله بعينيه، وهو ما يتوق إليه، ثم يستدير على أصدقائه مهدداً، كأنما يستبق تحديهم له: **إن كنتم مصرين على إدانتي، فها أنا أزودكم بحجة إضافية ضد نفسي! لا تنكروا ما قلتموه ضدي، فأنا أذكر كلامكم** «إن نسيتوا ما جرى، هاتوا الدفاتر تقرأ!»، ألا تخافون الله وعقابه على ظلمكم لي؟

الأصحاح العشرون

١ فَأَجَابَ صُوفَرُ النَّعْمَانِيُّ وَقَالَ: ٢ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هَوَاجِسِي تُجِيبُنِي، وَلِهذَا هَيَجَانِي فِيَّ
٣ تَعْيِيرَ تَوْبِيخِي أَسْمَعُ. وَرُوحٌ مِنْ فَهْمِي يُجِيبُنِي.
٤ «أَمَا عَلِمْتَ هذَا مِنَ الْقَدِيمِ، مُنْذُ وُضِعَ الإِنْسَانُ عَلَى الأَرْضِ،
٥ أَنَّ هُتَافَ الأَشْرَارِ مِنْ قَرِيبٍ، وَفَرَحَ الْفَاجِرِ إِلَى لَحْظَةٍ! (مهما تعاظم فكل مجده يزول)
٦ وَلَوْ بَلَغَ السَّمَاوَاتِ طُولُهُ، وَمَسَّ رَأْسُهُ السَّحَابَ،(في لحظات فالزمن بلا قيمة لدى الله)
٧ كَجُلَّتِهِ إِلَى الأَبَدِ يَبِيدُ. الَّذِينَ رَأَوْهُ يَقُولُونَ: أَيْنَ هُوَ؟

٨ كَالْحُلْمِ يَطِيرُ فَلاَ يُوجَدُ، وَيُطْرَدُ كَطَيْفِ اللَّيْلِ. (كحلم عابر. عادة ينسى النائم أحلامه)
٩ عَيْنٌ أَبْصَرَتْهُ لاَ تَعُودُ تَرَاهُ، وَمَكَانُهُ لَنْ يَرَاهُ بَعْدُ.

صوفر: لقد اثرتني بكلامك، وكأنك توبخني، فألهمتني حكمتي بما أجيبك به. الخلاصة: **أن هلاك الشرير محتوم مهما تأخر**، ومهما وصلت قوته وعظمته، سيهلك مثل فضلاته (كجِلَتِهِ. الجلة = الروث)، **وبعد أن كان ملء البصر، لا يُرى بعد.**

١٠ بَنُوهُ يَتَرَضَّوْنَ الْفُقَرَاءَ، وَيَدَاهُ تَرُدَّانِ ثَرْوَتَهُ.
١١ عِظَامُهُ مَلآنَةٌ شَبِيبَةً، وَمَعَهُ فِي التُّرَابِ تَضْطَجِعُ. (الشبيبة = أهواء الصبا)
١٢ إِنْ حَلاَ فِي فَمِهِ الشَّرُّ، وَأَخْفَاهُ تَحْتَ لِسَانِهِ
١٣ أَشْفَقَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتْرُكْهُ، بَلْ حَبَسَهُ وَسَطَ حَنَكِهِ،
١٤ فَخُبْزُهُ فِي أَمْعَائِهِ يَتَحَوَّلُ، مَرَارَةُ أَصْلاَلٍ فِي بَطْنِهِ.
١٥ قَدْ بَلَعَ ثَرْوَةً فَيَتَقَيَّأُهَا. اللهُ يَطْرُدُهَا مِنْ بَطْنِهِ.

يرسم الشعر صورة لمن يشتهي أن يبتلع ثمرة محرمة، ويعجز عن ذلك وقلبه لا يطاوعه على تركها فيلوكها في فمه! ولو حاول ابتلاعها سرعان ما يلفظها. وهو درس واضح لكل من يقاتل ليغتصب ما ليس له، بالقوة أو بالحيلة.

١٦ سَمَّ الأَصْلاَلِ يَرْضَعُ. يَقْتُلُهُ لِسَانُ الأَفْعَى. (الأصلال = جمع صَلْ وهي الأفعى السامة)
١٧ لاَ يَرَى الْجَدَاوِلَ أَنْهَارَ سَوَاقِيَ عَسَلٍ وَلَبَنٍ.
١٨ يَرُدُّ تَعَبَهُ وَلاَ يَبْلَعُهُ. كَمَالٍ تَحْتَ رَجْعٍ. ولاَ يَفْرَحُ. (مثل أمانة لابد وأن تُرد)
١٩ لأَنَّهُ رَضَّ الْمَسَاكِينَ، وَتَرَكَهُمْ، وَاغْتَصَبَ بَيْتًا وَلَمْ يَبْنِهِ.

من يفعل هذا لن يرى خيراً على الإطلاق (مش ها يورد على جنة! كما يقولون).

سيحاول أبناء الشرير استرضاء المساكين الذين قاسوا من استغلال أبيهم، ولن يستمتع أبداً بحياته، حتى نزوات الصبا ستذهب إلى التراب. ولابد أن يعيد ما حاول أن يبتلعه من نهب الفقراء، «**كَمَالٍ تحت رَجع**» كمثل شئ اؤتمن عليه ولابد أن يرده.

٢٠ لأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ فِي بَطْنِهِ قَنَاعَةً، لاَ يَنْجُو بِمُشْتَهَاهُ. (لا قناعة = لا بركة)
٢١ لَيْسَتْ مِنْ أَكْلِهِ بَقِيَّةٌ، لأَجْلِ ذلِكَ لاَ يَدُومُ خَيْرُهُ. (لا يبقي شيئاً للمساكين)
٢٢ مَعَ مِلْءِ رَغْدِهِ يَتَضَايَقُ. تَأْتِي عَلَيْهِ يَدُ كُلِّ شَقِيٍّ.

٢٣ يَكُونُ عِنْدَمَا يَمْلأُ بَطْنَهُ، أَنَّ اللهَ يُرْسِلُ عَلَيْهِ حُمُوَّ غَضَبِهِ، وَيُمْطِرُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ طَعَامِهِ.
٢٤ يَفِرُّ مِنْ سِلاَحٍ حَدِيدٍ. تَخْرِقُهُ قَوْسُ نُحَاسٍ.
٢٥ جَذَبَهُ فَخَرَجَ مِنْ بَطْنِهِ، وَالْبَارِقُ مِنْ مَرَارَتِهِ مَرَقَ. عَلَيْهِ رُعُوبٌ. (جمع رعب)
٢٦ كُلُّ ظُلْمَةٍ مُخْتَبَأَةٌ لِذَخَائِرِهِ. تَأْكُلُهُ نَارٌ لَمْ تُنْفَخْ. تَرْعَى الْبَقِيَّةَ فِي خَيْمَتِهِ.
٢٧ السَّمَاوَاتُ تُعْلِنُ إِثْمَهُ، وَالأَرْضُ تَنْهَضُ عَلَيْهِ. ٢٨ تَزُولُ غَلَّةُ بَيْتِهِ. تُهْرَاقُ فِي يَوْمِ غَضَبِهِ.
٢٩ هذَا نَصِيبُ الإِنْسَانِ الشِّرِّيرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمِيرَاثُ أَمْرِهِ مِنَ الْقَدِيرِ.

الشرير لا يعرف القناعة بسبب طمعه، ينتظر الله عليه حتى يتخم من السرقة ثم ينقض ليعاقبه، كمن يُضرب بسيف حاد مصقول (**بارق**) يمزق أحشاءه. وكل ما أدخره يذهب كشئ يحرق بالنار، السماوات والأرض ضده، فكل ما حصله يكتسح (**يهراق**) . يلفت النظر استفاضة صوفر في هذه النقطة: الشرير يفقد كل ما جمعه بالظلم، ترى هل هناك معنىً خفياً في بطن الشاعر، **هل يوحي لنا هذا الموقف أن الأصدقاء كانوا يشتعلون بالغيرة من ثراء أو مكانة أيوب؟** ربما! فالله وحده يسبر أغوار النفوس.

الأصحاح الحادي والعشرون

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ اِسْمَعُوا قَوْلِي سَمْعًا، وَلْيَكُنْ هذَا تَعْزِيَتَكُمْ.
٣ اِحْتَمِلُونِي وَأَنَا أَتَكَلَّمُ، وَبَعْدَ كَلاَمِي اسْتَهْزِئُوا.
٤ أَمَّا أَنَا فَهَلْ شَكْوَايَ مِنْ إِنْسَانٍ، وَإِنْ كَانَتْ، فَلِمَاذَا لاَ تَضِيقُ رُوحِي؟
٥ تَفَرَّسُوا فِيَّ وَتَعَجَّبُوا وَضَعُوا الْيَدَ عَلَى الْفَمِ.
٦ عِنْدَمَا أَتَذَكَّرُ ارْتَاعُ، وَأَخَذَتْ بَشَرِي رَعْدَةٌ. (بَشَرِي = جسدي)

أيوب: لتكن تعزيتكم هي أن تصبروا على كلماتي، ثم اسخروا كيفما شئتم. مصيبتي أنني لا أشكو من إنسان، بل من الله، وكلما تذكرت هذا يرتعد جسدي مما هو مخبأ لي.

سؤال هام: لماذا يزدهر الأشرار؟

٧ لِمَاذَا تَحْيَا الأَشْرَارُ وَيَشِيخُونَ، نَعَمْ وَيَتَجَبَّرُونَ قُوَّةً؟ يزدادون قوة وجبروتاً
٨ نَسْلُهُمْ قَائِمٌ أَمَامَهُمْ مَعَهُمْ، وَذُرِّيَّتُهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ. يفرحون بأولادهم
٩ بُيُوتُهُمْ آمِنَةٌ مِنَ الْخَوْفِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ عَصَا اللهِ. يعيشون في طمأنينة
١٠ ثَوْرُهُمْ يُلْقِحُ وَلاَ يُخْطِئُ. بَقَرَتُهُمْ تُنْتِجُ وَلاَ تُسْقِطُ. حيواناتهم تتكاثر بزيادة

١١ يُسْرِحُونَ مِثْلَ الْغَنَمِ رُضَّعَهُمْ، وَأَطْفَالُهُمْ تَرْقُصُ. أطفالهم مبتهجون
١٢ يَحْمِلُونَ الدُّفَّ وَالْعُودَ، وَيُطْرِبُونَ بِصَوْتِ الْمِزْمَارِ. أفراحهم وطربهم حاضر دائماً
١٣ يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ. فِي لَحْظَةٍ يَهْبِطُونَ إِلَى الْهَاوِيَةِ. يموتون دون معاناة
١٤ فَيَقُولُونَ لِلهِ: ابْعُدْ عَنَّا، وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لاَ نُسَرُّ.
١٥ مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى نَعْبُدَهُ؟ وَمَاذَا نَنْتَفِعُ إِنِ الْتَمَسْنَاهُ؟

إن أيوب يسرد المكاسب المادية والنفسية والمكانة الاجتماعية التي يحققها كثير من الأشرار، **والتي تجعلهم يتجبرون على الله ذاته؛ ولم لا ؟! إنهم لم يحققوا ما حققوه باتباعهم طرق الله، ولماذا يصلون؟ فبم سنتفعهم الصلاة؟**

١٦ هُوَذَا لَيْسَ فِي يَدِهِمْ خَيْرُهُمْ. لِتَبْعُدْ عَنِّي مَشُورَةُ الأَشْرَارِ.
١٧ كَمْ يَنْطَفِئُ سِرَاجُ الأَشْرَارِ، وَيَأْتِي عَلَيْهِمْ بَوَارُهُمْ؟ أَوْ يَقْسِمُ لَهُمْ أَوْجَاعًا فِي غَضَبِهِ؟
١٨ أَوْ يَكُونُونَ كَالتِّبْنِ قُدَّامَ الرِّيحِ، وَكَالْعُصَافَةِ الَّتِي تَسْرِقُهَا الزَّوْبَعَةُ؟
١٩ اَللهُ يَخْزِنُ إِثْمَهُ لِبَنِيهِ. لِيُجَازِهِ نَفْسَهُ فَيَعْلَمَ.
٢٠ لِتَنْظُرْ عَيْنَاهُ هَلاَكَهُ، وَمِنْ حُمَةِ الْقَدِيرِ يَشْرَبْ. (الحمة = إبرة العقرب)
٢١ فَمَا هِيَ مَسَرَّتُهُ فِي بَيْتِهِ بَعْدَهُ، وَقَدْ تَعَيَّنَ عَدَدُ شُهُورِهِ؟

أيوب ينفي أن يكون مثل الأشرار، ويتعجب منهم، لأنهم يعلمون جيداً أنهم لا يملكون الحفاظ على مكاسبهم، وأن سراجهم سينطفئ وخرابهم قادم، وكل ما بنوه ستطيح به الرياح، وأن أيامهم معدودة.كان الاعتقاد بأن الله يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء (يختزن إثمه لبني الشرير)، أو يعامله بطريقة كريمة (يجازه = يكافئه) لعله يتوب.

٢٢ أَاللهُ يُعَلِّمُ مَعْرِفَةً، وَهُوَ يَقْضِي عَلَى الْعَالِينَ؟
٢٣ هذَا يَمُوتُ فِي عَيْنِ كَمَالِهِ. كُلُّهُ مُطْمَئِنٌّ وَسَاكِنٌ.
٢٤ أَحْوَاضُهُ مَلآنَةٌ لَبَنًا، وَمُخُّ عِظَامِهِ طَرِيٌّ. (بمعنى تمام الصحة والنضارة)
٢٥ وَذلِكَ يَمُوتُ بِنَفْسٍ مُرَّةٍ وَلَمْ يَذُقْ خَيْرًا.
٢٦ كِلاَهُمَا يَضْطَجِعَانِ مَعًا فِي التُّرَابِ وَالدُّودُ يَغْشَاهُمَا.
٢٧ هُوَذَا قَدْ عَلِمْتُ أَفْكَارَكُمْ وَالنِّيَّاتِ الَّتِي بِهَا تَظْلِمُونَنِي.
٢٨ لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: أَيْنَ بَيْتُ الْعَاتِي؟ وَأَيْنَ خَيْمَةُ مَسَاكِنِ الأَشْرَارِ؟

٢٩ أَفَلَمْ تَسْأَلُوا عَابِرِي السَّبِيلِ، وَلَمْ تَفْطِنُوا لِدَلاَئِلِهِمْ؟
٣٠ إِنَّهُ لِيَوْمِ الْبَوَارِ يُمْسَكُ الشِّرِّيرُ. لِيَوْمِ السَّخَطِ يُقَادُونَ.
٣١ مَنْ يُعْلِنُ طَرِيقَهُ لِوَجْهِهِ؟ وَمَنْ يُجَازِيهِ عَلَى مَا عَمِلَ؟
الكل سيرحل ولو كان في قمة قوته (عين كماله)، القوي والضعيف، الصحيح والمريض، وفي الوقت الذي يختاره الرب. **وفي النهاية سيعطون حساباً عن شرورهم** «ليوم السُخط يقادون». **سيعرف الكل** نتيجة الطريق التي اختارها الشرير.

٣٢ هُوَ إِلَى الْقُبُورِ يُقَادُ، وَعَلَى الْمَدْفَنِ يُسْهَرُ.
٣٣ حُلْوٌ لَهُ مَدَرُ الْوَادِي. يَزْحَفُ كُلُّ إِنْسَانٍ وَرَاءَهُ، وَقُدَّامَهُ مَا لاَ عَدَدَ لَهُ.
٣٤ فَكَيْفَ تُعَزُّونَنِي بَاطِلاً وَأَجْوِبَتُكُمْ بَقِيَتْ خِيَانَةً؟».
إن ايوب يفند الحجة المتكررة (البار يزدهر، والشرير يُضرب). ويسخر منهم لأنهم لا يعلمون ما يعلمه عابري السبيل. يعرفون أن الشرير عقابه محتوم، وحتى لو أقيمت له جنازة حافلة، ووقف الحراس على قبره، فإن الحلو الذي يختم به وليمته هو تراب (مَدَر) الوادي حيث يدفن. **أيوب:** فيا أصدقائي كفاكم حكمة باطلة. **{ترجمة أخرى:** كفاكم خيانة! فهدم الحكمة السليمة التي يثق فيها إنسان بمثابة خيانة لهذا الإنسان}.
لكن رغم كل هذا فلا يخلو كلام الأصدقاء من فائدة، وها هو أليفاز يثير نقطة هامة: من الذي ينتفع بعمل الخير؟ الله أم الإنسان؟

الأصحاحُ الثاني والعشرين

١ فَأَجَابَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَقَالَ: ٢ هَلْ يَنْفَعُ الإِنْسَانُ اللهَ؟ بَلْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ الْفَطِنُ!
٣ هَلْ مِنْ مَسَرَّةٍ لِلْقَدِيرِ إِذَا تَبَرَّرْتَ، أَوْ مِنْ فَائِدَةٍ إِذَا قَوَّمْتَ طُرُقَكَ؟
الله لا يستفيد من تقوى الإنسان، المنتفع هو الإنسان إذا كان حكيماً (صحيح إن بر الإنسان لا يضيف شيئاً إلى الله، لكن الله يفرح به، فهو أبٌ للبشر وليس حاكماً).
يظن البعض أنه بفعله الخير، يفعل معروفاً في الله، وكأن الله يصبح مديناً له! لاحظ **عندما يمر إنسان بأزمة، يصرخ إلى الله لكي ينقذه، ويعد أنه سيلتزم بكل الوصايا!**
٤ هَلْ عَلَى تَقْوَاكَ يُوَبِّخُكَ، أَوْ يَدْخُلُ مَعَكَ فِي الْمُحَاكَمَةِ؟
٥ أَلَيْسَ شَرُّكَ عَظِيمًا، وَآثَامُكَ لاَ نِهَايَةَ لَهَا؟

٦ لأَنَّكَ ارْتَهَنْتَ أَخَاكَ بِلاَ سَبَب، وَسَلَبْتَ ثِيَابَ الْعُرَاةِ.
٧ مَاءً لَمْ تَسْقِ الْعَطْشَانَ، وَعَنِ الْجَوْعَانِ مَنَعْتَ خُبْزًا.
٨ أَمَّا صَاحِبُ الْقُوَّةِ فَلَهُ الأَرْضُ، وَالْمُتَرَفِّعُ الْوَجْهِ سَاكِنٌ فِيهَا.

٨ ترجمة ثانية: ببطشك امتلكت كل الأرض، وبجاه رفيع سكنت فيها

٨ ترجمة ثالثة: تركت الأقوياء يحتلون الأرض والمتشامخين يسكنون فيها

٩ الأَرَامِلَ أَرْسَلْتَ خَالِيَاتٍ، وَذِرَاعُ الْيَتَامَى انْسَحَقَتْ.
١٠ لأَجْلِ ذلِكَ حَوَالَيْكَ فِخَاخٌ، وَيُرِيعُكَ رُعْبٌ بَغْتَةً
١١ أَوْ ظُلْمَةٌ فَلاَ تَرَى، وَفَيْضُ الْمِيَاهِ يُغَطِّيكَ.

أليفاز: إن الله يؤدبك لأن شرورك كثيرة! أخيراً يخرج مكنون نفسه، ويدين أيوب، بقسوة ويتهمه بأن آثامه لا تعد ولا تحصى! (كيف سمحت لنفسك يا أليفاز أن تصادق رجلاً آثماً؟ ألم تعلم أنه شرير سوى الآن؟ إن كل ما تنسبه إلى أيوب من أفعال ظاهرٌ أمامك كصديق. أم أنك لم تجسر على مواجهته إلا بعد أن ضربته التجارب؟).

أليفاز: لقد تجبرت يا أيوب، فارتهنت ثياب العراة، قسوت على اليتامى والأرامل، منعت الماء والخبز عن المحتاجين وهو ما يعادل حكم الموت! ويردد هذه الاتهامات وكأنها حقائق مؤكدة، **حسبك يا أليفاز، إنك تقول في أيوب عكس ما قلته قبلاً، ألم تبدأ قائلاً: ها أنت قد أرشدت كثيرين – ٤ : ٣.**

«**وَفَيْضُ الْمِيَاهِ يُغَطِّيكَ**». يتكرر استخدام تشبيه سيول المياه كقضاء ساحق، لأنها الخطر الأعظم الذي يتهدد عشائر البدو، وهي مأساة تتكرر في صحراء مصر كل فترة.

١٢ هُوَذَا اللهُ فِي عُلُوِّ السَّمَاوَاتِ. وَانْظُرْ رَأْسَ الْكَوَاكِبِ مَا أَعْلاَهُ!
١٣ فَقُلْتَ: كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ؟ هَلْ مِنْ وَرَاءِ الضَّبَابِ يَقْضِي؟ (هل تظن أن السحب ستحجب)
١٤ السَّحَابُ سِتْرٌ لَهُ فَلاَ يُرَى، وَعَلَى دَائِرَةِ السَّمَاوَاتِ يَتَمَشَّى. (آثامك عن عيني الله)
١٥ هَلْ تَحْفَظُ طَرِيقَ الْقِدَمِ الَّذِي دَاسَهُ رِجَالُ الإِثْمِ،
١٦ الَّذِينَ قُبِضَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْوَقْتِ؟ الْغَمْرُ انْصَبَّ عَلَى أَسَاسِهِمِ.

أليفاز: لقد سرت في طريق الأشرار المعروف منذ القِدَم وها أنت تنال نفس الجزاء!

١٧ الْقَائِلِينَ لِلهِ: ابْعُدْ عَنَّا. وَمَاذَا يَفْعَلُ الْقَدِيرُ لَهُمْ؟ ١٨ وَهُوَ قَدْ مَلأَ بُيُوتَهُمْ خَيْرًا.

إن الأشرار متى حققوا نجاحاً وثروة يدفعهم الإحساس بالذنب إلى أن يبتعدوا عن الله، ناسين أن الله هو الذي ملأ بيوتهم خيراً. يعلن أليفاز رفضه لهذا الإتجاه **(١٨ب: لتبعد عني مشورة الأشرار)** ويضع ذاته ضمن الأبرار، ممهداً لأن يلقي على أيوب **عظة رنانة بديعة عن شروط وبركات الاقتراب من الله.**

١٩ الأَبْرَارُ يَنْظُرُونَ وَيَفْرَحُونَ، وَالْبَرِيءُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ قَائِلِينَ:
٢٠ أَلَمْ يُبَدْ مُقَاوِمُونَا، وَبَقِيَّتُهُمْ قَدْ أَكَلَتْهَا النَّارُ؟ (مقاومي الأبرار تمت إبادتهم)
٢١ «تَعَرَّفْ بِهِ وَاسْلَمْ. بِذلِكَ يَأْتِيكَ خَيْرٌ. (تقرب إلى الله فتسلم من الشر ويأتيك الخير)
٢٢ اقْبَلِ الشَّرِيعَةَ مِنْ فِيهِ، وَضَعْ كَلاَمَهُ فِي قَلْبِكَ. (إقبل الوصية واحفظها في فكرك)
٢٣ إِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ تُبْنَى. إِنْ أَبْعَدْتَ ظُلْمًا مِنْ خَيْمَتِكَ، (مصمم أن أيوب ظالم!)
٢٤ وَأَلْقَيْتَ التِّبْرَ عَلَى التُّرَابِ وَذَهَبَ أُوفِيرَ بَيْنَ حَصَا الأَوْدِيَةِ. (لم تهتم بالثروة)
٢٥ يَكُونُ الْقَدِيرُ تِبْرَكَ وَفِضَّةَ أَتْعَابٍ لَكَ، (بل يكون ربحك معرفة الله)
٢٦ لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالْقَدِيرِ وَتَرْفَعُ إِلَى اللهِ وَجْهَكَ. (يكون الله سرورك، ولا تخجل
٢٧ تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ، وَنُذُورُكَ تُوفِيهَا. (أمامه، بل يسمعك ويستجيب لصلواتك)
٢٨ وَتَجْزِمُ أَمْرًا فَيُثَبَّتُ لَكَ، وَعَلَى طُرُقِكَ يُضِيءُ نُورٌ. (يُضاء طريقك، وتثبت قراراتك)
٢٩ إِذَا وُضِعُوا تَقُولُ: رَفْعٌ. وَيُخَلِّصُ الْمُنْخَفِضَ الْعَيْنَيْنِ.

ترجمة أخرى: ومن أذل (نفسه) تقول له: إنهض فيخلص الله كل خاشع

ترجمة ثالثة: مهما اتضعت ترتفع، لأن الله مع الناظر بخشوع.

٣٠ يُنَجِّي غَيْرَ الْبَرِيءِ وَيُنْجَى بِطَهَارَةِ يَدَيْكَ». (شفاعة البار قد تُقبل في الخاطئ)

الأصحاح الثالث والعشرين

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ «الْيَوْمَ أَيْضًا شَكْوَايَ تَمَرُّدٌ. ضَرْبَتِي أَثْقَلُ مِنْ تَنَهُّدِي.
٣ مَنْ يُعْطِينِي أَنْ أَجِدَهُ، فَآتِيَ إِلَى كُرْسِيِّهِ،٨ هأَنَذَا أَذْهَبُ شَرْقًا فَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ، وَغَرْبًا فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ. ٩ شِمَالاً حَيْثُ عَمَلُهُ فَلاَ أَنْظُرُهُ. يَتَعَطَّفُ الْجَنُوبَ فَلاَ أَرَاهُ.

الآن أصبحت مجرد شكواي عصياناً لله، مع أن **صراخي أقل من معاناتي.**

آه لو كنت أجد الرب! لكني أبحث عنه بلا جدوى { نقلنا ع ٨، ٩ لنسهل تتبع الفكرة، وفي النص الشعري لا تتعجب من عدم تسلسل الفكرة لأنه محكوم بالوزن والقافية }.

٤ أُحْسِنُ الدَّعْوَى أَمَامَهُ، وَأَمْلأُ فَمِي حُجَجًا،
٥ فَأَعْرِفُ الأَقْوَالَ الَّتِي بِهَا يُجِيبُنِي، وَأَفْهَمُ مَا يَقُولُهُ لِي؟
٦ أَبِكَثْرَةِ قُوَّةٍ يُخَاصِمُنِي؟ كَلاَّ! وَلكِنَّهُ كَانَ يَنْتَبِهُ إِلَيَّ. (ألا يفتري الله بقوته عليَّ)
٧ هُنَالِكَ كَانَ يُحَاجُّهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَكُنْتُ أَنْجُو إِلَى الأَبَدِ مِنْ قَاضِيَّ. (بل ينتبه لدفاعي)
١٠ لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ.
١١ بِخَطَوَاتِهِ اسْتَمْسَكَتْ رِجْلِي. حَفِظْتُ طَرِيقَهُ وَلَمْ أَحِدْ.
١٢ مِنْ وَصِيَّةِ شَفَتَيْهِ لَمْ أَبْرَحْ. أَكْثَرَ مِنْ فَرِيضَتِي ذَخَرْتُ كَلاَمَ فِيهِ. (كذخيرة ثمينة)

لو وقفت أمامه لقدمت له حججي وسمعت حجته، ولشرحت موقفي **وأظهرت براءتي. لأن الله يعرف حقيقتي**، وإذا جربني أخرج كالذهب من البوتقة لأني لزمت طريقه. **أنا لا استطيع أن أجد الله ولكنه يستطيع أن يجدني ويعلم جيداً أنني لم أخطئ.**

١٣ أَمَّا هُوَ فَوَحْدَهُ، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ.
١٤ لأَنَّهُ يُتَمِّمُ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ، وَكَثِيرٌ مِثْلُ هذِهِ عِنْدَهُ.
١٥ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْتَاعُ قُدَّامَهُ. أَتَأَمَّلُ فَأَرْتَعِبُ مِنْهُ.
١٦ لأَنَّ اللهَ قَدْ أَضْعَفَ قَلْبِي، وَالْقَدِيرَ رَوَّعَنِي.
١٧ لأَنِّي لَمْ أُقْطَعْ قَبْلَ الظَّلاَمِ، وَمِنْ وَجْهِي لَمْ يُغَطِّ الدُّجَى.

أيوب: لكنه وحده يفعل ما يشتهيه، لقد أخذ قراراً بشأني ولن يحيد عنه ، لذا اتوقع مصائب كثيرة **(مثل هذه)** تنتظرني، (أو كثيرون مثلي يعانون)، **لذا أشعر برعب شديد**، ورغم هذا لم يعزلني الظلام، ولم يعميني سواده، **فما زلت واعياً بما يدور.**

الأصحاح الرابع والعشرون

١ لِمَاذَا إِذْ لَمْ تَخْتَبِئِ الأَزْمِنَةُ مِنَ الْقَدِيرِ، لاَ يَرَى عَارِفُوهُ يَوْمَهُ؟

إن أحكام الله معروفة، لكن الأشرار لا يتحسبون لقضائه، فيرتكبون ذنوباً فظيعة:

٢ يَنْقُلُونَ التُّخُومَ. يَغْتَصِبُونَ قَطِيعًا وَيَرْعَوْنَهُ.
٣ يَسْتَاقُونَ حِمَارَ الْيَتَامَى، وَيَرْتَهِنُونَ ثَوْرَ الأَرْمَلَةِ.
٤ يَصُدُّونَ الْفُقَرَاءَ عَنِ الطَّرِيقِ. مَسَاكِينُ الأَرْضِ يَخْتَبِئُونَ جَمِيعًا.
٥ هَا هُمْ كَالْفَرَاءِ فِي الْقَفْرِ يَخْرُجُونَ إِلَى عَمَلِهِمْ يُبَكِّرُونَ لِلطَّعَامِ. الْبَادِيَةُ لَهُمْ خُبْزٌ لأَوْلاَدِهِمْ.

٦ فِي الْحَقْلِ يَحْصُدُونَ عَلَفَهُمْ، وَيُعَلِّلُونَ كَرْمَ الشِّرِّيرِ.
٧ يَبِيتُونَ عُرَاةً بِلاَ لِبْسٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ كَسْوَةٌ فِي الْبَرْدِ.
٨ يَبْتَلُّونَ مِنْ مَطَرِ الْجِبَالِ، وَلِعَدَمِ الْمَلْجَإِ يَعْتَنِقُونَ الصَّخْرَ.
٩ يَخْطَفُونَ الْيَتِيمَ عَنِ الثَّدِيِّ، وَمِنَ الْمَسَاكِينِ يَرْتَهِنُونَ.
١٠ عُرَاةً يَذْهَبُونَ بِلاَ لِبْسٍ، وَجَائِعِينَ يَحْمِلُونَ حُزَمًا.

(التخوم هي حدود ملكية الأرض. ينقلون التخوم = يستولون على أراضي غيرهم) ويسلبون الناس من بهائمهم، يتجبرون على اليتامى والأرامل. **إنهم يغلقون سبل الحياة أمام الفقراء، وماذا يمكن للمساكين أن يفعلوا سوى أن يختبئوا! فيبحثون عن طعامهم مثل الحيوانات في الصحراء.** وبينما الشرير يأخذ المحصول، يلتقط المساكين البقايا (يتعللون). بلا مأوى سوى الجبال معرضين للبرد والمطر وثيابهم لا تسترهم.

١١ يَعْصِرُونَ الزَّيْتَ دَاخِلَ أَسْوَارِهِمْ. يَدُوسُونَ الْمَعَاصِرَ وَيَعْطَشُونَ.
١٢ مِنَ الْوَجَعِ أُنَاسٌ يَئِنُّونَ، وَنَفْسُ الْجَرْحَى تَسْتَغِيثُ، وَاللهُ لاَ يَنْتَبِهُ إِلَى الظُّلْمِ.

بينما يعصرون الزيت لأسيادهم لا يذوقون ثمار تعبهم، والخلاصة: **هناك أناس يئنون ويستغيثون، والله لا يلتفت إلى هذه المظالم.** ويعود أيوب للحديث عن الأشرار:

١٣ أُولئِكَ يَكُونُونَ بَيْنَ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى النُّورِ. لاَ يَعْرِفُونَ طُرُقَهُ وَلاَ يَلْبَثُونَ فِي سُبُلِهِ.
١٤ مَعَ النُّورِ يَقُومُ الْقَاتِلُ، يَقْتُلُ الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ، وَفِي اللَّيْلِ يَكُونُ كَاللِّصِّ.
١٥ وَعَيْنُ الزَّانِي تُلاَحِظُ الْعِشَاءَ. يَقُولُ: لاَ تُرَاقِبُنِي عَيْنٌ. فَيَجْعَلُ سِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ.
١٦ يَنْقُبُونَ الْبُيُوتَ فِي الظَّلاَمِ. فِي النَّهَارِ يُغْلِقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. لاَ يَعْرِفُونَ النُّورَ.
١٧ لأَنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ الصَّبَاحُ وَظِلُّ الْمَوْتِ. لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَهْوَالَ ظِلِّ الْمَوْتِ.

الأشرار يكرهون النور، فالظلام ستر لهم، وفيه يرتكبون كل الآثام، أما النهار فيرعبهم، والصبح لديهم مثل ظل الموت. (أنظر يو ٣: ١٩)

١٨ خَفِيفٌ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. مَلْعُونٌ نَصِيبُهُمْ فِي الأَرْضِ. لاَ يَتَوَجَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْكُرُومِ.

هؤلاء ما أسهل أن تكتسحهم المياه، (قارن: أيامي... تفر ولا ترى خيراً، تمر مع سفن البردي – ٩: ٢٥-٢٦)، وسرعان ما تعبر حياة الشرير ويختفي ولا يذهب إلى مزارع الكروم التي اقتناها ليأمر وينهي ويجمع المحصول.

١٩ الْقَحْطُ وَالْقَيْظُ يَذْهَبَانِ بِمِيَاهِ الثَّلْجِ، كَذَا الْهَاوِيَةُ بِالَّذِينَ أَخْطَأُوا. (الهاوية = شيئول)
٢٠ تَنْسَاهُ الرَّحِمُ، يَسْتَحْلِيهِ الدُّودُ. لاَ يُذْكَرُ بَعْدُ، وَيَنْكَسِرُ الأَثِيمُ كَشَجَرَةٍ.
وكما تتبخر المياه المثلجة بالجفاف والحر الشديد، هكذا يفنى الأشرار في الهاوية، ولا يحب الناس أن يتذكروهم، ويصبحون الطعام المفضل للدود! (يتكرر التأكيد على أن حياة الأشرار تمضي سريعاً ولا تترك أثراً أو ذكرى طيبة عند الناس).

٢١ يُسِيءُ إِلَى الْعَاقِرِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ، وَلاَ يُحْسِنُ إِلَى الأَرْمَلَةِ.
٢٢ يُمْسِكُ الأَعِزَّاءَ بِقُوَّتِهِ. يَقُومُ فَلاَ يَأْمَنُ أَحَدٌ بِحَيَاتِهِ.
٢٣ يُعْطِيهِ طُمَأْنِينَةً فَيَتَوَكَّلُ، وَلكِنْ عَيْنَاهُ عَلَى طُرُقِهِمْ.
٢٤ يَتَرَفَّعُونَ قَلِيلاً ثُمَّ لاَ يَكُونُونَ وَيُحَطُّونَ. كَالْكُلِّ يُجْمَعُونَ، وَكَرَأْسِ السُّنْبُلَةِ يُقْطَعُونَ.
٢٥ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَا، فَمَنْ يُكَذِّبُنِي وَيَجْعَلُ كَلاَمِي لاَ شَيْئًا؟».
أيوب: الشرير يتجبر على من بلا سند (نساء: عاقر بلا أبناء، أوأرملة بلا رجل) إن الله يبيد بقوته هؤلاء المتكبرين، وينتفض الله فلا يأمن الشرير على حياته، وقد يعطيه نجاحاً إلى حين، لكنه يراقبه (لعله ينصلح)، وإلا فإن الأشرار يتعاظمون زماناً قصيراً ثم يحطون، وكرؤوس السنابل يقطعون (في أوان النضج)، ومن منكم يكذب كلامي؟

الأصحاح الخامس والعشرون

١ فَأَجَابَ بِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَقَالَ: ٢ «السُّلْطَانُ وَالْهَيْبَةُ عِنْدَهُ. هُوَ صَانِعُ السَّلاَمِ فِي أَعَالِيهِ.
٣ هَلْ مِنْ عَدَدٍ لِجُنُودِهِ؟ وَعَلَى مَنْ لاَ يُشْرِقُ نُورُهُ؟
٤ فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ؟ وَكَيْفَ يَزْكُو مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ؟
٥ هُوَذَا نَفْسُ الْقَمَرِ لاَ يُضِيءُ، وَالْكَوَاكِبُ غَيْرُ نَقِيَّةٍ فِي عَيْنَيْهِ.
٦ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الإِنْسَانُ الرِّمَّةُ، وَابْنُ آدَمَ الدُّودُ؟». (الرمة = الجثة المتعفنة)
أن **بلدد الشوحي لا يضيف جديداً**، هو فقط يؤكد على أن جميع البشر لا يمكن أن يتبرروا أمام الله، ولا يقترح حلاً لهذه المشكلة كما فعل أليفاز (٢٢: ٢١-٣٠).

الأصحاح السادس والعشرون

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: ٢ «كَيْفَ أَعَنْتَ مَنْ لاَ قُوَّةَ لَهُ، وَخَلَّصْتَ ذِرَاعًا لاَ عِزَّ لَهَا؟
٣ كَيْفَ أَشَرْتَ عَلَى مَنْ لاَ حِكْمَةَ لَهُ، وَأَظْهَرْتَ الْفَهْمَ بِكَثْرَةٍ؟
٤ لِمَنْ أَعْلَنْتَ أَقْوَالاً، وَنَسَمَةُ مَنْ خَرَجَتْ مِنْكَ؟ (أي روح يحركك؟)

أيوب: (يرد على بلدد في تهكم حزين) يالك من معين للضعيف، ومخلص للذراع الواهنة. وكيف قدمت مشورة للجاهل (الذي لا يستفيد) ثم ما علاقة كلامك بموضوعنا. ويكاد أيوب أن يقول لبلدد أن روحاً شريرةً تحركه (لو ٩: ٥٥).

يتفق أيوب مع بلدد في أن الإنسان يعجز عن استيعاب قدرة الله، لكنه هنا لا يبدو منشغلاً بمسألة قدرة الله الفائقة، **بل يتهم الله بعدم المبالاة بإقرار العدل بين البشر.**

[تبدو الفقرة من ع ٥ إلى ع ١٤ منفصلة عما قبلها وما بعدها]

٥ اَلأَخْيِلَةُ تَرْتَعِدُ مِنْ تَحْتِ الْمِيَاهِ وَسُكَّانِهَا. (الأخيلة = أرواح الموتى «الرفائيم»)
٦ الْهَاوِيَةُ عُرْيَانَةٌ قُدَّامَهُ، وَالْهَلاَكُ لَيْسَ لَهُ غِطَاءٌ. (الهلاك = «أبدون» حاكم الهاوية)
٧ يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلاَءِ، وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ.
٨ يَصُرُّ الْمِيَاهَ فِي سُحُبِهِ فَلاَ يَتَمَزَّقُ الْغَيْمُ تَحْتَهَا.

حتى الأرواح التي تسكن الهاوية ترتعد أمام الله، فلا شئ من الخليقة يهرب من قدرته. «**يعلق الأرض على لا شئ**» **لا مجال لاعتبار هذا دليلاً على أن الكتاب المقدس سبق علم الفلك، فقد خاطب الله الناس في حدود مفاهيم عصرهم**، لكن هذه قضية أخرى.

إن النص يستخدم حقائق العظمة الإلهية للتأكيد على ضعف الإنسان، لأنه فاني وسهل الزيغان. ليصل بنا إلى ما يريد: **الإنسان يعجز عن فهم طرق الله.**

٩ يَحْجِبُ وَجْهَ كُرْسِيِّهِ بَاسِطًا عَلَيْهِ سَحَابَهُ. (الإنسان لا يرى كرسي «عرش» الله)
١٠ رَسَمَ حَدًّا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ. (المياه يقصد بها قوى الشر)

لقد وضع الله حداً بين النور والظلمة وسيطر على قوات الشر، وهو ما يضحد مقولة أنه يوجد إله للخير وإله للشر، فلا يوجد سوى إله واحد يحكم بلا تحدي. (منذ القدم اعتقد الناس في وجود أكثر من إله لتفسير ما يحدث في الدنيا، وما زالت الفكرة موجودة في الهندوسية وغيرها من الديانات التي يتبعها مئات الملايين من البشر).

١١ أَعْمِدَةُ السَّمَاوَاتِ تَرْتَعِدُ وَتَرْتَاعُ مِنْ زَجْرِهِ. (أعمدة السماوات = الجبال)
١٢ بِقُوَّتِهِ يُزْعِجُ الْبَحْرَ، وَبِفَهْمِهِ يَسْحَقُ رَهَبَ.
١٣ بِنَفْخَتِهِ السَّمَاوَاتُ مُسْفِرَةٌ وَيَدَاهُ أَبْدَأَتَا الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لوياثان (الشر) (أش ٢٧: ١)

السماوات مشرقة بروحه، ويداه انتصرتا على قوى الشر

١٤ هَا هذِهِ أَطْرَافُ طُرُقِهِ، وَمَا أَخْفَضَ الْكَلاَمَ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْهُ وَأَمَّا رَعْدُ جَبَرُوتِهِ فَمَنْ يَفْهَمُ؟»

وكل هذا مجرد ظلال تشير إلى الحكمة الإلهية، وما أقل الكلام الذي نسمعه منه، **وأما أعمال قدرته الجبارة فمن يفهمها، وهذا هو مفتاح الفقرة كلها.**

هناك فرق بين جبروت الطبيعة وبين إعلان الله عن ذاته، **فالكون على عظمته، مجرد مرآة قاصرة لا تكشف روعة الله الحقيقية**، بل هو مجرد همسة خفيضة من جلاله. بمهارة يختم بسؤال لا يمكن أن نرد عليه إلا بالقبول. **خطاب رائع من ايوب وهو في قلب المحنة، لو ردده بلدد وهو لا يعاني من تجربة لكان غير مقبول بالمرة.**

الأصحاح السابع والعشرون

١ وَعَادَ أَيُّوبُ يَنْطِقُ بِمَثَلِهِ فَقَالَ:لعله يجيب أحد أصدقائه، وذلك للإنفعال الذي نراه:

٢ «حَيٌّ هُوَ اللهُ الَّذِي نَزَعَ حَقِّي، وَالْقَدِيرُ الَّذِي أَمَرَّ نَفْسِي،٣ إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ، وَنَفْخَةُ اللهِ فِي أَنْفِي،٤ لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا، وَلاَ يَلْفِظُ لِسَانِي بِغِشٍّ.

٥ ... حَتَّى أُسْلِمَ الرُّوحَ لاَ أَعْزِلُ كَمَالِي عَنِّي. (الشطر الأول نقلناه بعد ع ٦)

٦ تَمَسَّكْتُ بِبِرِّي وَلاَ أُرْخِيهِ. قَلْبِي لاَ يُعَيِّرُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِي. (ضميري لا يؤنبني)

في قسم غير مألوف، **يؤكد أيوبَ إخلاصه في الاحتجاج، والمثير أنه يقسم بالله الذي أنكر حقه ومرَّر حياته!** وما دام فيه نفس يتردد فلن يخطئ أويكذب وسيتمسك بكماله.

٥ حَاشَا لِي أَنْ أُبَرِّرَكُمْ!

يرفض أيوب أن يبرر أصدقاءه، **فلو بررهم، فمعنى هذا اعترافه بأنه مذنب!**

وفي الفقرة (ع ٧–١١) يستخدم بطلنا ضمير المتكلم ١٢ مرة. **إن تمركز أيوب حول ذاته يظل صامداً لا يتزعزع، فلا يقر، ولو مرة واحدة، أنه يتجاوز حدوده!**

٧ لِيَكُنْ عَدُوِّي كَالشِّرِّيرِ، وَمُعَانِدِي كَفَاعِلِ الشَّرِّ.

٨ لأَنَّهُ مَا هُوَ رَجَاءُ الْفَاجِرِ عِنْدَمَا يَقْطَعُهُ، عِنْدَمَا يَسْلِبُ اللهُ نَفْسَهُ؟

٩ أَفَيَسْمَعُ اللهُ صُرَاخَهُ إِذَا جَاءَ عَلَيْهِ ضِيقٌ؟

١٠ أَمْ يَتَلَذَّذُ بِالْقَدِيرِ؟ هَلْ يَدْعُو اللهَ فِي كُلِّ حِينٍ؟

١١ «إِنِّي أُعَلِّمُكُمْ بِيَدِ اللهِ. لاَ أَكْتُمُ مَا هُوَ عِنْدَ الْقَدِيرِ.

١٢ هَا أَنْتُمْ كُلُّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ، فَلِمَاذَا تَتَبَطَّلُونَ تَبَطُّلاً؟ قَائِلِينَ:

عندما ينسحب الله من حياة الفاجر، عندما يفارق روح الله الإنسان المصمم على شره (١ صم ١٠: ١٤)، لا يسمع الله صلاته. **هنا نرى تغييراً طفيفاً في فكر أيوب، فلم يعد يقول أن الله لا يسمع صلاة أحد، لكنه لا يسمع صوت الفاجر فقط.** ثم يعود ليجادل أصحابه : كيف، وهم يرونه آثماً، يريدونه أن يتوسل إلى الله. إن ايوب يقول: سأعلمكم أشياء عن الله، لكنكم تعلمونها بالفعل، فلماذا إذن تتكلمون عن الله بالباطل؟

يرى البعض أن بقية حديث أيوب كان استمراراً في وصف معاناة الأبرار، وازدهار الأشرار، وصمت الله، وأن الفقرة التالية هي حديث صوفر الذي يغيب في المحاورة الثالثة. عموماً الفقرة تتلخص في عقاب الشرير، ومحتواها سبق وروده بألفاظ أخرى.

١٣ هذَا نَصِيبُ الإِنْسَانِ الشِّرِّيرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمِيرَاثُ الْعُتَاةِ الَّذِي يَنَالُونَهُ مِنَ الْقَدِيرِ.

١٤ إِنْ كَثُرَ بَنُوهُ فَلِلسَّيْفِ، وَذُرِّيَّتُهُ لاَ تَشْبَعُ خُبْزًا.

١٥ بَقِيَّتُهُ تُدْفَنُ بِالْمَوْتَانِ، وَأَرَامِلُهُ لاَ تَبْكِي. (الموتان = الوباء)

١٦ إِنْ كَنَزَ فِضَّةً كَالتُّرَابِ، وَأَعَدَّ مَلاَبِسَ كَالطِّينِ، (جمع كثيراً حتى فقد الثمين قيمته)

١٧ فَهُوَ يُعِدُّ وَالْبَارُّ يَلْبَسُهُ، وَالْبَرِئُ يَقْسِمُ الْفِضَّةَ. (قارن ١ مل ١٠: ٢٧)

١٨ يَبْنِي بَيْتَهُ كَالْعُثِّ، أَوْ كَمَظَلَّةٍ صَنَعَهَا النَّاطُورُ. (الناطور = حارس الكروم)

١٩ يَضْطَجِعُ غَنِيًّا وَلكِنَّهُ لاَ يُضَمُّ. يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَلاَ يَكُونُ. (لا يضم = لا يحوز ولا يملك)

٢٠ الأَهْوَالُ تُدْرِكُهُ كَالْمِيَاهِ. لَيْلاً تَخْتَطِفُهُ الزَّوْبَعَةُ.

٢١ تَحْمِلُهُ الشَّرْقِيَّةُ فَيَذْهَبُ، وَتَجْرُفُهُ مِنْ مَكَانِهِ. (الريح الشرقية /رياح السموم)

٢٢ يُلْقِي اللهُ عَلَيْهِ وَلاَ يُشْفِقُ. مِنْ يَدِهِ يَهْرُبُ هَرْبًا.

٢٣ يَصْفِقُونَ عَلَيْهِ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَصْفِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَانِهِ. (يستهزءون به ويسخرون منه)

كل نتاج الشرير ونسله يتبدد ويذهب إلى البار، (يكنز والبرئ يأخذ)، ويعاقبه الرب بلا شفقة، فيسخر منه الكل. (يتكرر تشبيه الدمار بضربات السيول والعواصف).

الأصحاح الثامن والعشرون

عن سعي الإنسان المستميت من أجل الثروة، وليس من أجل الحكمة:

١ «لأَنَّهُ يُوجَدُ لِلْفِضَّةِ مَعْدَنٌ، وَمَوْضِعٌ لِلذَّهَبِ حَيْثُ يُمَحِّصُونَهُ.

٢ الْحَدِيدُ يُسْتَخْرَجُ مِنَ التُّرَابِ، وَالْحَجَرُ يَسْكُبُ نُحَاسًا.

٣ قَدْ جَعَلَ لِلظُّلْمَةِ نَهَايَةً، وَإِلَى كُلِّ طَرَفٍ هُوَ يَفْحَصُ. حَجَرَ الظُّلْمَةِ وَظِلَّ الْمَوْتِ.

(أضاءوا الظلام ليبحثوا عن المعادن والحجارة الكريمة)

٤ حَفَرَ مَنْجَمًا بَعِيدًا عَنِ السُّكَّانِ. بِلاَ مَوْطِئٍ لِلْقَدَمِ، مُتَدَلِّينَ بَعِيدِينَ مِنَ النَّاسِ يَتَدَلْدَلُونَ.

٥ أَرْضٌ يَخْرُجُ مِنْهَا الْخُبْزُ، أَسْفَلُهَا يَنْقَلِبُ كَمَا بِالنَّارِ.

يغامرون بحياتهم في أماكن خطرة ليجدوا الكنوز. وأرضٌ تنتج القمح حفروها بحثاً عن الذهب، **هكذا يبدي الإنسان الثروة على الحياة.**

٦ حِجَارَتُهَا هِيَ مَوْضِعُ الْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ، وَفِيهَا تُرَابُ الذَّهَبِ.

٧ سَبِيلٌ لَمْ يَعْرِفْهُ كَاسِرٌ، وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنُ بَاشِقٍ، (حيث لم يصل طير أو حيوان)

٨ وَلَمْ تَدُسْهُ أَجْرَاءُ السَّبْعِ، وَلَمْ يَعْدُهُ الزَّائِرُ.

٩ إِلَى الصَّوَّانِ يَمُدُّ يَدَهُ. يَقْلِبُ الْجِبَالَ مِنْ أُصُولِهَا.

١٠ يَنْقُرُ فِي الصُّخُورِ سَرَبًا، وَعَيْنُهُ تَرَى كُلَّ ثَمِينٍ. (يحفر نفقاً في الصخر)

١١ يَمْنَعُ رَشْحَ الأَنْهَارِ، وَأَبْرَزَ الْخَفِيَّاتِ إِلَى النُّورِ. (يحول مجرى الأنهار)

يبذل الإنسان جهوداً هائلةً لاستخراج ثروات الأرض، حتى في أماكن تعجز الوحوش عن الوصول إليها، **لكنه لا يهتم بالبحث عن الحكمة** رغم أنها أثمن من كل الكنوز.

١٢«أَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنْ أَيْنَ تُوجَدُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ؟

١٣لاَ يَعْرِفُ الإِنْسَانُ قِيمَتَهَا وَلاَ تُوجَدُ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ.

هناك فرق بين الحكمة والفهم: **فالحكمة:** علم ينتقل بالدراسة مثل الفلسفة. أما **الفهم:** فهو القدرة على التمييز ووزن الأراء ونقد المواقف، للوصول إلى قرار سليم.

لكن النص لا يتوقع خيراً من الإنسان، وأن سر الحياة ليس في متناوله، أو يمكن أن يصل إليه بملكاته الذاتية، **لكن تشاؤمه ليس كلمته الأخيرة، بل خطوة نحو الحقيقة.**

١٤ الْغَمْرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ فِيَّ، وَالْبَحْرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ عِنْدِي.
١٥ لاَ يُعْطَى ذَهَبٌ خَالِصٌ بَدَلَهَا، وَلاَ تُوزَنُ فِضَّةٌ ثَمَنًا لَهَا.
١٦ لاَ تُوزَنُ بِذَهَبِ أُوفِيرَ أَوْ بِالْجَزْعِ الْكَرِيمِ أَوِ الْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ. (أوفير = مكان غير محدد
١٧ لاَ يُعَادِلُهَا الذَّهَبُ وَلاَ الزُّجَاجُ، وَلاَ تُبْدَلُ بِإِنَاءِ ذَهَبٍ إِبْرِيزٍ. (كان يجلب منه الذهب)
١٨ لاَ يُذْكَرُ الْمَرْجَانُ أَوِ الْبَلُّوْرُ، وَتَحْصِيلُ الْحِكْمَةِ خَيْرٌ مِنَ اللآلِئِ.
١٩ لاَ يُعَادِلُهَا يَاقُوتُ كُوشٍ الأَصْفَرُ، وَلاَ تُوزَنُ بِالذَّهَبِ الْخَالِصِ.
٢٠ فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْحِكْمَةُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ؟

الحكمة أغلى من كل شئ (الفضة أو الذهب أو الجواهر)، ولكن أين هي؟ أين يذهب الإنسان ليعرف سر وجوده؟ هل يسأل البحر؟ والحكمة لا تُشترى. (ربما يقصد التقدمات التي قُدمتها الشعوب إلى أربابها، والمعابد التي بنيت وزخرفت ببذخ، لقد دفع الإنسان ثمناً باهظاً للتواصل مع قوى الكون لطلب معونتها أو لاتقاء شرها).

يتجاوز النص الحكمة السائدة في عصره، لقد فقد الثقة في قدرة الإنسان على التعلم أو التصرف السليم، **ويقابل بين تفوق الإنسان في غزو الطبيعة وعجزه عن السلوك بما يتوافق مع قدراته وذكائه.** إن الحكمة التي يستحسنها النص ليست في مقولات القدماء، بل هي **القدرة على مواجهة الحياة وتحقيق الوجود الإنساني، بمعنى أن يكون الوجود فاعلاً مؤثراً فيصبح له مغزى. إن تحقيق الوجود الكامل يتجاوز مواهب الإنسان.**

٢١ إِذ أُخْفِيَتْ عَنْ عُيُونِ كُلِّ حَيٍّ، وَسُتِرَتْ عَنْ طَيْرِ السَّمَاءِ.
٢٢ اَلْهَلاَكُ وَالْمَوْتُ يَقُولاَنِ: بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا خَبَرَهَا.
٢٣ اَللهُ يَفْهَمُ طَرِيقَهَا، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَكَانِهَا.

لقد خفيت الحكمة عن كل مخلوق، حتى سكان العالم السفلي، سمعوا بها ولم يروها، **الله وحده هو الذي يعرف الطريق إلى الحكمة.**

٢٤ لأَنَّهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يَرَى.
٢٥ لِيَجْعَلَ لِلرِّيحِ وَزْنًا، وَيُعَايِرَ الْمِيَاهَ بِمِقْيَاسٍ.
٢٦ لَمَّا جَعَلَ لِلْمَطَرِ فَرِيضَةً، وَمَذْهَبًا لِلصَّوَاعِقِ،

هنا يشير إلى بداية الخليقة، ونلاحظ مسألة مهمة أن النص **لا يذكر إطلاقاً أن الله خلق**

الحكمة، لكنه يؤكد أن الله يحوزها، فالحكمة عند الله من قبل أن يعرفه الإنسان، والله يعرف أهميتها، لذا الحكمة مستقرة عند الله ويفعل كل ما يعلي من شأنها.
الله أولاً حاز الحكمة، ويعرف فاعليتها، وأهميتها، ويعلم أعماقها
هنا يتحدث عن الحكمة بمعناها الفائق للطبيعة الإنسانية

٢٨ وَقَالَ لِلإِنْسَانِ: هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ».
ع ٢٨ يتحدث عن الحكمة كأسلوب في الحياة، وهي في متناول الإنسان من خلال:
أولاً: مخافة الرب: هي طاعة تبدو سهلة ومتوافقة مع مبادئ البر والتقوى.
ثانياً: الحيدان عن الشر: هي طاعة سهلة ومتوافقة مع مبادئ القيم والأخلاق.

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً:
إذن الحكمة التي يهتم بها النص ليست هي الحكمة الأزلية التي يحوزها الخالق وحده، فالله لم تفارقه حكمته فهي صفة ذاتية لله، لكنها **الحكمة التي يترجمها الإنسان إلى سلوك في حياته اليومية،** وهنا نجد تعارضاً بين ع ٢٤-٢٧ و٢٨ وبين ع١٢و٢٠ اللذان **يؤكدان عجز الإنسان عن الوصول إلى الحكمة بمجهوده الذاتي، فلماذا أذن تبدأ الأنشودة بلوم الإنسان لأنه لا يبحث عن الحكمة؟ فكيف نطالب الإنسان بتحقيق ما لا يمكنه؟ ما حل هذا التعارض؟**

إن التأكيد في ع ١٢و٢٠ يقصد الحكمة التي يسعى إليها الإنسان، ليست الحكمة الذاتية في الله، لكنها الحكمة التي تفيد الإنسان في حياته اليومية، **وهذه موجودة في حوزة الله وحده، لكنه يمنحها لمن يختاره من البشر** (يع ١: ٥).

ولكن هذه الحكمة العملية في ع ٢٨، **هي أيضاً ليست في متناول الإنسان! فالمطلوب للحصول عليها هو مخافة الله والحيود عن الشر، وكيف يمكن للإنسان حقاً أن يخاف الله، وكيف يتسنى للإنسان حقاً أن يحيد عن الشر. ويبقى السؤال دون إجابة: كيف يصل الإنسان إلى الحكمة،** وهذه هي القضية. إن أيوب يزعم أنه قادر على بلوغ الكمال، بتقوى الله والحيود عن الشر، لكن النص يتدرج **لنكتشف أن الإنسان يحتاج إلى التوبة.**
إذن: **الإنسان عاجز عن الوصول إلى الحكمة بسبب فداحة الثمن المطلوب منه، فالإلتزام الكامل بالوصية، بعيد عن متناول الإنسان، كل إنسان.**

(لكن المستحيل صار ممكناً في تدبير الخلاص الذي تممه المسيح. لو ١٧: ٢٧)
في الأصحاحات ٢٩ – ٣١ يتركنا النص نلتقط أنفاسنا، ويرسم لنا صورة مثالية للسعادة، والمكانة الاجتماعية التي يزينها النبل، ويستعيدها في نص فائق الجمال.
أن يقال عن أيوب أنه نموذج للإنسان الكامل أسهل بكثير من وصفه، لكن السفر ينجح في هذا، ويجعل البطل يقدم صورة ذاتية تجسد أنقى مثال للخلق، فيمهد لإقناعنا بتعبير أيوب الأخير عن الفخر أنه كان يتعامل مع الله «كملك في جيش – ٢٩: ٢٥». فيعدنا لحديث أليهو الذي يسمو بنا لنتعامل مع أعلى مستويات الرؤيا.

الأصحاح التاسع والعشرون

بركات وجود الله في حياة أيوب:

١ وَعَادَ أَيُّوبُ يَنْطِقُ بِمَثَلِهِ فَقَالَ:
٢ «يَا لَيْتَنِي كَمَا فِي الشُّهُورِ السَّالِفَةِ وَكَالأَيَّامِ الَّتِي حَفِظَنِي اللهُ فِيهَا،
٣ حِينَ أَضَاءَ سِرَاجَهُ عَلَى رَأْسِي، وَبِنُورِهِ سَلَكْتُ الظُّلْمَةَ.
٤ كَمَا كُنْتُ فِي أَيَّامِ خَرِيفِي، وَرِضَا اللهِ عَلَى خَيْمَتِي،٥ وَالْقَدِيرُ بَعْدُ مَعِي وَحَوْلِي غِلْمَانِي،
٦ إِذْ غَسَلْتُ خَطَوَاتِي بِاللَّبَنِ، وَالصَّخْرُ سَكَبَ لِي جَدَاوِلَ زَيْتٍ.

يعرفنا أيوب كيف كانت الشهور السالفة زاخرة بالفرح والسعادة، لأن إلهاً مترفقاً كان يهتم به، وكانت عنايته كمصباح هادي في الظلام. (مز ٣٦: ٩). «**أيام خريفي**». يشار إلى الشيخوخة بأنها خريف العمر، لكن في بلادنا، الخريف هو وقت الطقس الجميل وفيه تجمع الثمار وتحرث الأرض ليأتي المطر حين تتفتح الأرض للبذور. عندما كان القدير معه كان آمناً وحياته رغدة، وغلمانه حوله، والبركة في كل شئ حتى الصخور.

المكانة الاجتماعية

٧ حِينَ كُنْتُ أَخْرُجُ إِلَى الْبَابِ فِي الْقَرْيَةِ، وَأُهَيِّئُ فِي السَّاحَةِ مَجْلِسِي.
٨ رَآنِي الْغِلْمَانُ فَاخْتَبَأُوا، وَالأَشْيَاخُ قَامُوا وَوَقَفُوا.
٩ الْعُظَمَاءُ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلاَمِ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ.
١٠ صَوْتُ الشُّرَفَاءِ اخْتَفَى، وَلَصِقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِأَحْنَاكِهِمْ. (صمتوا تهيباً)
١١ لأَنَّ الأُذُنَ سَمِعَتْ فَطَوَّبَتْنِي، وَالْعَيْنَ رَأَتْ فَشَهِدَتْ لِي،

١٢ لأَنِّي أَنْقَذْتُ الْمِسْكِينَ الْمُسْتَغِيثَ وَالْيَتِيمَ وَلاَ مُعِينَ لَهُ.
١٣ بَرَكَةُ الْهَالِكِ حَلَّتْ عَلَيَّ، وَجَعَلْتُ قَلْبَ الأَرْمَلَةِ يُسَرُّ. (الهالك = المتوفي)
لقد تذوق أيوب الرضا النابع من إجماع الناس حوله، لأنه بكل جدية قام بواجباته تجاه المجتمع. ونفهم أنه كان يعيش حياة بين البداوة والتمدن، فيقيم في خيمته في موسم الرعي وفي قريته وقت الشتاء. لقد قدم له الكبار والصغار أقصى درجات الاحترام، وكرجل في عنفوانه، بجَّل الجميع مشورته، حتى العظماء، واثقين في إخلاصه. على أن مكانته لم تثر حسد الآخرين كما يبدو، لأنه كان معروفاً ببره بالمحتاجين، بل تمتع بتطويب ورضاء الجميع، حتى أنه يضمن بركة المتوفي لأنه اعتنى بأرملته.

دعاوى البر:
١٤ لَبِسْتُ الْبِرَّ فَكَسَانِي. كَجُبَّةٍ وَعَمَامَةٍ كَانَ عَدْلِي.١٥ كُنْتُ عُيُونًا لِلْعُمْيَ، وَأَرْجُلاً لِلْعُرْجِ.
١٦ أَبٌ أَنَا لِلْفُقَرَاءِ، وَدَعْوَى لَمْ أَعْرِفْهَا فَحَصْتُ عَنْهَا.
١٧ هَشَّمْتُ أَضْرَاسَ الظَّالِمِ، وَمِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ خَطَفْتُ الْفَرِيسَةَ.
١٨ فَقُلْتُ: إِنِّي فِي وَكْرِي أُسَلِّمُ الرُّوحَ، وَمِثْلَ السَّمَنْدَلِ أُكَثِّرُ أَيَّامًا.
(السمندل: طائر خرافي يجدد شبابه باستمرار)
١٩ أَصْلِي كَانَ مُنْبَسِطًا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالطَّلُّ بَاتَ عَلَى أَغْصَانِي.
٢٠ كَرَامَتِي بَقِيَتْ حَدِيثَةً عِنْدِي، وَقَوْسِي تَجَدَّدَتْ فِي يَدِي. (كرامتي لم تضمحل)
يصف أيوب نفسه بأن البر لصيق به مثل الجلباب، ويسرد قائمة باعمال الخير التي مارسها كعادات يومية. حتى أن تعاطفه مع المساكين قاده إلى أن يفحص حالات القهر والظلم في كل مكان إلى درجة **المخاطرة بمواجهة الظالمين** (ع ١٧). **لذا توقع أنه سينال عن استحقاق، حياة هادئة مديدة، في شباب متجدد** كشجرة على المياه.

قيمة النزاهة الشخصية
٢١ لِي سَمِعُوا وَانْتَظَرُوا، وَنَصَتُوا عِنْدَ مَشُورَتِي.
٢٢ بَعْدَ كَلاَمِي لَمْ يُثَنُّوا، وَقَوْلِي قَطَرَ عَلَيْهِمْ. (يثنوا = يتحدثوا بعدي)
٢٣ وَانْتَظَرُونِي مِثْلَ الْمَطَرِ، وَفَغَرُوا أَفْوَاهَهُمْ كَمَا لِلْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ.
٢٤ إِنْ ضَحِكْتُ عَلَيْهِمْ لَمْ يُصَدِّقُوا، وَنُورَ وَجْهِي لَمْ يُعَبِّسُوا.

٢٥ كُنْتُ أَخْتَارُ طَرِيقَهُمْ وَأَجْلِسُ رَأْسًا، وَأَسْكُنُ كَمَلِكٍ فِي جَيْشٍ، كَمَنْ يُعَزِّي النَّائِحِينَ.
يتكلم فيسود الصمت وينتظرونه فقوله هو المرجع النهائي، كما ينتظرون المطر المبكر بعد الحصاد ليجدد وجه الأرض. فلديه موهبة القيادة وتصدر المجالس، وإذا حدث خلاف ما أسهل أن يعيد الهدوء إلى الجماعة بابتسامة، مثل من يهدئ الحزاني.

الأصحاح الثلاثون

١ وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ضَحِكَ عَلَيَّ أَصَاغِرِي أَيَّامًا، الَّذِينَ كُنْتُ أَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلاَبِ غَنَمِي. ٢ قُوَّةُ أَيْدِيهِمْ أَيْضًا مَا هِيَ لِي. فِيهِمْ عَجِزَتِ الشَّيْخُوخَةُ.
أما الآن، فمن هم أصغر مني (سناً ومكانةً) **سخروا مني طويلاً، أولئك الذين كنت ازدري آباءهم.** هؤلاء الصغار لن انتفع منهم بعد أن ذهب حماسهم وولائهم. هؤلاء:
٣ فِي الْعَوَزِ وَالْمَحْلِ مَهْزُولُونَ، عَارِقُونَ الْيَابِسَةَ الَّتِي هِيَ مُنْذُ أَمْسِ خَرَابٌ وَخَرِبَةٌ.
٤ الَّذِينَ يَقْطِفُونَ الْمَلاَّحَ عِنْدَ الشِّيحِ، وَأُصُولُ الرَّتَمِ خُبْزُهُمْ. (الملاح = الأعشاب المالحة)
(الشيح = الشجيرات ، أصول الرتم = جذور شجرة كان يصنع منها المكانس)

٥ مِنَ الْوَسَطِ يُطْرَدُونَ. يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِصٍّ.
٦ لِلسَّكَنِ فِي أَوْدِيَةٍ مُرْعِبَةٍ وَثُقَبِ التُّرَابِ وَالصُّخُورِ.
٧ بَيْنَ الشِّيحِ يَنْهَقُونَ. تَحْتَ الْعَوْسَجِ يَنْكَبُّونَ.
٨ أَبْنَاءُ الْحَمَاقَةِ، بَلْ أَبْنَاءُ أُنَاسٍ بِلاَ اسْمٍ، سِيطُوا مِنَ الأَرْضِ.
في وقت الفاقة (المَحْل) كانوا يلجأون إلى الخرب المهجورة، يتقوتون بالأعشاب ويتدفأون بحرق الجذور، يُطردون من وسط الرجال، ويصيحون عليهم كمن على لصوص، ولا تتاح لهم السكنى إلا في الأودية الموحشة ونقر الأرض والصخور، بين الشجيرات ينهقون، وتحت الأشواك يتجمعون كالقطيع. أبناء الحمقى وأولاد من لا ذكر لهم، نسل من طردوا بالسياط (سيطوا)، هؤلاء صاروا يسخرون مني أنا!

٩ «أَمَّا الآنَ فَصِرْتُ أُغْنِيَتَهُمْ، وَأَصْبَحْتُ لَهُمْ مَثَلاً!
١٠ يَكْرَهُونَنِي. يَبْتَعِدُونَ عَنِّي، وَأَمَامَ وَجْهِي لَمْ يُمْسِكُوا عَنِ الْبَسْقِ. (البسق = البصق)
١١ لأَنَّهُ أَطْلَقَ الْعَنَانَ وَقَهَرَنِي، فَنَزَعُوا الزِّمَامَ قُدَّامِي.
١٢ عَنِ الْيَمِينِ الْفُرُوخُ يَقُومُونَ يُزِيحُونَ رِجْلِي، وَيُعِدُّونَ عَلَيَّ طُرُقَهُمْ لِلْبَوَارِ.

١٣ أَفْسَدُوا سُبُلِي. أَعَانُوا عَلَى سُقُوطِي. لاَ مُسَاعِدَ عَلَيْهِمْ.(صدع = شرخ كبير بين الصخور)
١٤ يَأْتُونَ كَصَدْعٍ عَرِيضٍ. تَحْتَ الْهَدَّةِ يَتَدَحْرَجُونَ. (تصفر فيه الريح ، الهدة = المنحدر)
١٥ اِنْقَلَبَتْ عَلَيَّ أَهْوَالٌ. طَرَدَتْ كَالرِّيحِ نِعْمَتِي، فَعَبَرَتْ كَالسَّحَابِ سَعَادَتِي.
صرت تسليتهم، يتعالون عليَّ، ويبصقون في وجهي، لأن الله أذلني (بدد قوتي)، فخلعوا الحياء وتسلوا بتدميري، لا أحد يكبح جماحهم، أو يساعدني عليهم. يأتون عليَّ كالريح من شرخ جبلي ويتمرغون على الركام (يفعلون ما يحلوا لهم). يشبه أيوب البلية (الأهوال) التي أصابته بالريح التي تطرد السحاب، فتحرم الأرض من المطر.

١٦ «فَالآنَ انْهَالَتْ نَفْسِي عَلَيَّ، وَأَخَذَتْنِي أَيَّامُ الْمَذَلَّةِ.
١٧ اللَّيْلَ يَنْخَرُ عِظَامِي فِيَّ، وَعَارِقِيَّ لاَ تَهْجَعُ. (عارقيَّ = آلامي = ما يقرض جسدي)
١٨ بِكَثْرَةِ الشِّدَّةِ تَنَكَّرَ لِبْسِي. مِثْلَ جَيْبِ قَمِيصِي حَزَمَتْنِي. (بعنف شديد تشوه ثوبي)
١٩ قَدْ طَرَحَنِي فِي الْوَحْلِ، فَأَشْبَهْتُ التُّرَابَ وَالرَّمَادَ.
٢٠ إِلَيْكَ أَصْرُخُ فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي. أَقُومُ فَمَا تَنْتَبِهُ إِلَيَّ.
٢١ تَحَوَّلْتَ إِلَى جَافٍ مِنْ نَحْوِي. بِقُدْرَةِ يَدِكَ تَضْطَهِدُنِي.
٢٢ حَمَلْتَنِي، أَرْكَبْتَنِي الرِّيحَ وَذَوَّبْتَنِي تَشَوُّهًا.
٢٣ لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِلَى الْمَوْتِ تُعِيدُنِي، وَإِلَى بَيْتِ مِيعَادٍ كُلِّ حَيٍّ.
٢٤ وَلكِنْ فِي الْخَرَابِ أَلاَ يَمُدُّ يَدًا؟ فِي الْبَلِيَّةِ أَلاَ يَسْتَغِيثُ عَلَيْهَا؟
الآلام التي تقرضني لا تتوقف أبداً، تمسك بخناقي (كعنق القميص)، لأنك يا رب قسوت عليَّ: رميتني في الوحل، لا تستجيب ولا تلتفت إليَّ، (وفي تعبير مؤلم) صرت جافاً تجاهي، تضطهدني بكل قدرتك، أطحت بي للريح تتقاذفني (ذوبتني تشوهاً)، وفي النهاية سوف تميتني. ورغم هذا لا مفر من طلب النجاة، فإلى من أذهب، أليس كل من يجد نفسه وسط الخراب يصرخ طالباً العون في بليته؟

٢٥ أَلَمْ أَبْكِ لِمَنْ عَسَرَ يَوْمُهُ؟ أَلَمْ تَكْتَئِبْ نَفْسِي عَلَى الْمِسْكِينِ؟
٢٦ حِينَمَا تَرَجَّيْتُ الْخَيْرَ جَاءَ الشَّرُّ، وَانْتَظَرْتُ النُّورَ فَجَاءَ الدُّجَى.
٢٧ أَمْعَائِي تَغْلِي وَلاَ تَكُفُّ. تَقَدَّمَتْنِي أَيَّامُ الْمَذَلَّةِ. (تقدمتني = جاءت عليَّ)
٢٨ اِسْوَدَدْتُ لكِنْ بِلاَ شَمْسٍ. قُمْتُ فِي الْجَمَاعَةِ أَصْرُخُ.

٢٩ صِرْتُ أَخًا لِلذِّئَابِ، وَصَاحِبًا لِرِئَالِ النَّعَامِ.
٣٠ حَرِشَ جِلْدِي عَلَيَّ وَعِظَامِي احْتَرَّتْ مِنَ الْحَرَارَةِ فِيَّ.
٣١ صَارَ عُودِي لِلنَّوْحِ، وَمِزْمَارِي لِصَوْتِ الْبَاكِينَ. (العود آلة موسيقية)

أيوب: هل هذا ما استحقه؟! لقد تعاطفت مع المتعسِّر وحزنت من أجل المسكين، وانتظرت خيراً فإذا شرٌ، وتوقعت نوراً فإذا ظلامٌ. إن قلبي يضطرب ولا يهدأ، فقد جاءت عليَّ أيام البلية، فاحترق وجهي دون شمس. أصرخ وسط الناس طالباً العون، أصبحت طريداً (مثل الذئاب والنعام). تمزق جلدي وعظامي تكاد تحترق. وهكذا صار أوتار عودي للنوح (وليس للفرح)، وأصبح مزماري للبكاء (وليس الغناء).

الأصحاح الحادي والثلاثون

كما ابتلعت البقرات العجاف البقرات السمان دون أن يتغير حالها، هكذا ابتلعت أحزان الحاضر سعادة الماضي، ولا رجاء سوى الموت والفناء، لكن أيوب ما زال يؤكد براءته، فيختم حديثه الطويل بأكثر الدعاوى حسماً؛ فنراه يعدد **ستة عشر** تعدياً دينياً أو أخلاقياً، منزهاً نفسه عن ارتكابها واحداً واحداً، **مفصحاً عن أفضل صورة للضمير نجدها في الكتاب، معلناً استعداده لمواجهة قاضيه، فخوراً بسجل لا تشوبه شائبة.**

١- إِنْ كُنْتُ قَدْ سَلَكْتُ مَعَ الْكَذِبِ ٢- أَوْ أَسْرَعَتْ رِجْلِي إِلَى الْغِشِّ،
٣- إِنْ حَادَتْ خَطَوَاتِي عَنِ الطَّرِيقِ، ٤- وَذَهَبَ قَلْبِي وَرَاءَ عَيْنَيَّ،
٥- أَوْ لَصِقَ عَيْبٌ بِكَفِّي، ٦- «إِنْ غَوِيَ قَلْبِي عَلَى امْرَأَةٍ،
٧- «إِنْ كُنْتُ رَفَضْتُ حَقَّ عَبْدِي وَأَمَتِي ٨- إِنْ كُنْتُ مَنَعْتُ الْمَسَاكِينَ عَنْ مُرَادِهِمْ،
٩- أَوْ أَفْنَيْتُ عَيْنَيِ الأَرْمَلَةِ، ١٠- أَوْ أَكَلْتُ لُقْمَتِي وَحْدِي فَمَا أَكَلَ مِنْهَا الْيَتِيمُ.
١١- إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ .. فَقِيرًا بِلاَ كِسْوَةٍ، ١٢- إِنْ كُنْتُ قَدْ هَزَزْتُ يَدِي عَلَى الْيَتِيمِ
١٣- «إِنْ كُنْتُ قَدْ جَعَلْتُ الذَّهَبَ عَمْدَتِي، ١٤- إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ إِذْ كَثُرَتْ ثَرْوَتِي
١٥- إِنْ كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْقَمَرِ وَلَثْمَ يَدِي فَمِي، ١٦- إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ بِبَلِيَّةِ مُبْغِضِي

القسم الأخير بالبراءة:

قَسَمُ النقاوة الداخلية:

١ عَهْدًا قَطَعْتُ لِعَيْنَيَّ، فَكَيْفَ أَتَطَلَّعُ فِي عَذْرَاءَ؟
٢ وَمَا هِيَ قِسْمَةُ اللهِ مِنْ فَوْقُ، وَنَصِيبُ الْقَدِيرِ مِنَ الأَعَالِي؟
٣ أَلَيْسَ الْبَوَارُ لِعَامِلِ الشَّرِّ، وَالنُّكْرُ لِفَاعِلِي الإِثْمِ؟
٤ أَلَيْسَ هُوَ يَنْظُرُ طُرُقِي، وَيُحْصِي جَمِيعَ خَطَوَاتِي؟

رغم أن أيوب لم يسمع وصية المسيح (مت ٥: ٢٤)، لكن خبرته الإنسانية كافية لكي يعلم أن الزلل يبدأ من انشغال الحواس، لذا **يؤكد أن فكر الشهوة لم يلوث مشاعره.**

استنزال اللعنات على النفس

هذا الأسلوب يتكرر في الكتاب المقدس: «هكذا يفعل بي الرب وهكذا يزيد – را ١: ١٧»

٥ إِنْ كُنْتُ قَدْ سَلَكْتُ مَعَ الْكَذِبِ، أَوْ أَسْرَعَتْ رِجْلِي إِلَى الْغِشِّ،
٦ لِيَزِنِّي فِي مِيزَانِ الْحَقِّ، فَيَعْرِفَ اللهُ كَمَالِي.
٧ إِنْ حَادَتْ خَطَوَاتِي عَنِ الطَّرِيقِ، وَذَهَبَ قَلْبِي وَرَاءَ عَيْنَيَّ، أَوْ لَصِقَ عَيْبٌ بِكَفِّي،
٨ أَزْرَعْ وَغَيْرِي يَأْكُلْ، وَفُرُوعِي تُسْتَأْصَلْ.

إن كنت مذنباً بالزيف أو الطمع أو عدم الطهارة، فلأهلك من الجوع

٩ إِنْ غَوِيَ قَلْبِي عَلَى امْرَأَةٍ، أَوْ كَمَنْتُ عَلَى بَابِ قَرِيبِي،
١٠ فَلْتَطْحَنِ امْرَأَتِي لآخَرَ، وَلْيَنْحَنِ عَلَيْهَا آخَرُونَ.
١١ لأَنَّ هذِهِ رَذِيلَةٌ، وَهِيَ إِثْمٌ يُعْرَضُ لِلْقُضَاةِ.
١٢ لأَنَّهَا نَارٌ تَأْكُلُ حَتَّى إِلَى الْهَلاَكِ، وَتَسْتَأْصِلُ كُلَّ مَحْصُولِي.

إن كان زانياً، لتصبح زوجته ملكاً لآخر أو لآخرين! أما أنا فلتحرقني النار (كانت عقوبة الزنا في عصر الآباء هي الإحراق بالنار – تك ٣٨).

١٣ إِنْ كُنْتُ رَفَضْتُ حَقَّ عَبْدِي وَأَمَتِي فِي دَعْوَاهُمَا عَلَيَّ،
١٤ فَمَاذَا كُنْتُ أَصْنَعُ حِينَ يَقُومُ اللهُ؟ وَإِذَا افْتَقَدَ، فَبِمَاذَا أُجِيبُهُ؟
١٥ أَوَلَيْسَ صَانِعِي فِي الْبَطْنِ صَانِعَهُ، وَقَدْ صَوَّرَنَا وَاحِدٌ فِي الرَّحِمِ؟

من المثير أن أيوب يتحدث عن حقوق العبيد قبل آلاف السنين، ويؤسسها على أنهم

متساوون مع سادتهم لأن خالقهم واحد، وهو فكر رفيع كان نادراً في عصره.

١٦ إِنْ كُنْتُ مَنَعْتُ الْمَسَاكِينَ عَنْ مُرَادِهِمْ، أَوْ أَفْنَيْتُ عَيْنَيِ الأَرْمَلَةِ،
١٧ أَوْ أَكَلْتُ لُقْمَتِي وَحْدِي فَمَا أَكَلَ مِنْهَا الْيَتِيمُ.
١٨ بَلْ مُنْذُ صِبَايَ كَبِرَ عِنْدِي كَأَبٍ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّي هَدَيْتُهَا.
١٩ إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ هَالِكًا لِعَدَمِ اللِّبْسِ أَوْ فَقِيرًا بِلاَ كِسْوَةٍ،
٢٠ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي حَقَوَاهُ وَقَدِ اسْتَدْفَأَ بِجَزَّةِ غَنَمِي.
٢١ إِنْ كُنْتُ قَدْ هَزَزْتُ يَدِي عَلَى الْيَتِيمِ لَمَّا رَأَيْتُ عَوْنِي فِي الْبَابِ،
٢٢ فَلْتَسْقُطْ عَضُدِي مِنْ كَتِفِي، وَلْتَنْكَسِرْ ذِرَاعِي مِنْ قَصَبَتِهَا،
٢٣ لأَنَّ الْبَوَارَ مِنَ اللهِ رُعْبٌ عَلَيَّ، وَمِنْ جَلاَلِهِ لَمْ أَسْتَطِعْ.

يتحدث أيوب عن اهتمامه بالمحتاجين، ويقدم برنامجاً شاملاً للرعاية الاجتماعية، محوره: «إن كنا منعت المساكين عن مرادهم... أو أكلت لقمتي وحدي – ع ١٦و١٧»

لقد مارس أيوب في تعاملاته أسمى مما ندعوه الآن «العدالة الاجتماعية»، بل عاش «المسئولية الاجتماعية». فلم يتمتع بأية ميزة دون أن يشرك المحتاج معه. إن أيوب يظهر **أن إنسانيته كان يحركها فهمه الواقعي لمعاناة الفقر، لقد أطعم الجائع وكسا العريان لأنه اختبر الجوع والبرد،** فلم يعد يستطيع أن يستكن إلى دفء خيمته، وهو يعلم أن فقيراً لا يتدفأ، بل إنه يقدم لهذا الفقير فروته الخاصة. وفي كل حالة نرى **وعيه الاجتماعي ينبثق من إلتزامه بإرادة الله الذي يعتني بكل البشر، إن خضوعه لله دائماً هو الذي ساند وأعطى المغزى ومكَّن أيوب من موقفه الأخلاقي.**

٢٤ إِنْ كُنْتُ قَدْ جَعَلْتُ الذَّهَبَ عَمْدَتِي، أَوْ قُلْتُ لِلإِبْرِيزِ: أَنْتَ مُتَّكَلِي.
٢٥ إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ إِذْ كَثُرَتْ ثَرْوَتِي وَلأَنَّ يَدِي وَجَدَتْ كَثِيرًا.
٢٦ إِنْ كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى النُّورِ حِينَ ضَاءَ، أَوْ إِلَى الْقَمَرِ يَسِيرُ بِالْبَهَاءِ،
٢٧ وَغَوِيَ قَلْبِي سِرًّا، وَلَثَمَ يَدِي فَمِي، (طقس مارسه من عبدوا القمر)
٢٨ فَهذَا أَيْضًا إِثْمٌ يُعْرَضُ لِلْقُضَاةِ، لأَنِّي أَكُونُ قَدْ جَحَدْتُ اللهَ مِنْ فَوْقُ.

إن هذا ينقله من الواقع الاجتماعي إلى فحص تبعيته لله. إن أيوب يستوعب جيداً جوهر تعدد الآلهة، ويربط بينها ومفهوم الاتكال على الله وحده، لذا يستنكر أن يكون معتمداً على

الثروة، فمن يتكل على أي شئ سوى الله يعبد أكثر من إله، وهو فكر سابق لعصره، شرحه المسيح فيما بعد(مت ٦: ٢٤) ويتلو ذلك تأكيده بأنه لم يتورط في أي طقس لعبادة القمر. فقد كانت عبادة الأجرام السماوية منتشرة في بلاد الشرق. **وكم هو صعب أن يستقل إنسان بإيمانه وسط محيط من البشر متحمس لعبادة أخرى.** لكن أيوب أدرك بعمق أن أبسط تساهل مع إي عبادة وثنية يعتبر إنكاراً لله.

٢٩ إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ بِبَلِيَّةِ مُبْغِضِي أَوْ شَمِتُّ حِينَ أَصَابَهُ سُوءٌ.
٣٠ بَلْ لَمْ أَدَعْ حَنَكِي يُخْطِئُ فِي طَلَبِ نَفْسِهِ بِلَعْنَةٍ.

حتى من موقف الانتصار يستنكف أيوب رد الفعل الرخيص بأن يشمت في مبغضيه، كما يستنكر الرغبة في استنزال اللعنات على عدوه.

٣١ إِنْ كَانَ أَهْلُ خَيْمَتِي لَمْ يَقُولُوا: مَنْ يَأْتِي بِأَحَدٍ لَمْ يَشْبَعْ مِنْ طَعَامِهِ؟
٣٢ غَرِيبٌ لَمْ يَبِتْ فِي الْخَارِجِ. فَتَحْتُ لِلْمُسَافِرِ أَبْوَابِي.

ينتقل أيوب من الموقف السلبي (لم أفعل ...) إلى الموقف الإيجابي (فعلت...)، ويلمس العادة العربية الراسخة لضيافة الغرباء، ويشير إلى رضا من استضافهم إذ شبعوا من طعامه (لحمه)، وقدم لهم وليمة حتى ولو كانوا من بسطاء الناس (عابري سبيل).

٣٣ إِنْ كُنْتُ قَدْ كَتَمْتُ كَالنَّاسِ (كآدم) ذَنْبِي لإِخْفَاءِ إِثْمِي فِي حِضْنِي.
٣٤ إِذْ رَهِبْتُ جُمْهُورًا غَفِيرًا، وَرَوَّعَتْنِي إِهَانَةُ الْعَشَائِرِ، فَكَفَفْتُ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْبَابِ.

إنه الآن يبرئ نفسه من خطية النفاق، فلم يتخفَ وراء أي قناع كان ليخفي سريرته، ولم يخف آثامه حتى خوفاً من أن يفقد احترام العشائر. {إن الذين يخفون أخطاءهم عن الناس، يخشون أن يفقدوا مكانتهم ضمن جماعة الحل والعقد عند الباب}. (الباب: هو مدخل القرية يجتمع عنده الرؤساء لإبرام الصفقات وعقد الزيجات وحل المشاكل).

يقترب أيوب من تقديم دعواه الأخيرة، فنفهم لماذا يشير في حديثه إلى آدم، **فبينما هرب آدم من وجه الرب واختبأ، لن يحاول أيوب الاختباء، وها هو يقدم طلبه بكل الكبرياء والتحدي إلى السماء.** وبهذا تشكل الفقرة ع ٣٣-٣٤ **انتقالاً من يمين البراءة إلى التحدي العظيم!** إن المسألة ليست مجرد أنه لا ينافق ولا يخفي آثامه، بل أنه لم يعد هناك مجال للتحفظ، ولم يعد لديه ما يخفيه، فطرح كل ما عنده بضمير مستريح.

(نقلنا ع ٣٨-٤٠ هنا ليستمر تسلسل الفكرة لنسهل الفهم للقارئ)

٣٨ إِنْ كَانَتْ أَرْضِي قَدْ صَرَخَتْ عَلَيَّ وَتَبَاكَتْ أَتْلاَمُهَا جَمِيعًا.(الأتلام = أخاديد المحراث)
٣٩ إِنْ كُنْتُ قَدْ أَكَلْتُ غَلَّتَهَا بِلاَ فِضَّةٍ، أَوْ أَطْفَأْتُ أَنْفُسَ أَصْحَابِهَا، (قتلت أصحابها)
٤٠ فَعِوَضَ الْحِنْطَةِ لِيَنْبُتْ شَوْكٌ، وَبَدَلَ الشَّعِيرِ زَوَانٌ».

هنا يظهر إيمان أيوب بأنه لو كان مغتصباً للأرض، أو استولى عليها بشكل غير شرعي، فإنها لن تعطيه خيرها، والتعبير المجازي هنا أن الأرض تصرخ يذكرنا بكلام الرب عندما سقط الإنسان «ملعونة الأرض بسببك – تك ٣: ١٧». الإنسان هو كاهن الخليقة وأفعاله تعود بالسلب أو الإيجاب على الطبيعة التي يسود عليها وكلفه الله بحفظها وتدبيرها. إن هذا المفهوم يفسر لنا كثيراً من مواقف في العهد القديم مثل:

- حدوث مجاعات بسبب تصرفات البشر كما حدث أيام داود (٢ صم ٢١: ١-٢)
- ضعف ثمار الأرض بسبب خطايا الشعب كما يكتب حجي النبي (حج ١: ٦)

وهذا المفهوم سائد بقوة في الفكر الديني الشرقي، **أن رضا الرب يجلب البركة في الزروع والثمار والمياه والمناخ**، ويظهر بوضوح في طقوس المجتمعات الزراعية.

ينهى أيوب استعراض ماضي حياته ولا يجد فيه ما يدينه ويكون سبباً في محنته الحالية. وفي ثقة راسخة يقدم دفاعه الأخير، ليس في صورة استجداء للرحمة أو تسول للشفقة، بل بشكل نبيل، متوقعاً مواجهة مع الله على نفس المستوى:

٣٥ مَنْ لِي بِمَنْ يَسْمَعُنِي؟ هُوَذَا إِمْضَائِي. لِيُجِبْنِي الْقَدِيرُ. وَمَنْ لِي بِشَكْوَى كَتَبَهَا خَصْمِي،
٣٦ فَكُنْتُ أَحْمِلُهَا عَلَى كَتِفِي. كُنْتُ أُعْصِبُهَا تَاجًا لِي.
٣٧ كُنْتُ أُخْبِرُهُ بِعَدَدِ خَطَوَاتِي وَأَدْنُو مِنْهُ كَشَرِيفٍ.... تَمَّتْ أَقْوَالُ أَيُّوبَ.

«**من يسمعني**» رغبة كررها على امتداد الحوار، لقد كتبت دفاعي ووقعت عليه وطلبت أن يحاكمني الله بأي شكل يراه، لكن الله تجاهل طلبي على طول الخط { وقعت، في الأصل: وضعت علامة «تاو» وهو الحرف الأخير من الأبجدية العبرية، وكانت تمهر به الوثائق والعقود ويرسم بشكل صليب مائل «×»}. **هذا الدفاع يشكل تحدياً نهائياً، وهو يطلب الرد عليه، يطلب نص الحكم (الإدانة) التي كتبها خصمه (الله).**

إن أيوب، لا يساوره أي قلق بخصوص الاتهام، ولن يحرجه إعلان هذه التهم، فهو واثق من قدرته على تفنيدها، وأنه سيخرج بريئاً، حتى أنه سيضع ورقة الحكم كتاج على رأسه، وتبلغ ثقته مداها حتى أنه يتطوع أن يقدم إلى الرب سجلاً بكل تصرفاته ويصل التماسك النفسي إلى قمته في جملته الأخيرة أنه سيتقدم إلى المحكمة الإلهية «كشريف».

{ يختار الوحي كلمة «شريف» ليظهر الثقة في نفس بطلنا، فقد استخدمت فيما بعد مع ملوك إسرائيل العظام مثل داود وسليمان.١ صم ١٣: ١٤+١ مل ١: ٣٥ }.

كان الملوك يبدون الخضوع التام لأربابهم، لكن أيوب، وقد عذبه الله وأدانه البشر، لا يراعي محدوديته كإنسان، ولا يهتز أمام القداسة الإلهية. **إن بطلنا يلاقي الحضور الإلهي بكرامة شيخ مستعد لضيافة ندٍ له.** لكننا سنرى كيف انقضت إعلانات الله كصاعقة في السماء الصافية التي صاغها أيوب من رضاه التام عن ذاته.

ملاحظة: يشعر القارئ أن لغة أليهو أسهل فهماً من الباقين، هل لأنه صغير السن، أم لأنه يتحدث ليصيب الهدف مباشرة دون المقدمات التي يلجأ إليها «الحكماء»، أو استشهاد بالمأثورات، على أية حال التأثير الذي يعطيه النص المقدس فائق الروعة، لأن كلمات أليهو تنفذ إلى الفكر والمشاعر مباشرة.

حديث أليهو

٣٢: ١–٥ مقدمة نثرية : **من هو أليهو وسبب غضبه**

٣٢: ٦–٢٢ مقدمة شعرية : **أليهو يشرح سبب تدخله في الحديث**

الجزء الأول: أليهو يفند حجج أيوب

٣٣: ١–٣٣ **إتهام ايوب بأن صمت الله يؤكد ظلمه للناس**

٣٤: ١–٣٧ **هجوم أيوب ورفضه لأسلوب الله في القصاص**

٣٥: ١–١٦ **قناعة أيوب التامة ببراءته**

الجزء الثاني: أليهو يشرح القضية

٣٦: ١–٢٥ **كيف يستخدم الله الألم لفائدة الإنسان**

٣٦: ٢٦ – ٣٧: ١٣ **تمجيد لهيمنة الله على الكون**

٣٧: ١٤–٢٤ **توبيخ لأيوب حتى يقر متضعاً بعصمة الله**

الأصحاحُ الثاني والثلاثون

١ فَكَفَّ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ عَنْ مُجَاوَبَةِ أَيُّوبَ لِكَوْنِهِ بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ.
٢ فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيهُوَ بْنِ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَام. عَلَى أَيُّوبَ حَمِيَ غَضَبُهُ لأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ. ٣ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلاَثَةِ حَمِيَ غَضَبُهُ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا وَاسْتَذْنَبُوا أَيُّوبَ. ٤ وَكَانَ أَلِيهُو قَدْ صَبَرَ عَلَى أَيُّوبَ بِالْكَلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّامًا.
٥ فَلَمَّا رَأَى أَلِيهُو أَنَّهُ لاَ جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلاَثَةِ حَمِيَ غَضَبُهُ.

لقد فشلت محاولات الأصدقاء أمام حجج أيوب، فاستفز ذلك أليهو بسبب تعاظم أيوب عقائدياً وروحياً، حتى أنه يظهر نفسه أكثر براً (عدلاً) من الله ذاته! وغضب أليهو على الأصدقاء لأنهم لم يجدوا ما يردون به، وفي النهاية صمتوا. صحيح أنهم جميعاً خطَّأوا أيوب، لكن صمتهم في النهاية بدا وكأنه قبول لكلامه، والسكوت علامة الرضا كما يُقال! وهذا هو السبب في غضبه الشديد (تكررت عبارة «حمي غضبه» أربعة مرات متتالية)، فينطلق بعنف، لاضطراره إلى السكوت طوال الحوار لصغر سنه.

٦ فَأَجَابَ أَلِيهُو بْنُ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيُّ وَقَالَ:
أَنَا صَغِيرٌ فِي الأَيَّامِ وَأَنْتُمْ شُيُوخٌ، لأَجْلِ ذلِكَ خِفْتُ وَخَشِيتُ أَنْ أُبْدِيَ لَكُمْ رَأْيِيَ.
٧ قُلْتُ: الأَيَّامُ تَتَكَلَّمُ وَكَثْرَةُ السِّنِينَ تُظْهِرُ حِكْمَةً.
٨ وَلكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا، وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ. (تعقلهم = تعطيهم فهماً)
٩ لَيْسَ الْكَثِيرُو الأَيَّامِ حُكَمَاءَ، وَلاَ الشُّيُوخُ يَفْهَمُونَ الْحَقَّ.
١٠ لِذلِكَ قُلْتُ: اسْمَعُونِي. أَنَا أَيْضًا أُبْدِي رَأْيِيَ.
١١ هأَنَذَا قَدْ صَبِرْتُ لِكَلاَمِكُمْ. أَصْغَيْتُ إِلَى حُجَجِكُمْ حَتَّى فَحَصْتُمُ الأَقْوَالَ.
١٢ فَتَأَمَّلْتُ فِيكُمْ وَإِذْ لَيْسَ مَنْ حَجَّ أَيُّوبَ، وَلاَ جَوَابَ مِنْكُمْ لِكَلاَمِهِ.

أليهو: ليست كثرة السنين، بل روح الله هو الذي يهب الحكمة، إن العمر في حد ذاته لا يعطي القدرة على تمييز الحق، كما وأنني لا ينقصني الرأي (المعرفة). لقد صبر حتى ناقشوا كل الحجج وفي النهاية فشل المحترفون! {نلاحظ تهكماً خفيفاً في كلامه}.

١٣ فَلاَ تَقُولُوا: قَدْ وَجَدْنَا حِكْمَةً. اَللهُ يَغْلِبُهُ لاَ الإِنْسَانُ.
١٤ فَإِنَّهُ لَمْ يُوَجِّهْ إِلَيَّ كَلاَمَهُ وَلاَ أَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَا بِكَلاَمِكُمْ.

١٥ تَحَيَّرُوا. لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ. انْتَزَعَ عَنْهُمُ الْكَلاَمُ.
١٦ فَانْتَظَرْتُ لأَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُمْ وَقَفُوا، لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ.
١٧ فَأُجِيبُ أَنَا أَيْضًا حِصَّتِي، وَأُبْدِي أَنَا أَيْضًا رَأْيِيَ. (حصتي = آخذ نصيبي من الكلام)
أليهو: لا تدَّعوا الحكمة، قولوا أنكم فشلتم، تتحججون بأن أيوب هذا لن يغلبه إلا الله، ولا يوجد إنسان يستطيع أن يقنعه أنه مخطئ. كيف تدعون أنكم اكتشفتم الحكمة وقد انهزمتم أمامه؟. سأريكم منهجاً آخر للتعامل مع أيوب، ولن استخدم أياً من حججكم.

١٨ لأَنِّي مَلآنٌ أَقْوَالاً. رُوحُ بَاطِنِي تُضَايِقُنِي.
١٩ هُوَذَا بَطْنِي كَخَمْرٍ لَمْ تُفْتَحْ. كَالزِّقَاقِ الْجَدِيدَةِ يَكَادُ يَنْشَقُّ.
٢٠ أَتَكَلَّمُ فَأُفْرَجُ. أَفْتَحُ شَفَتَيَّ وَأُجِيبُ.
٢١ لاَ أُحَابِيَنَّ وَجْهَ رَجُل وَلاَ أُمْلُثُ إِنْسَانًا. (الملث = المجاملة أو النفاق)
٢٢ لأَنِّي لاَ أَعْرِفُ الْمَلْثَ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيل يَأْخُذُنِي صَانِعِي.

إن بداخلي دافع يحفزني على الكلام، أكاد أنفجر، سأتكلم لأرتاح، سأتكلم دون مجاملة أو نفاق، ولكن بدافع الإخلاص دون أن تنضجه السنين (كما يتعتق النبيذ في الزُق)، ولو جاملت في الحق كيف أواجه خالقي،وقد أقابله الآن؟ {عند تخزين النبيذ الجديد، وبدء عملية التخمر، تتكون في الزُق كمية كبيرة من الأبخرة}.

الأصحاح الثالث والثلاثون

١ وَلكِنِ اسْمَعِ الآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي، وَاصْغَ إِلَى كُلِّ كَلاَمِي.
٢ هأَنَذَا قَدْ فَتَحْتُ فَمِي. لِسَانِي نَطَقَ فِي حَنَكِي.
٣ اِسْتِقَامَةُ قَلْبِي كَلاَمِي، وَمَعْرِفَةُ شَفَتَيَّ هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً.
٤ رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي.
٥ إِنِ اسْتَطَعْتَ فَأَجِبْنِي. أَحْسِنِ الدَّعْوَى أَمَامِي. اِنْتَصِبْ.
٦ هأَنَذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عِوَضًا عَنِ اللهِ. أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ تَقَرَّصْتُ. (تقرصت = عُجنت)
٧ هُوَذَا هَيْبَتِي لاَ تُرْهِبُكَ وَجَلاَلِي لاَ يَثْقُلُ عَلَيْكَ.

لأول مرة نرى أحد الحاضرين يخاطب أيوب باسمه مباشرة، لعل هذا لوجود دالة خاصة بين أيوب وأليهو، وربما بسبب حدة غضب أليهو: اسمعني يا أيوب، سأكلمك باستقامة وصدق

كامل، وإن استطعت قدم حججك لي. **لقد طلبت من الله أن يحاججك، طلبت فرصة للدفاع عن نفسك، لكنك تتخوف من رهبة الله، أما أنا فبشر مثلك مخلوق من طين، وليس فيَّ ما يخيفك.** ولكي يستطيع أليهو أن يحاجج أيوب كان لابد أن يأخذ من كلماته ليرد عليها. [١٣: ٢٤ مع ٣٣: ١٠+ ١٣: ٢٧ مع ٣٣: ١١].

٨ إِنَّكَ قد قُلْتَ فِي مَسَامِعِي، وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ.
٩ قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ. زَكِيٌّ أَنَا وَلاَ إِثْمَ لِي.
١٠ هُوَذَا يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَلَ عَدَاوَةٍ. يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ.
١١ وَضَعَ رِجْلَيَّ فِي الْمِقْطَرَةِ. يُرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي.
١٢ «هَا إِنَّكَ فِي هذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أُجِيبُكَ، لأَنَّ اللهَ أَعْظَمُ مِنَ الإِنْسَانِ.

أليهو: لقد سمعتك بأذنيَّ تقول إني بلا ذنب، وأن الله يتعلل ليعاديك ويطاردك أينما ذهبت. لكنك مخطئ فالله أعظم من الإنسان. لكن قبل أن يستطرد أليهو في هذه النقطة، **كان لابد أن يفند ما اعتبره أيوب قضية أساسية:**

تنبيهات الله للإنسان:

١٣ لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟ لأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لاَ يُجَاوِبُ عَنْهَا.
١٤ لكِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِاثْنَتَيْنِ لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانُ.

أليهو: لقد شكوت مراراً أن الله لا يجيب على تساؤلات الإنسان، وبالأكثر أن الله لا يبالي ببراءة الإنسان (٩: ٢-٣)، لكن الله لا يصمَّ أذنيه عن توسلات الإنسان كما تدعي. **إن الله يتكلم مراراً، والإنسان لا يلاحظ ذلك** (يمر عليَّ ولا أراه- ٩: ١١)، إن **صوت القدير واضح لمن يريد.** {من له أذنان للسمع- مت ١١: ١٥}.

أساليب الله في التنبيه، واستجابة الإنسان:

أ- في الأحلام و رؤي الليل:

١٥ فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ، عِنْدَ سُقُوطِ سَبَاتٍ عَلَى النَّاسِ، فِي النُّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ.
١٦ حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ، (يخيفهم)
١٧ لِيُحَوِّلَ الإِنْسَانَ عَنْ عَمَلِهِ، وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ،

١٨ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحُفْرَةِ وَحَيَاتَهُ مِنَ الزَّوَالِ بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ.

أحياناً يستخدم الله الأحلام لتحذير إنسان، {مت ٢: ١٢+ تك ٣١: ٢٦}، وهدف الله أن يحول الإنسان عن إنحرافه، وينزع الكبرياء عن الإنسان ليخلصه. الله ينبه الإنسان قبل أن يموت ويذهب إلى الهلاك الأبدي. ويفتح آذان من يريد أن يسمع ويخيفه ليفيق.

ب- اللّه يطهّر بالألم:

١٩ أَيْضًا يُؤَدَّبُ بِالْوَجَعِ عَلَى مَضْجَعِهِ، وَمُخَاصَمَةُ عِظَامِهِ دَائِمَةٌ،

٢٠ فَتَكْرَهُ حَيَاتُهُ خُبْزًا، وَنَفْسُهُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ.

٢١ فَيَبْلَى لَحْمُهُ عَنِ الْعَيَانِ، وَتَنْبَرِي عِظَامُهُ فَلاَ تُرَى،

٢٢ وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ، وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ.

أحياناً يبتلي الله الإنسان بالمرض والآلام، فيفقد شهيته للطعام، ليتنبه أنه سائر إلى الفناء. {أليهو لا يقول أن الأحلام أو الأوجاع تحمل بالضرورة كلمة الله، لكنها تهيئ الإنسان ليسمع كلمات الله، وإن اختبر كثيرين أن الله يعلن رسالة مباشرة في الأحلام}.

ج- تدخل أحد الوسطاء:

٢٣إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ، وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ،

٢٤يَتَرَاءَفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أَطْلِقْهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ، قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً.

٢٥يَصِيرُ لَحْمُهُ أَغَضَّ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ، وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ.

ثم يقدم أليهو صورة جميلة: إن وُجِدَ عند الله مُرسل **(ملاك)**، وسيط **(ترجمان)**، وهو واحد من وسائل عديدة يمكن للرب أن يعلن بها نعمته وأحكامه. وكثيراً ما أرسل الله ملاكاً إلى إنسان بشكل مباشر، لكن مع أيوب يبدو أن المسألة أعمق {«وسيط» ترجمت في الأرامية واليونانية إلى «مُعزي»}، **هذا المرسل الوسيط له وظيفتان:**

١- أن يعلن للإنسان ما فيه صلاحه وما يحفظ له استقامته.

٢- أن ينقل إرادة الله إلى الإنسان، وأيضاً ينقل إلى الله ضعف الإنسان وأنَّاته.

والعجيب أنه بقدر ما يهمل الإنسان إعلانات هذا الوسيط، بقدر ما يتشفع هذا الوسيط عن الخاطئ، **ولا يكتفي بالصلاة طالباً العفو عن الإنسان، بل يقول: لقد وجدت فدية (ثمن التكفير)**. إن أليهو لا يشرح لنا ماهية هذه الفدية، لكنها **في حالة أيوب قد تكون الفدية**

مجرد أن يحتمل الإنسان الآلام بصبر. وما أن تسدد الفدية حتى يسترد الإنسان نضارته (مز ١٠٣: ٥). هذا الكلام عن «المُعزي» ينطبق تماماً على الروح القدس، «لأننا لا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا – رو ٨: ٢٦»

د- صلاة المتألم واعترافاته:

٢٦ يُصَلِّي إِلَى اللهِ فَيَرْضَى عَنْهُ، وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهُتَافٍ فَيَرُدُّ عَلَى الإِنْسَانِ بِرَّهُ.
٢٧ يُغَنِّي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: قَدْ أَخْطَأْتُ، وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ، وَلَمْ أُجَازَ عَلَيْهِ.
٢٨ فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْحُفْرَةِ، فَتَرَى حَيَاتِيَ النُّورَ.

لكن شفاعة الوسيط ليست كافية، **فلابد أن يقدم الإنسان المُجرَّب التماساً بنفسه**، يصلي (يتوسل/يسترحم) إلى الرب فيرضى عنه ويدعه يعاين وجهه بهتاف (بفرح وليس بأبواق أو صراخ). فيدرك الإنسان أنه أصبح مقبولاً **(يرد على الإنسان برَّهُ)**، وسُمح له بالدخول إلى معية الله، وسرعان ما يسترد مكانته في المجتمع، لذا يشهد أمام الناس ويرتل ويعترف بخطاياه، وبأنه قد عوج الحق، ويفرح لأن آثامه لم تجلب عليه الموت **(لم أُجَازَ عليه)**، **وبدلاً من أن يعاند ويصر على أنه مظلوم، يؤكد لنفسه وللآخرين صبر الرب ورحمته، وأن الرب عندما ابتلاه الآن، قدم له فرصة للنجاة من الهاوية.**

هـ- القصد الإلهي:

٢٩ «هُوَذَا كُلُّ هذِهِ يَفْعَلُهَا اللهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلاَثًا بِالإِنْسَانِ،
٣٠ لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ، لِيَسْتَنِيرَ بِنُورِ الأَحْيَاءِ.

الله يفعل هذا لينقذ الإنسان من ظلمة الهاوية إلى نور الحياة. ثم يلخص أليهو صورة للخاطئ الذي تم فداؤه: إن الله يتعامل مع البشر بشكل خفي، لكن بثبات وتدرج، والمقصود بـ «مرتين وثلاثاً» هو استمرار سعي الله بلا كلل أو ملل ليخلص الإنسان، وكثيراً ما تتنكر النعمة في شكل تعامل إلهي خشن، وفي النهاية: بدلاً من السقوط في الهاوية، يستنير الإنسان بنور الأحياء (إلى الأبد).

ولكن لماذا يلجأ الله غالباً إلى التأديب لتقويم البشر، ونادراً ما يلجأ إلى الترغيب؟ السبب هو الطبيعة الفاسدة التي نولد بها والتي تجعل الإنسان يميل بقوة إلى الخطأ، وقد ناقش هذا بالتفصيل القديس بولس الرسول (رو ٧: ١٧-٢٥).

و- نداء أخير إلى أيوب:

٣١ فَاصْغَ يَا أَيُّوبُ وَاسْتَمِعْ لِي. اُنْصُتْ فَأَنَا أَتَكَلَّمُ.
٣٢ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلاَمٌ فَأَجِبْنِي. تَكَلَّمْ. فَإِنِّي أُرِيدُ تَبْرِيرَكَ.
٣٣ وَإِلاَّ فَاسْتَمِعْ أَنْتَ لِي. اُنْصُتْ فَأُعَلِّمَكَ الْحِكْمَةَ».

وأخيراً يوجه أليهو نداءاً حميمياً بالاسم إلى أيوب، ويعطيه فرصة للرد. ويبدو أن أيوب قد بدا عليه الضيق، وربما استفزته كلمات أليهو: انصت فأعلمك! ، فنجد أن أليهو يقول: إنني أريد تبرئتك، ولا أحامي عن الله، ولا أدينك (كما فعل اصدقاؤك).

إن أليهو النبي، وهو بالفعل نبي، يدعو إلى حتمية وجود وسيط، ليخبر الإنسان بما هو صالح له، ويقدم له الفداء، ونرى من بعيد صورة المسيح، الترجمان الضروري وحيد الجنس الذي سيجسد للإنسان كل ما يسمعه عن الله، والشفيع الذي سيصير هو ذاته فدية عن الإنسان. **طوباك يا أليهو، لقد أكدت أن الخضوع لله يجلب المغفرة والشفاء، وإن كنت لم تقترب من أحزان وآلام من يصطلي بنيران التجربة.**

الأصحاح الرابع والثلاثون

١ فَأَجَابَ أَلِيهُو وَقَالَ:
٢ اسْمَعُوا أَقْوَالِي أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ، وَاصْغَوْا لِي أَيُّهَا الْعَارِفُونَ.
٣ لأَنَّ الأُذُنَ تَمْتَحِنُ الأَقْوَالَ، كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَامًا.
٤ لِنَمْتَحِنْ لأَنْفُسِنَا الْحَقَّ، وَنَعْرِفْ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ.

في تبكيت هادئ نلمحه في التكرار (أيها الحكماء ... أيها العارفون)، يلجأ أليهو إلى الخبرة الحسية لدى الإنسان، ويشبه اختبار حقائق العقيدة المتعلقة بالحياة بتذوق الطعام، ليؤكد أن هذا في متناول الإنسان، وهو تشبيه موفق للغاية حتى في أيامنا هذه، **لأن الناس عادة ما يظنون أن أمور العقيدة عسرة الفهم، والأخطر أنهم يتصرفون وكأن العقائد لا صلة لها بحياتنا اليومية.** ما يقوله أليهو أن الحق سيتضح لنا بسهولة لو تدبرنا في الأمور، لكن عناد الإنسان وانطلاقه من مواقف مُسبقة يجعله يصر على الخطأ، حتى لا يعترف بسوء تقديره (وهو ما يسميه علم النفس «قوة الإنكار»).

استخفاف أيوب:

٥ «لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: تَبَرَّرْتُ، وَاللهُ نَزَعَ حَقِّي.
٦ عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أُكَذَّبُ. جُرْحِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونِ ذَنْبٍ.
٧ فَأَيُّ إِنْسَانٍ كَأَيُّوبَ يَشْرَبُ الْهُزْءَ كَالْمَاءِ،
٨ وَيَسِيرُ مُتَّحِدًا مَعَ فَاعِلِي الإِثْمِ، وَذَاهِبًا مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ؟
٩ لأَنَّهُ قَالَ: لاَ يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ.

أليهو: ايوب يقول إن الله قد حرمني حقي، وإذا دافعت عن نفسي، سيعتبرني الله كاذباً. **إن رجلاً يجرؤ على إدانة الله كما فعل أيوب، يسير في نفس طريق فاعلي الإثم والشر، قد لا يرتكب أيوب نفس أفعالهم، لكنه بتجديفه المتكرر يتعدى بما هو أشد.**

إننا نجد أليهو أذكى من الأصدقاء الثلاثة، فهو لا يتهم أيوب بمخالفة الوصايا، وهي تهمة فندها أيوب بسهولة، لكن يتهمه بما هو أخطر، فإن كان أسوأ الخطاة يكسر وصية أو إثنتين، **فإن ايوب وإن لم يكسر وصية، لكنه فعل ما هو أشنع! لأنه بتكراره الشكوى من معاناة الأبرار وإزدهار الأشرار يشكك في دوافع وأحكام الخالق،** ثم يلخص أليهو موقف أيوب الواضح من كلامه «لا ينتفع الإنسان بأن يكون الله راضٍ عنه»، **وبهذا يضع أليهو نفسه في قلب المشكلة، لقد استوعب أن القضية ليست في المعاناة بغير استحقاق، بقدر ما هي في التقوى دون انتظار عائد أو مكافأة. وببصيرة عميقة يرى أن التدين في مقابل مكافأة ليس تديناً على الإطلاق.**

الله ليس فيه ظلمة (شر) البتة:

١٠ لأَجْلِ ذلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ. حَاشَا لِلهِ مِنَ الشَّرِّ، وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ.
١١ لأَنَّهُ يُجَازِي الإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ، وَيُنِيلُ الرَّجُلَ كَطَرِيقِهِ.
١٢ فَحَقًّا إِنَّ اللهَ لاَ يَفْعَلُ سُوءًا، وَالْقَدِيرَ لاَ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ.
١٣ مَنْ وَكَّلَهُ بِالأَرْضِ، وَمَنْ صَنَعَ الْمَسْكُونَةَ كُلَّهَا؟
١٤ إِنْ جَعَلَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، إِنْ جَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ رُوحَهُ وَنَسَمَتَهُ، (جعل عليه قلبه = قرر)
١٥ يُسَلِّمُ الرُّوحَ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، وَيَعُودُ الإِنْسَانُ إِلَى التُّرَابِ.

ليس الله بظالم بل يجازي كل واحد حسب أعماله، والله لا يخطئ ولا يتلاعب بمصائر الناس. **الله لا ينيب أحداً عنه حتى يمكن أن نحمّل نائبه المسئولية** عن ظلم القضاء، **ولوكان الله عدواً للإنسان ولا يهتم إلا بذاته، لكان استرد الحياة الذي منحها للبشر ولمات الناس جميعاً! وهو قادر على هذا لو أراد.** (فكر أصيل حقاً!)

القضاء الإلهي ليس فيه انحياز أو محاباة:

١٦ فَإِنْ كَانَ لَكَ فَهْمٌ فَاسْمَعْ هذَا، وَاصْغَ إِلَى صَوْتِ كَلِمَاتِي.
١٧ أَلَعَلَّ مَنْ يُبْغِضُ الْحَقَّ يَتَسَلَّطُ، أَمِ الْبَارَّ الْكَبِيرَ تَسْتَذْنِبُ؟
١٨ أَيُقَالُ لِلْمَلِكِ: يَا لَئِيمُ، وَلِلْنُدَبَاءِ: يَا أَشْرَارُ؟ (الندباء هم النبلاء أو الأشراف)
١٩ الَّذِي لاَ يُحَابِي بِوُجُوهِ الرُّؤَسَاءِ، وَلاَ يَعْتَبِرُ مُوسَعًا دُونَ فَقِيرٍ. لأَنَّهُمْ جَمِيعَهُمْ عَمَلُ يَدَيْهِ
٢٠ بَغْتَةً يَمُوتُونَ وَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ. يَرْتَجُّ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ، وَيُنْزَعُ الأَعِزَّاءُ لاَ بِيَدٍ.

أليهو: اسمعني جيداً! لا يمكن لظالم أن يسود الكون، ولا يمكن لله أن يخطئ فلم تدينه. كيف تتهم الله بالمحاباة وهو الذي يوبخ الملوك والنبلاء. الله لا يمهد لموت الأقوياء بل يموتون مثل غيرهم. الله لا يجامل الرؤساء ولا يعطي اعتباراً لغني (موسَع) أكثر من تقديره لفقير، فجميعهم عمل يديه. {«لا بيد» يقصد به ليس بيد إنسان بل بيد الله.
أنظر أش ٣١: ٨ «يسقط أشور بسيف غير رجلٍ، وسيف غير إنسان يأكله»}.

القدرة الإلهية المطلقة:

٢١ لأَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى طُرُقِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ يَرَى كُلَّ خَطَوَاتِهِ.
٢٢ لاَ ظَلاَمَ وَلاَ ظِلَّ مَوْتٍ حَيْثُ تَخْتَفِي عُمَّالُ الإِثْمِ.
٢٣ لأَنَّهُ لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانَ زَمَانًا لِلدُّخُولِ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ اللهِ.
٢٤ يُحَطِّمُ الأَعِزَّاءَ مِنْ دُونِ فَحْصٍ، وَيُقِيمُ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ.
٢٥ لكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ، وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلاً فَيَنْسَحِقُونَ.
٢٦ لِكَوْنِهِمْ أَشْرَارًا، يَصْفِقُهُمْ فِي مَرْأَى النَّاظِرِينَ. (يصفقهم = يصفعهم = يصيرهم هُزأة)
٢٧ لأَنَّهُمُ انْصَرَفُوا مِنْ وَرَائِهِ، وَكُلُّ طُرُقِهِ لَمْ يَتَأَمَّلُوهَا،
٢٨ حَتَّى بَلَّغُوا إِلَيْهِ صُرَاخَ الْمِسْكِينِ، فَسَمِعَ زَعْقَةَ الْبَائِسِينَ.

الله يرى كل شئ حتى خلال الظلام حيث يختبئ فاعلي الإثم. لقد طلب أيوب أن يحدد الله موعداً لمحاكمته، **لكن الرب لا يحتاج إلى تحديد موعد، فلن يقوم بتحقيق (فحص)، لأنه يعلم (يرى) كل شئ.** فيعاقب الأقوياء ويستبدلهم، ويعرضهم للاستهزاء، أمام الجميع، لأنهم رفضوا تبعية الله، ولم يتأملوا طرقه. فتمادوا في الشر، حتى صرخ المساكين وسمعهم الله، **فليس صحيحاً أن الله لا يسمع صراخ المقهورين** (٢٤: ١٢).

مغزى الصمت الإلهي:

أ- الله يبدو وكأنه لا يفعل شيئاً!

٢٩ إِذَا هُوَ سَكَّنَ، فَمَنْ يَشْغَبُ؟ وَإِذَا حَجَبَ وَجْهَهُ، فَمَنْ يَرَاهُ سَوَاءٌ كَانَ عَلَى أُمَّةٍ أَوْ عَلَى إِنْسَانٍ؟
٣٠ حَتَّى لاَ يَمْلِكَ الْفَاجِرُ وَلاَ يَكُونَ شَرَكًا لِلشَّعْبِ.
٣١ وَلكِنْ هَلْ لِلهِ قَالَ: احْتَمَلْتُ. لاَ أَعُودُ أُفْسِدُ؟
٣٢ مَا لَمْ أُبْصِرْهُ فَأَرِنِيهِ أَنْتَ. إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ إِثْمًا فَلاَ أَعُودُ أَفْعَلُهُ.
٣٣ هَلْ كَرَأْيِكَ يُجَازِيهِ، قَائِلاً: لأَنَّكَ رَفَضْتَ؟ فَأَنْتَ تَخْتَارُ لاَ أَنَا، وَبِمَا تَعْرِفُهُ تَكَلَّمْ.

إذا صمت الله فمن يعترض، وإن أخفى وجهه، فمن يستطيع أن يراه؟ الله يهتم بشعب لأنه لو ساد عليه حاكم شرير قد يدفع الناس إلى الخطية (كما فعل كل ملوك إسرائيل). {الترجمة الأرامية: الله يراقب الفرد كما يراقب الشعب بنفس الاهتمام، **وقد يسمح بأن يملك حاكمَ فاجر بسبب خطايا الشعب}.** هل احتملت وتوسلت إلى الله أن يريك أين أخطأت حتى لا تكرر الخطأ. **لكنك يا أيوب رفضت التجربة، واخترت لنفسك، ولم تترك الله ليختار لك،** انت تتكلم في حدود معرفتك الإنسانية القاصرة.

أن عدم تعرض بعض الأشرار للعقاب له أسبابه، مثل التوبة كآخاب (١ مل ٢١: ٢٧) وشعب نينوى (يون ٢: ٥-١٠). **هل يملك أيوب الحق في أن يعلِّم الله كيف يكون العدل؟! هل يريد أن تستشيره السماء قبل التعامل مع الناس؟!**

ب- أيوب المتمرد دائماً:

٣٤ ذَوُو الأَلْبَابِ يَقُولُونَ لِي، بَلِ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ:
٣٥ إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ، وَكَلاَمُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ.
٣٦ فَلَيْتَ أَيُّوبَ كَانَ يُمْتَحَنُ إِلَى الْغَايَةِ مِنْ أَجْلِ أَجْوِبَتِهِ كَأَهْلِ الإِثْمِ.

٣٧ لكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيَّتِهِ مَعْصِيَةً. يُصَفِّقُ بَيْنَنَا، وَيُكْثِرُ كَلاَمَهُ عَلَى اللهِ».

يعود أليهو إلى الخط الأساسي: إن ايوب يتكلم بلا معرفة، وليت التجربة تستمر معه حتى النهاية (**إلى الغاية**)، لأنه تجاوز في كلامه عن الله. مرة أخرى يظهر أليهو اتفاقه مع الأصدقاء على أن أيوب مذنب، ولكن ليس لأنه ارتكب خطايا، بل لأنه ينتقد أحكام الله بأسلوب يقترب من التجديف، وبذا يظهر فهم أليهو العميق للخلل العقائدي في موقف أيوب. لم يحاول أليهو أن يفسر بلية ايوب باتهامه أنه كسر الوصايا الإلهية، وأن ما أصابه عقاب مستحق على انتهاكه للشرائع، **إن أليهو يدرك أن هناك خفايا في أسلوب إدارة الله لشئون البشر، لكنه يصمم على أن الله فوق المساءلة.** الآن ينقل أليهو اهتمامه إلى **القضية المركزية في إدعاء أيوب وإصراره على أنه بار وكامل.**

الأصحاح الخامس والثلاثون

١ فَأَجَابَ أَلِيهُو وَقَالَ: ٢ أَتَحْسِبُ هذَا حَقًّا؟ قُلْتَ: أَنَا أَبَرُّ مِنَ اللهِ.
٣ لأَنَّكَ قُلْتَ: مَاذَا يُفِيدُكَ؟ بِمَاذَا أَنْتَفِعُ أَكْثَرَ مِنْ خَطِيَّتِي؟
٤ أَنَا أَرُدُّ عَلَيْكَ كَلاَمًا، وَعَلَى أَصْحَابِكَ مَعَكَ.

ببصيرة نافذة يدرك أليهو أن أيوب أصبح مجدفاً عندما وصل إلى أعتبار التقوى ليست مربحة له. فقد جعل أيوب نفسه أفضل من الله، لأنه قال لا فائدة من الحيود عن الشر. إن هذا **المفهوم النفعي** هو ما يفنده أليهو، فيختلف مع أيوب والأصدقاء **جميعاً** (**أَرُدُّ عَلَيْكَ ... وَعَلَى أَصْحَابِكَ مَعَكَ**) ، **فهم معاً يرسمون صورة خاطئة لله.**

٥ اُنْظُرْ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَأَبْصِرْ، وَلاَحِظِ الْغَمَامَ. إِنَّهَا أَعْلَى مِنْكَ.
٦ إِنْ أَخْطَأْتَ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ؟ وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ؟
٧ إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ؟ أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟
٨ لِرَجُلٍ مِثْلِكَ شَرُّكَ، وَلابْنِ آدَمَ بِرُّكَ. (شرورك لك، وبرك لغيرك من بني آدم)

بإدراك حقيقي لسمو الله، كما تسمو السحب، **يقول أن الله لا يتأثر بخطايا الناس، ولا يحتاج إلى بر الناس، ورغم أن هذا الفهم غير مكتمل، إلا أنه يقدم تصحيحاً ضرورياً لكل عبادة تتمركز حول الإنسان، حيث تقاس قيمة الإنسان حسب سلوكه،** وفي نفس الوقت يحاذر ألا يسقط في الاعتقاد بأن الإيمان كافٍ للخلاص.

إن أفعال الإنسان لا تتم في فراغ، بل تؤثر بالسلب أو الإيجاب على المحيطين به، إذن هناك فرق بين من يفعل الخير وبين من يرتكب الشر (شرورك لنفسك، وبرك للناس).
ملاحظة: صحيح أن شرور الإنسان لا تضير الله وفضائل الإنسان لا تفيد الله، لكن الثابت من نصوص الكتاب المقدس، أن الله يفرح بالبار ويشجعه، ويكره الخطيئة وإن لم يكره الخاطئ، بل يحفزه دوماً، وبأساليب متعددة للرجوع والتوبة.

فلنستجمع فكرنا ومشاعرنا قبل قراءة الفقرة التالية:

٩ مِنْ كَثْرَةِ الْمَظَالِمِ يَصْرُخُونَ. يَسْتَغِيثُونَ مِنْ ذِرَاعِ الأَعِزَّاءِ.
١٠ وَلَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ اللهُ صَانِعِي، مُؤْتِي الأَغَانِيِّ فِي اللَّيْلِ،
١١ الَّذِي يُعَلِّمُنَا أَكْثَرَ مِنْ وُحُوشِ الأَرْضِ، وَيَجْعَلُنَا أَحْكَمَ مِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ؟

لقد شكا أيوب من معاناته غير المستحقة، فانضم إلى جموع الصارخين الذين يطلبون الراحة من متاعب الحياة (٢٤: ١٢)، **لكن أيوب لم يبحث عن الله حباً في الله**، لم يحاول أن يقترب إلى الله ليعرفه معرفة حقيقية لكن فقط ليطلب معونته.
أن يلتمس الإنسان الخلاص من الضيقة فهذا مطلب منطقي، بشرط أن يُقدم في إطار خضوع الإنسان لحقيقة أنه مخلوق بيد الله. **فيجب إن ترفع الصلاة إلى الخالق القدوس، لتستدعي المشاعر التي يكنها كل صانع تجاه صنع يديه، كما أن الصلاة تجدد في الإنسان وعيه بأنه محدود، وأن حياته تتوقف بصورة كلية على نعمة الله.**
إن الطلبة المقدمة بثقة ويقين كامل، يصعب ألا يستجيب لها الله (لو ١٧: ٦)، فحتى وسط ظلمة الأحزان **(الليل)**، فالله يُعطي التسابيح **(الأغاني)**، التي تنقل الإنسان من كآبته الحالَّة إلى رجاء الصبح. إن هذا الإنسان ينبغي أن يُسَبِّح وسط أشد الضيقات، **صحيح أن التسبيح لن يوقف المعاناة، لكنه يقدم نجاعة من سمومها، إن هذه القدرة على الترنم وسط الأحزان لا يهبها سوى الله. إن الإنسان لا يستطيع أن يتغلب على المعاناة الحارقة، لكن نعمة الله تكسر شوكتها**، لذا الإنسان يفوق الوحوش، والطيور. {كان الشهداء يرنمون وهم يؤخذون إلى الاستشهاد، وساعدهم هذا على مواجهة هذه الساعة الرهيبة}. **هنا نرى القوة التي يمكن أن يمنحها التسبيح للإنسان.**

١٢ ثَمَّ يَصْرُخُونَ مِنْ كِبْرِيَاءِ الأَشْرَارِ وَلاَ يَسْتَجِيبُ.
ترجمة أخرى: نعم يصرخون والله لا يجيب بسبب دناءة تشامخ الأشرار
١٣ وَلكِنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ كَذِبًا، وَالْقَدِيرُ لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.
قليلاً ما نجد من يسعى إلى الله كهدف في حد ذاته، فيندر أن نجد إنساناً يلجأ إلى الله بالصلاة إلا ساعة الاحتياج الشديد، **ورغم هذا فأغلب البشر عادة لا يلجأون إلى الله في إتضاع حقيقي:** إنهم يصرخون وهو لا يستجيب، بسبب كبرياءهم، وما كان لأيوب أن يتهم الله بتجاهل صراخهم، لو لاحظ غياب الاتضاع عنهم (٢٤: ١٢). قد لا يكون هذا التكبر، أو بالأحرى التبجح، واضحاً في كل الحالات، **لكن من المؤكد أن أيوب وهو يخاطب خالقه يحمل هذا الخالق مسئولية العناية به، كأنما يقول للرب: إن لم توفر لي حياة رغدة، فلم خلقتني إذن؟!** ، كصبي يقول لأبيه: إن لم تكن قادراً على توفير احتياجاتي، فلم أنجبتني إذن؟ (أنظر: لو ٦: ٤٦).

١٤ فَإِذَا قُلْتَ إِنَّكَ لَسْتَ تَرَاهُ، فَالدَّعْوَى قُدَّامَهُ، فَاصْبِرْ لَهُ.
١٦ فَغَرَ أَيُّوبُ فَاهُ بِالْبَاطِلِ، وَكَبَّرَ الْكَلاَمَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ». (قدمنا ع ١٦ لنسهل تتبع الفكرة)
١٥ وَأَمَّا الآنَ فَلأَنَّ غَضَبَهُ لاَ يُطَالِبُ، وَلاَ يُبَالِي بِكَثْرَةِ الزَّلاَّتِ،
إن الله لا يسمع لمثل هذا الصراخ الخالي من الحكمة، فيحجب وجوده ويختفي عن عيني أيوب. ألا تصبر قليلاً (تثق في الله)، لعل دعواك أمامه. {**الله يستجيب لمن يصلي بلجاجة، لأن الإلحاح في الطلب تعبير عن الثقة في الاستجابة**}. فلنثق أن هناك قصداً وراء تراجع غضبه وطول أناته، وما قد يبدو أنه لا مبالاة بزلات الأشرار.
ملاحظة خاصة: لست أدري لماذا يحتاج أي منا لأي شئ وقد عرفنا الرب الطريق «وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه، فإنه لأجل لجاجته يقوم ويعطيه. لو ١١: ٨»

الأصحاح السادس والثلاثون

وأيضاً كلام عن الله

١ وَعَادَ أَلِيهُو فَقَالَ: ٢ اصْبِرْ عَلَيَّ قَلِيلاً، فَأُبْدِيَ لَكَ أَنَّهُ بَعْدُ لأَجْلِ اللهِ كَلاَمٌ.
٣ أَحْمِلُ مَعْرِفَتِي مِنْ بَعِيدٍ، وَأَنْسُبُ بِرًّا لِصَانِعِي.
٤ حَقًّا لاَ يَكْذِبُ كَلاَمِي. صَحِيحُ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَكَ.

أليهو: ما زال لديَّ ما أقوله **(لأجل الله):** لقد أكدت قبلاً أن الإنسان لا يملك أية مطالبات أو ديون على نعمة الله، لكن لا تفهموا كلامي بشكل خاطئ، فأنا لا أنسب إلى الله أنه يتصرف بتعنت، وسأبحث عن المعرفة ولو كانت بعيدة، لأثبت بر الخالق. وبكل صدق أعلم أن المعرفة الكاملة لا توجد إلا عند الله **(عندك).** (قارن ٣٧: ٣٦). { ع ٤ موجه إلى أيوب، أليهو يقول له: **كلامي يتفق مع ما تعرفه يا أيوب فلا تكابر}.**

القصد الإلهي من التجربة (الإبتلاء):

٥ هُوَذَا اللهُ عَزِيزٌ، وَلكِنَّهُ لاَ يَرْذُلُ أَحَدًا. عَزِيزُ قُدْرَةِ الْقَلْبِ.
٦ لاَ يُحْيِي الشِّرِّيرَ، بَلْ يُجْرِي قَضَاءَ الْبَائِسِينَ. ٧ لاَ يُحَوِّلُ عَيْنَيْهِ عَنِ الْبَارِّ،
أن الكون البديع يؤكد بدون شك قدرة الله على كل شئ، لكن الخليقة المادية لا تظهر بنفس القصد عدالة الله، فالذي يحكمها هو مبدأ البقاء للأصلح، فيتصدى أليهو ليؤكد **إن قدرة الله الفائقة لا تتعارض مع عدالته أو رحمته.** صحيح أن الله عزيز لا يغلب، لكنه رغم جبروته، لا يتعالى ولا يحتقر ولا يرذل أحداً، بل يعتني بالبار. فيما بعد سيقوم الرب بنفسه بشرح هذه المسألة الهامة لأيوب ولنا نحن أيضاً!

٧ ب- ... بَلْ مَعَ الْمُلُوكِ يُجْلِسُهُمْ عَلَى الْكُرْسِيِّ أَبَدًا، فَيَرْتَفِعُونَ.
٨ إِنْ أُوثِقُوا بِالْقُيُودِ، إِنْ أُخِذُوا فِي حِبَالَةِ الذُّلِّ،
٩ فَيُظْهِرُ لَهُمْ أَفْعَالَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ، لأَنَّهُمْ تَجَبَّرُوا،
١٠ وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ لِلإِنْذَارِ، وَيَأْمُرُ بِأَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الإِثْمِ. (نقلنا ع ١٦ ليتصل السياق)
١١ إِنْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا قَضَوْا أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ وَسِنِيهِمْ بِالنِّعَمِ.
١٦ وَأَيْضًا يَقُودُكَ مِنْ وَجْهِ الضِّيقِ إِلَى رَحْبٍ لاَ حَصْرَ فِيهِ، وَيَمْلأُ مَؤُونَةَ مَائِدَتِكَ دُهْنًا.
١٢ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا، فَبِحَرْبَةِ الْمَوْتِ يَزُولُونَ، وَيَمُوتُونَ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ.

إن الله يعطي القوة للحاكم، فإذا تجبر أو انحرف يتعرض للتجربة، وهي نفس فكرة الأصدقاء، لكن **أليهو يضيف هنا المغزى التطهيري للتجربة.** إن الله عندما يجلب البلية ينبه الإنسان وينذره بأن يرجع عن إثمه؛ إن سمع وأطاع ينال الرخاء والسرور وينجو من الضيقة إلى حال أفضل مما كان قبل بليته (**رَحْبٍ لاَ حَصْرَ فِيهِ**)، ويبارك بوفرة (**وَيَمْلأُ مَؤُونَةَ مَائِدَتِكَ دُهْنًا**)، وإن لم يسمع لعدم المعرفة أو لعدم الفهم، تضيع الفرصة وقد يضربه الموت بشكل مفاجئ (**بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ**).

١٣ أَمَّا فُجَّارُ الْقَلْبِ فَيَذْخَرُونَ غَضَبًا. لاَ يَسْتَغِيثُونَ إِذَا هُوَ قَيَّدَهُمْ.
١٤ تَمُوتُ نَفْسُهُمْ فِي الصِّبَا وَحَيَاتُهُمْ بَيْنَ الْمأْبُونِينَ. (شواذ ينخرطون في طقوس الوثنية)
١٥ يُنَجِّي الْبَائِسَ فِي ذِلِّهِ، وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الضِّيقِ. (ستعرف أكثر في وقت الضيق)
أما فجار القلب، الذين واقعياً بلا إله، فيدخرون على أنفسهم غضباً، **وحتى في وقت الضيقة لا يصرخون إلى الله**، وتنقضي حياتهم مثل أسوأ الوثنيين سيرة (**المأبونين**). فأشكر (**سبِّح**) الرب، فالله ينجي المتضعين، وفي الضيقة ستزداد معرفتك به.

١٧ حُجَّةَ الشِّرِّيرِ أَكْمَلْتَ، فَالْحُجَّةُ وَالْقَضَاءُ يُمْسِكَانِكَ.
١٨ عِنْدَ غَضَبِهِ لَعَلَّهُ يَقُودُكَ بِصَفْقَةٍ. فَكَثْرَةُ الْفِدْيَةِ لاَ تَفُكُّكَ. (صفقة = سخرية واستهزاء)
١٩ هَلْ يَعْتَبِرُ غِنَاكَ؟ لاَ التِّبْرَ وَلاَ جَمِيعَ قُوَى الثَّرْوَةِ!
هذه الفقرة الرائعة تتلخص في أن مفهوم الإنسان للأمور يختلف في وقت الضيق عنه في وقت الرخاء. في ع ١٩ يتحدث عن حالة أيوب **قبل التجربة** حين كان متمتعاً بكل خيرات الدنيا، **فكان يرى العدالة في سحق الشرير**. فيا عزيزي أيوب: لعل هذه الرفاهية جعلتك مترفقاً بنفسك، متعالياً على الآخرين، لقد أفسد هذا الرخاء فوق العادي حس أيوب بالعدالة، فأصبح متشبعا بالإدانة تجاه الأشرار. القضاء والعدل أمسكا بأيوب (**فَالْحُجَّةُ وَالْقَضَاءُ يُمْسِكَانِكَ**)، بمعنى **أن مفهومه للعدالة انقلب عليه. إن غضب أيوب المشتعل النابع من ثقته بأنه كامل، يعكس قبوله بأقسى الأحكام ضد المخطئ دون شفقة، وعليه الآن أن يتحمل جزاء التشامخ.** إن **أيوب برفضه الاعتراف بأنه يدفع ثمن كبرياءه، يزيد موقفه سوءاً. فلا يدرك أنه بقبوله إنزال أقصى العقوبة بالمذنب، يمكن أن تُطبق عليه هذه العقوبة القصوى!** ولنذكر »**والآن إذا جاء عليك ضجرت** ٤: ٥«.
وهنا يتوجه أليهو إلى أيوب **بثلاث تحذيرات:**

أولاً: ليحترس أيوب لكيلا يقوده ضيقه إلى خطيئة أشد خطورة:
فلا يصح أن يسخر أحد من أحكام الله، بل أن يتقبلها بصبر كامل، بدلا من أن تغويه ذاته، فيبتعد أكثر عن الخلاص. **إن آلامك مهما كانت لن تحفظك من الهلاك (فَكَثْرَةُ الْفِدْيَةِ لاَ تَفُكُّكَ)** فبعض الناس ممن يتعرضون للتجارب، يظنون أن هذه الآلام ثمن كاف أن يدخلوا نعيم الآخرة، وتفوتهم أن الحكمة وراء التجربة هي إن يعيد الإنسان اكتشاف قصد الله من

خليقته، **لأن زلات الإنسان لا يمكن التكفير عنها بالعذاب المادي**، رغم إن هذا الفكر يعتنقه كثيرون. ثم يختم أليهو: ولا كل ما تملك ولا كل قواك تنفعك الآن(ع ١٩)، **لن تستطيع أن تخلص نفسك بامكاناتك الذاتية.**

٢٠ لاَ تَشْتَاقُ إِلَى اللَّيْلِ الَّذِي يَرْفَعُ شُعُوبًا مِنْ مَوَاضِعِهِمْ.

ثانياً: ليمتنع أيوب عن طلب الموت لنفسه:

لقد تأرجح أيوب بين إلحاحه يطلب فرصةً لتبرئة نفسه أمام الله، وبين تمنيه الموت. فينبهه أليهو إلى أنه **لا يوجد رجاء في الموت**، ولعله يشير إلى مرثيته (٣: ٢)، أو قوله أنه مثل أجير يشتاق إلى الظل (٧: ٢). لا تشته القبر، فلا يوجد فيه سوى الفناء.

يظن الناس أن الموت راحة، لكن هذا ينطبق فقط على القديسين، وحتى مع هؤلاء، لا يسعى أحدهم إلى الموت، بل يجاهد ليكمل رسالته، وتحقيق القصد الذي ارتبط بحياته منذ أن اكتمل وعيه بالله، واكتشافه للوزنات (المواهب) التي منحت له للقيام بالتكليف الذي يعطي لحياة الإنسان معنىً. ويحلو لكثيرين الاستشهاد بقول بولس:» لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً. في ١: ٢٣»، لكنه يقول أيضاً «... ولا نفسي ثمينة عندي حتى اتمم بفرح سعيي والخدمة ... أع ٢٠: ٢٤»، وفي الختام: «جاهدت ... أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيراً قد وضع لي إكليل البر. ٢ تي ٤: ٧-٨»، لقد حرص بولس على حياته، وحين أكمل خدمته فرح فرحاً مضاعفاً، فقد آن آوان راحته، ليس من متاعب الحياة، بل في صحبة السمائيين.

٢١ اِحْذَرْ. لاَ تَلْتَفِتْ إِلَى الإِثْمِ لأَنَّكَ اخْتَرْتَ هذَا عَلَى الذِّلِّ.

٢٢ هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ. مَنْ مِثْلُهُ مُعَلِّمًا؟

٢٣ مَنْ فَرَضَ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ، أَوْ مَنْ يَقُولُ لَهُ: قَدْ فَعَلْتَ شَرًّا؟

ثالثاً: ليتوقف أيوب عن نقد أحكام الله:

لقد اختار أيوب التمرد بدلاً من قبول التجربة باتضاع **(لأَنَّكَ اخْتَرْتَ هذَا عَلَى الذِّلِّ)**، وتجاسر على أن يعلِّم الله، فهل سيستمر في إملاء الرب ما يجب أن يفعله؟!. لقد كنت طائشاً يا أيوب لدرجة أن تصدر أحكاماً على الله، فلتتوقف الآن واقنع بأنك مجرد إنسان، وأن الله هو الله **(هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ)**. ولنقارن هذا بما حدث مع داود بعد أن أخطأ في مسألة التعداد، وخيَّره جاد النبي في العقاب، لقد صرخ داود في ثقة: «فلنسقط في يد الرب،

لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان– ٢ صم ٢٤: ١٤». وسنرى كيف أن الرب كان أرحم بأيوب من أسرته وأصدقائه.

٢٤ اُذْكُرْ أَنْ تُعَظِّمَ عَمَلَهُ الَّذِي يُغَنِّي بِهِ النَّاسُ.
٢٥ كُلُّ إِنْسَانٍ يُبْصِرُ بِهِ. النَّاسُ يَنْظُرُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ.

إن أليهو يدعو أيوب إلى قلب مساره، وبدلاً من المجادلة مع الله، لم لا ينضم إلى جوقة التسبيح، **فحتى لو لم يكن قادراً على استيعاب طرق الله، فإنه يستطيع أن يتسامى على تقلبات الأيام، وأن يحول أنَّات عذاباته إلى تسبحة. إن مرثية إشفاقه على ذاته يمكن أن تتحول إلى ترنيمة حمد.** إن أليهو يتبع حثَّه بمثال فيرتل تمجيداً للرب.

{لداود المرنم أناشيد جميلة عن الفرح وقت الضيق: مزامير ٣ و ٦ و ٧ و ١٠ و ١٣
«يا رب... لماذا تختفي في أزمنة الضيق... إليك يسلم المسكين أمره. مز ١٠»
«إلى متى يارب تنساني كل النسيان، إلى متى تحجب وجهك عني، إلى متى أجعل هموماً في قلبي... أما أنا فعلى رحمتك توكلت، يبتهج قلبي بخلاصك– مز ١٣»}

الله رب الخريف

٢٦ هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلاَ نَعْرِفُهُ وَعَدَدُ سِنِيهِ لاَ يُفْحَصُ.
٢٧ لأَنَّهُ يَجْذُبُ قِطَارَ الْمَاءِ. تَسُحُّ مَطَرًا مِنْ ضَبَابِهَا (قطار = قطرات)
٢٨ الَّذِي تَهْطِلُهُ السُّحُبُ وَتَقْطُرُهُ عَلَى أُنَاسٍ كَثِيرِينَ. (يعلل = يشرح السبب)
٢٩ فَهَلْ يُعَلِّلُ أَحَدٌ عَنْ شَقِّ الْغَيْمِ أَوْ قَصِيفِ مِظَلَّتِهِ (قصيف مظلته = رعد سمائه)

بعد مقدمة عن عظمة الله، **يتأمل أليهو في فصول السنة:** الله لم يره أحدٌ قط، وموجود قبل الأزل، هو الذي يجعل قطرات الماء تتجمع في السحب لتسقط على البشر، فهل من يعلم كيف تتحرك السحب (شَقِّ الغيم)، أو كيف يحدث قصف الرعد.

٣٠ هُوَذَا بَسَطَ نُورَهُ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ يَتَغَطَّى بِأُصُولِ الْيَمِّ.
٣١ لأَنَّهُ بِهذِهِ يَدِينُ الشُّعُوبَ، وَيَرْزُقُ الْقُوتَ بِكَثْرَةٍ.
٣٢ يُغَطِّي كَفَّيْهِ بِالنُّورِ، وَيَأْمُرُهُ عَلَى الْعَدُوِّ.
٣٣ يُخْبِرُ بِهِ رَعْدُه، الْمَوَاشِيَ أَيْضًا بِصُعُودِهِ.

هل يفهم أحد كيف تتحرك السحب أو يدوي الرعد، لقد أخفى الله طبيعته في النور. بأمطار

السحب يقوت الشعوب بوفرة، ويرسل الرعد كإنذار باقتراب المطر حتى أن الناس والماشية تشعر بذلك. أليهو يرى في **عواصف الخريف إلتزام الله بقوت البشر.**

الأصحاح السابع والثلاثون

١«فَلِهذَا اضْطَرَبَ قَلْبِي وَخَفَقَ مِنْ مَوْضِعِهِ.
٢اسْمَعُوا سَمَاعًا رَعْدَ صَوْتِهِ وَالزَّمْزَمَةَ الْخَارِجَةَ مِنْ فِيهِ.
٣تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يُطْلِقُهَا، كَذَا نُورُهُ إِلَى أَكْنَافِ الأَرْضِ.
٤بَعْدُ يُزَمْجِرُ صَوْتٌ، يُرْعِدُ بِصَوْتِ جَلاَلِهِ، وَلاَ يُؤَخِّرُهَا إِذْ سُمِعَ صَوْتُهُ.
٥اَللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا. يَصْنَعُ عَظَائِمَ لاَ نُدْرِكُهَا.

إن قلب أليهو يخفق عندما يرى عجائب الله، مثل الرعد، والبرق الذي يصل إلى أركان الأرض، يحدثان في وقت واحد **(لا يؤخرها)** وإن كنا نرى البرق قبل سماع الرعد.

الله رب الشتاء

٦لأَنَّهُ يَقُولُ لِلثَّلْجِ: اسْقُطْ عَلَى الأَرْضِ. كَذَا لِوَابِلِ الْمَطَرِ، وَابِلِ أَمْطَارِ عِزِّهِ.
٧يَخْتِمُ عَلَى يَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ، لِيَعْلَمَ كُلُّ النَّاسِ خَالِقَهُمْ، (يختم = يقيد)
٨فَتَدْخُلُ الْحَيَوَانَاتُ الْمَآوِيَ، وَتَسْتَقِرُّ فِي أَوْجِرَتِهَا.

يقول الله للثلج اسقط على الأرض، وللمطر أن يهطل بقوة (عِزِّهِ)، هذا المناخ يؤثر على حركة الناس ليعرفوا قدرة خالقهم، حتى الحيوانات تكمن في أوكارها (ربما يشير إلى البيات الشتوي لبعض الكائنات).

٩مِنَ الْجَنُوبِ تَأْتِي الأَعْصَارُ، وَمِنَ الشَّمَالِ الْبَرَدُ.
١٠مِنْ نَسَمَةِ اللهِ يُجْعَلُ الْجَمْدُ، وَتَتَضَيَّقُ سِعَةُ الْمِيَاهِ.
١١أَيْضًا بِرِيٍّ يَطْرَحُ الْغَيْمَ. يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ. (بِرِيَ = بسيل أو بمياه كثيفة)
١٢فَهِيَ مُدَوَّرَةٌ مُتَقَلِّبَةٌ بِإِدَارَتِهِ، لِتَفْعَلَ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ الْمَسْكُونَةِ،
١٣سَوَاءٌ كَانَ لِلتَّأْدِيبِ أَوْ لأَرْضِهِ أَوْ لِلرَّحْمَةِ يُرْسِلُهَا.

من الجنوب يأتي الأعصار ومن الشمال يأتي البرد، يتجمد الماء وتضيق رقعته، تشحن الغيم بالمياه الكثيفة، فتتحرك لتفعل ما تؤمر به: سواء كان للتأديب (تدفق السيول)، أو لخير الأرض (الماء الضروري للشرب وللزراعة. قارن ٣٦: ٣١).

الله رب الصيف أيضاً

١٤ أُنْصُتْ إِلَى هذَا يَا أَيُّوبُ، وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللهِ.

١٥ أَتَدْرِكُ انْتِبَاهَ اللهِ إِلَيْهَا، أَوْ إِضَاءَةَ نُورِ سَحَابِهِ؟

١٦ أَتَدْرِكُ مُوازَنَةَ السَّحَابِ، مُعْجِزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ؟

١٧ كَيْفَ تَسْخُنُ ثِيَابُكَ إِذَا سَكَنَتِ الأَرْضُ مِنْ رِيحِ الْجَنُوبِ؟ (المُمَّكن = الصلد)

١٨ هَلْ صَفَّحْتَ مَعَهُ الْجَلَدَ الْمُمَكَّنَ كَالْمِرْآةِ الْمَسْبُوكَةِ؟ ، (المسبوكة = المصقولة)

١٩ عَلِّمْنَا مَا نَقُولُ لَهُ. إِنَّنَا لاَ نُحْسِنُ الْكَلاَمَ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ!

بعد أن يسرد أليهو بعض معجزات الخليقة، يدعو أيوب إلى التأمل فيها. يرى أليهو عمل الله في سخونة الصيف مع سكون الريح وفي الأيام الخانقة الحرارة، ثم يعود إلى المتمرد ليقول له: تأمل يا أيوب بعجائب صنع الله، أتدرك كيف ينشر الله السحب، وهل ساعدت الله في مد السماوات كالمرآة المصقولة، **ولم لا تخبرنا ماذا نقول عندما نخاطب الله (عَلِّمْنَا مَا نَقُولُ لَهُ)، أم أن الظلام يمنعك من الكلام!** (اللوم واضح هنا).

٢٠ هَلْ يُقَصُّ عَلَيْهِ كَلاَمِي إِذَا تَكَلَّمْتُ؟ هَلْ يَنْطِقُ الإِنْسَانُ لِكَيْ يَبْتَلِعَ؟

٢١ وَالآنَ لاَ يُرَى النُّورُ الْبَاهِرُ الَّذِي هُوَ فِي الْجَلَدِ، ثُمَّ تَعْبُرُ الرِّيحُ فَتُنَقِّيهِ.

ترجمة أخرى: والآن لا يرى نوره إذ إن الغيوم تعتمه ثم تمر الريح فتبددها.

٢٢ مِنَ الشَّمَالِ يَأْتِي ذَهَبٌ. عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ.

ترجمة أخرى: من الشمال يأتي بهاء ذهبي، وحول الله جلال مُرْهِبٌ (مخيف)

٢٣ الْقَدِيرُ لاَ نُدْرِكُهُ. عَظِيمُ الْقُوَّةِ وَالْحَقِّ، وَكَثِيرُ الْبِرِّ. لاَ يُجَاوِبُ.

٢٤ لِذلِكَ فَلْتَخَفْهُ النَّاسُ. كُلَّ حَكِيمِ الْقَلْبِ لاَ يُرَاعِي».

ثم تتساءل يا أيوب إن كانت أقوالك تصل إلى الله؟ الأفضل أن تسكت لئلا تضيَّع نفسك! وإذا كنا لا نفهم تقلبات السماء فكيف يستوعب الإنسان الله. لكن أليهو لا يفوته أن يؤكد أن القدرة الإلهية لا تتعارض مع عدله **(كثير البر)، فليخافه الناس ففي مخافته الحكمة الحقيقية، أما الله فلا يهتم (لا يراعي) بالحكماء في أعين أنفسهم.**

إن أليهو لا يتعاطف مع تصميم أيوب على تحدي الرب، فيواصل تقديم رأيه بشكل رائع، ولكن بأسلوب يتجاهل ضعف الإنسان. **إن دفاع إليهو يخلو من الحب أو حتى الشفقة. إن تحليل أليهو لخطأ أيوب صحيح، وإيمان أليهو بلا لوم، لكن صلابة قلبه تنم عن طبيعته الحادة،** ومع هذا فكلماته تعد أيوب لسماع الصوت القادم من العاصفة.

إن خطاب أليهو ينتج توتراً درامياً بين تمسك أيوب ببراءته، وبين موقف الله منه: فمن الناحية النفسية: يظهر عجز الإنسان عن التوافق مع الحياة بعيداً عن الله. ومن الناحية العقائدية يُعد البطل للقاء وشيك مع الله. وإذا كان أليهو لم يقنع أيوب بخطئه العقيدي، **إلا أنه نجح في تحويل تفكيره من دائرة تتمركز حول ذاته، إلى دائرة أخرى مركزها هو الله،** فتصبح كلماته هي المدخل الذي يعبره أيوب إلى قدس الأقداس.

الأصحاح الثامن والثلاثون

طالب أيوب مراراً بفرصة ليقدم أدلة براءته، ويسمع من الله التهم الموجهة إليه ليفندها (٩: ٣ و١٤–٢٠ و٢٨–٣٥+ ١٣: ٢٢+٣١: ٣٥–٣٧)، وها هو الله يتحدث أخيراً:

إن الله لا يتهم أيوب بالتجاوز مباشرة، لكن يكشف له بأسئلة لا تخلو من اللوم، **أنه ليس من حق الإنسان أن يقيِّم الله،** إن حكمة الله وقدرته تتخطيان بما لا يقاس مدارك الإنسان، فليس للإنسان أن يتجاوز حدود بشريته، **إنما الإنسان يتعامل مع الله من خلال منظوره البشري،** لذا قد يتهم الإنسان الله بالنسيان أو الظلم أو اللامبالاة ...

٣٨: ١ – ٣٩: ٣٠ الحديث الأول: يصف حكمة الخالق ويدفع أيوب إلى الصمت
٤٠: ٦–٤١: ٢٦ الحديث الثاني: يكشف قدرة الله الفائقة ويقود أيوب إلى التوبة

الحديث الأول للرب (٣٨: ١ – ٣٩: ٣٠)

١فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ وَقَالَ:

إن ورود اسم الرب «يهوه» يقطع بأن الكاتب عبراني يتحدث إلى عبرانيين. يتحدث الرب من العاصفة وهي وسط مفضل للظهور الإلهي. (١ مل ١٩: ١١+ أش ٦: ٤).

إن الله لا يقدم إلى أيوب الإجابات التي كان ينتظرها، لكن **الصمت الإلهي ينكسر**، ورغم أن الهدف من الإعلان السماوي لم يُعرف بعد، إلا أن **أيوب لا يستطيع بعد ذلك أن يتهم الله باللامبالاة**، وأياً كان ما سيقوله الرب إلا أن الحقيقة تستقر في ضمير أيوب، أنه يوجد إله يهتم بخليقته، ويحبها حتى أنه يقوم بلقاء شخصي معه. **إن الصوت الصادر من العاصفة يؤكد محبة وعناية الله وعظمته الحقيقية في تنازله.**

٢ مَنْ هذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلاَمٍ بِلاَ مَعْرِفَةٍ؟ (يُظَلِّم = يضع ظلاماً على)
٣ اُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُل، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي.

الله: من هذا الذي يتجاسر ليشوه صورتي؟ استجمع قواك الآن كبطل واستعد للمناظرة، وما دمت جريئاً بهذا المقدار فقف بشجاعة وعلمني! (لاحظ اللوم الكامن). ثم يبدأ الله حديثاً طويلاً عن قدرته المعلنة في الخليقة، **وهناك حكمة وراء الإطالة: كلنا يعلم قدرة الله، لكننا لا نعطيها حقها من التأمل** حتى نتشبع بها ونعيش بها كل يوم.

إن كلمات الرب مسددة إلى قلب القضية، إنه يبرئ أيوب من أية وصمة أخلاقية، لكن يتهمه بتأليه ذاته، فيبدو أن أيوب لا ينتبه إلى أنه يساوي نفسه بالله. (مشكلة الإنسان منذ البداية، يريد أن يصير مثل الله. تك ٣: ٤). إن إدارة (قضاء) الله للكون تجري بشكل معلن، فالله لا يسيِّر الكون بالأهواء (حاشا)، بل طبقاً لخطة محكمة، بينما أيوب يتجنى على الله ويكشف عدم فهمه لحكمته.

الخليقة: خلق الأرض

٤ أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ.

٥ مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لأَنَّكَ تَعْلَمُ! أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَارًا؟

٦ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَّتْ قَوَاعِدُهَا؟ أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا، (قرَّت = استقرت)

يلاحظ القارئ أن:

١– الله يتحدث عن خلق الأرض كمن يبني بيتاً فيستخدم مصطلحات مثل: أساس، مقياس، قواعد، مطمار (خيط البناء)، حجر زاوية، **كبنَّاء رسم الخطة ثم نفذها بدقة.**

٢– الأسلوب اللائم: إن كان عندك فهم – لأنك تعلم... أيوب؛ كم عمرك وكم عمر العالم؟! تأمل في قدرتك الضئيلة، وحدودك الزمنية، وقارنها بالمطلوب لخلق العالم.

٧ عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟

هنا تأكيد واضح على **الوحدانية المطلقة للخالق،** فكل الكائنات الساوية تسبح معاً، **فلا توجد أدنى إشارة إلى الصراع بين الخير والشر** كما كان شائعاً في الأساطير القديمة.

خلق البحر

٨ وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيعَ حِينَ انْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ.

٩ إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ، وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ، (القماط = الرداء الذي يلف به الوليد)

١٠ وَجَزَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي، وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصَارِيعَ، (جَزَمت = قررت)

١١ وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى، وَهُنَا تُتْخَمُ كِبْرِيَاءُ لُجَجِكَ؟

لقد رأى العالم كله جبروت البحر في مواقف عديدة، أما الله فيتحدث عن المحيطات الجبارة كطفل وليد (الرحم... قماطه) ويأمر البحر: لا تتعدى حدودك! (فيما بعد انتهر السيد المسيح الريح وقال للبحر: إخرس– مر ٤: ٣٤).

خلق الأيام والليالي

١٢ هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتَ الصُّبْحَ؟ هَلْ عَرَّفْتَ الْفَجْرَ مَوْضِعَهُ (في أيامك = خلال حياتك)

١٣ لِيُمْسِكَ بِأَكْنَافِ الأَرْضِ، فَيُنْفَضَ الأَشْرَارُ مِنْهَا؟ (أكناف = أركان)

هل خلال حياتك رتبت الأيام (الفجر والصباح)، ثم يشبه هرب الأشرار وقت انتشار النور، كما نضع قطعة سجاد في الشمس فتفر منها الحشرات (ينفض = ينتتر).

١٤ تَتَحَوَّلُ كَطِينِ الْخَاتِمِ، وَتَقِفُ كَأَنَّهَا لاَبِسَةٌ.
١٥ وَيُمْنَعُ عَنِ الأَشْرَارِ نُورُهُمْ، وَتَنْكَسِرُ الذِّرَاعُ الْمُرْتَفِعَةُ. (تنكسر القوة أو الجبروت)

تتشكل الأيام مثل طين الخاتم (كانت الوثائق تكتب على ألواح من طين طري ثم تختم بخاتم معدني أو حجري ثقيل يحمل رموز الحاكم قبل أن تحرق وتتحول إلى فخار)، فالتشبيه هنا أن الطبيعة تشكلت بإرادة الله كما يتشكل الطين الطري، **لقد بقي خاتم الله على الخليقة وسيظل، ونراه في صنع يديه.** مع شروق الشمس تتلون الدنيا وتبدو كمن ترتدي ثوباً مزركشاً، ويفقد الأشرار الليل الذي يسترهم وفي ظلامه يتجبرون.

أسرار الأرض والسماء: أعماق الأرض وأطرافها

١٦ هَلِ انْتَهَيْتَ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ، أَوْ فِي مَقْصُورَةِ الْغَمْرِ تَمَشَّيْتَ؟
١٧ هَلِ انْكَشَفَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَوْتِ، أَوْ عَايَنْتَ أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟
١٨ هَلْ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الأَرْضِ؟ أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ.

إنك لم ترَ أعماق البحر ولا العالم السفلي ولم تبلغ نهاية الأرض (حتى الآن هناك بحار كثيرة لم يبلغ أعماقها الإنسان)، ثم يتكرر نفس الأسلوب اللائم: إن عرفت ليتك تخبرني! «إن أقرب الناس إلى الله هم القديسون والعلماء»، وكلما تقدمت المعرفة، يدرك العالم أن مالا يعرفه أكثر بكثير مما يعرفه، فيدرك الحكمة اللانهائية وراء الخليقة.

النور والظلمة

١٩ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ؟ وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا،
٢٠ حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى تُخُومِهَا وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟
٢١ تَعْلَمُ، لأَنَّكَ حِينَئِذٍ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ، وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ!

السخرية هنا واضحة: لا شك يا أيوب أنك تعلم من أين يأتي النور وأين تسكن الظلمة! **فأنت رجل كثير الأيام وكنت موجوداً وقت خليقتها! (آه يا أيوب!** لم لا تقر بأن قدرتك متهافتة وعمرك أيضاً محدود).

البَرَد والجليد والبرق

٢٢ أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ، أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ،
٢٣ الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لِوَقْتِ الضَّرِّ، لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟

٢٤ فِي أَيِّ طَرِيق يَتَوَزَّعُ النُّورُ، وَتَتَفَرَّقُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الأَرْضِ؟ (النور = البرق)

لا يجب أن يستخف القارئ بأي من أجزاء الخليقة، فخزائن الثلج «الثلاجات» كتل هائلة من الجليد، ويراقب العلماء بدقة معدل ذوبانها، الذي لو تجاوز حداً معيناً بسبب ارتفاع حرارة الأرض، يمكن أن يؤدي إلى إنقلاب مدمر في مناخ العالم. يتكرر ذكر البَرَدْ كسلاح إلهي (يش ١٠: ١١و٣٠: ٣٠ + حز ١٣: ١١و١٣)، فيربطها النص بالقتال. ثم يذكر الرياح الشرقية التي تنضج المحاصيل رغم أضرارها.

المطر والندى والثلج

٢٥ مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ، وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ، (الهَطَل = السيل)

٢٦ لِيَمْطُرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لاَ إِنْسَانَ، عَلَى قَفْرٍ لاَ أَحَدَ فِيهِ،

٢٧ لِيُرْوِيَ الْبَلْقَعَ وَالْخَلاَءَ وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟

قد نتساءل لماذا يمطر الله الصحاري، لكن بهذا تمتلئ الآبار في الصحراء لتشرب القوافل، ويعيش سكان الفيافي من البدو الرحل.

٢٨ «هَلْ لِلْمَطَرِ أَبٌ؟ وَمَنْ وَلَدَ مَآجِلَ الطَّلِّ؟ (مآجل = قطرات)

٢٩ مِنْ بَطْنِ مَنْ خَرَجَ الْجَمَدُ؟ صَقِيعُ السَّمَاءِ، مَنْ وَلَدَهُ؟

أربعة أسئلة إجابتها واحدة: الله: أب المطر، مبدئ الندى، خالق الجليد، صانع الصقيع

٣٠ كَحَجَرٍ صَارَتِ الْمِيَاهُ. اخْتَبَأَتْ. وَتَلَكَّدَ وَجْهُ الْغَمْرِ. (تلكَّد = تخثر مثل اللبن)

عندما يتجمد وجه المياه، (تنخفض الحرارة فتتكمش كل المواد عدا الماء! فعند ٤ ْ م، يعود الماء للتمدد، فيصبح الثلج أخف من الماء، وتتكون طبقة ثلجية على السطح تحفظ الحياة أسفلها (الأسماك، الحيوانات، النباتات، الرخويات ...).

النجوم والسحاب والضباب

٣١ هَلْ تَرْبِطُ أَنْتَ عُقْدَ الثُّرَيَّا، أَوْ تَفُكُّ رُبُطَ الْجَبَّارِ؟

(الثريا = جزء من مجموعة نجوم برج الثور، الجبار= سديم)

٣٢ أَتُخْرِجُ الْمَنَازِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَتَهْدِي النَّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟

(المنازل = الكواكب، النعش = نجم الدب الأكبر)

٣٣ هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ السَّمَاوَاتِ، أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى الأَرْضِ؟ (سُنن = قوانين)

٣٤ أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحُبِ فَيُغَطِّيَكَ فَيْضُ الْمِيَاهِ؟
٣٥ أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبَ وَتَقُولَ لَكَ: هَا نَحْنُ؟
٣٦ مَنْ وَضَعَ فِي الطَّخَاءِ حِكْمَةً، أَوْ مَنْ أَظْهَرَ فِي الشُّهُبِ فِطْنَةً؟ (طخاء = سحاب ممطر)
٣٧ مَنْ يُحْصِي الْغُيُومَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ يَسْكُبُ أَزْقَاقَ السَّمَاوَاتِ، (جمع زُق وهو القربة)
٣٨ إِذْ يَنْسَبِكُ التُّرَابُ سَبْكًا وَيَتَلاَصَقُ الْمَدَرُ؟

(ينسَبِك = يتماسك التراب مثل السبيكة ليصير وحلاً، المَدَر = تراب الأودية)

هل تحدد أنت نظام الفلك؟ هل تُحرك أبراج السماء؟ هل تعرف قوانين السماء وتأثيرها على الأرض؟ هل تمطر الغيوم حسب طلبك؟! هل يستجيب البرق لأوامرك؟ هل تملك السحب أو الشهب عقلاً؟ أم أن هناك من حدد له قوانينه، وعين أوقات المطر.

الخليقة الحيوانية

٣٩ أَتَصْطَادُ لِلَّبْوَةِ فَرِيسَةً، أَمْ تُشْبِعُ نَفْسَ الأَشْبَالِ،
٤٠ حِينَ تَجْرَمِزُّ (تتكوم) **فِي عَرِيسِهَا وَتَجْلِسُ فِي عِيصِهَا** (مخبأها) **لِلْكُمُونِ؟**
٤١ مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ، إِذْ تَنْعَبُ فِرَاخُهُ إِلَى اللهِ، وَتَتَرَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوتِ؟

إن الله مسئول عن تدبير حياة خليقته، دون تفرقة بين الأشبال وفراخ الغربان. أنظر كلام المسيح: «تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد ... والله يقيتها– لو ١٢: ٢٤». + «المعطي للبهائم طعامها، لفراخ الغربان التي تصرخ – مز ١٤٧: ٩».

ثم تتوالى الأسئلة الإلهية ليدرك أيوب أن إدارة شئون الكون مهمة لا يتخيلها ولا يمكن أن يستوعبها بشر، وبهذا يثبت الرب صحة كلام أليهو **أنه لا يمكن لغير الكامل البر، الكامل المعارف أن يتولاها، ومن هو سوى الله.**

الأصحاح التاسع والثلاثون

١ أَتَعْرِفُ وَقْتَ وَلاَدَةِ وُعُولِ الصُّخُورِ، أَوْ تُلاَحِظُ مَخَاضَ الأَيَائِلِ؟
٢ أَتَحْسُبُ الشُّهُورَ الَّتِي تُكَمِّلُهَا، أَوْ تَعْلَمُ مِيقَاتَ وَلاَدَتِهِنَّ؟
٣ يَبْرُكْنَ وَيَضَعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ. يَدْفَعْنَ أَوْجَاعَهُنَّ.
٤ تَبْلُغُ أَوْلاَدُهُنَّ. تَرْبُو فِي الْبَرِّيَّةِ. تَخْرُجُ وَلاَ تَعُودُ إِلَيْهِنَّ.

يشير الرب إلى غريزة الوعل الوليد التي تحركه للإستقلال بحياته في الوقت المناسب (تمتد طفولة الإنسان لسنوات بينما طفولة الحيوان عادة لا تتجاوز شهور قليلة).
حين نرى عناية الرب بتفاصيل حياة حيوان واحد ضمن مليارات المخلوقات، يستطيع أن يتقبل قول الله «بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة– لو ١٢: ٧».

٥ مَنْ سَرَّحَ الْفَرَاءَ حُرًّا، وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِ؟ (الفرا = حمار الوحش)
٦ الَّذِي جَعَلْتُ الْبَرِّيَّةَ بَيْتَهُ وَالسِّبَاخَ مَسْكَنَهُ. (السباخ = الأراضي الملحية)
٧ يَضْحَكُ عَلَى جُمْهُورِ الْقَرْيَةِ. لاَ يَسْمَعُ زَجْرَ السَّائِقِ.
٨ دَائِرَةُ الْجِبَالِ مَرْعَاهُ، وَعَلَى كُلِّ خُضْرَةٍ يُفَتِّشُ.

خلق الله حمار الوحش الذي لا يمكن استئناسه، وقوته تسخر ممن يريد أن يسرجه، حتى لو اجتمع عليه سكان قرية بأكملها، بل ينطلق يسكن الملاحات (حيث لا يستطيع الإنسان أن يحيا) والسهوب ويقتات على العشب الأخضر.

٩ أَيَرْضَى الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ أَنْ يَخْدُمَكَ، أَمْ يَبِيتُ عِنْدَ مِعْلَفِكَ؟
١٠ أَتَرْبِطُ الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ بِرِبَاطِهِ فِي التَّلْمِ، أَمْ يُمَهِّدُ الأَوْدِيَةَ وَرَاءَكَ؟
١١ أَتَثِقُ بِهِ لأَنَّ قُوَّتَهُ عَظِيمَةٌ، أَوْ تَتْرُكُ لَهُ تَعَبَكَ؟
١٢ أَتَأْتَمِنُهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِزَرْعِكَ وَيُجْمَعُ إِلَى بَيْدَرِكَ؟

أن ثوراً وحشياً واحداً يمكنه أن يؤدي أعمالاً هائلة، ولكن لا يقدر أن يسيطر عليه إنسان. ولا أن يتغلب على طبعه الوحشي ليحرث له أرضه (التلم = خط المحراث).

١٣ جَنَاحُ النَّعَامَةِ يُرَفْرِفُ. أَفَهُوَ مَنْكِبٌ رَؤُوفٌ، أَمْ رِيشٌ؟
١٤ لأَنَّهَا تَتْرُكُ بَيْضَهَا وَتُحْمِيهِ فِي التُّرَابِ،
١٥ وَتَنْسَى أَنَّ الرِّجْلَ تَضْغَطُهُ، أَوْ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَدُوسُهُ.
١٦ تَقْسُو عَلَى أَوْلاَدِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا. بَاطِلٌ تَعَبُهَا بِلاَ أَسَفٍ.
١٧ لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْسَاهَا الْحِكْمَةَ، وَلَمْ يَقْسِمْ لَهَا فَهْمًا.
١٨ عِنْدَمَا تُحْوِذُ نَفْسَهَا إِلَى الْعَلاَءِ، تَضْحَكُ عَلَى الْفَرَسِ وَعَلَى رَاكِبِهِ.

وها هو النعام يفتقر إلى الغريزة التي تجعله يصون بيضه، وحين ترفع رأسها لأعلى وتبسط جناحيها لتجري، تتفوق على الفرس (ينفي هذا ما يشاع عن بيض النعام).

١٩ هَلْ أَنْتَ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ وَتَكْسُو عُنُقَهُ عُرْفًا؟ ٢٠ أَتُوثِبُهُ كَجَرَادَةٍ؟ نَفْخُ مِنْخَرِهِ مُرْعِبٌ.
٢١ يَبْحَثُ فِي الْوَادِي وَيَنْفِزُ بِبَأْسٍ. يَخْرُجُ لِلِقَاءِ الأَسْلِحَةِ. ٢٢ يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ وَلاَ يَرْتَاعُ، وَلاَ يَرْجِعُ عَنِ السَّيْفِ. ٢٣ عَلَيْهِ تَصِلُّ السِّهَامُ وَسِنَانُ الرُّمْحِ وَالْمِزْرَاقِ.
٢٤ فِي وَثْبِهِ وَرُجْزِهِ يَلْتَهِمُ الأَرْضَ، وَلاَ يُؤْمِنُ أَنَّهُ صَوْتُ الْبُوقِ.
٢٥ عِنْدَ نَفْخِ الْبُوقِ يَقُولُ: هَهْ! وَمِنْ بَعِيدٍ يَسْتَرْوِحُ الْقِتَالَ صِيَاحَ الْقُوَّادِ وَالْهُتَافَ.
بينما الحصان يتقد بالقوة والشجاعة ولا يبالي بالقتال، ولا ينتظر البوق للإنطلاق، بل يتوثب للحرب. (شجاعة الخيل موضوع محبب للشعراء والفنانين في كل عصر).

٢٦ أَمِنْ فَهْمِكَ يَسْتَقِلُّ الْعُقَابُ وَيَنْشُرُ جَنَاحَيْهِ نَحْوَ الْجَنُوبِ؟
٢٧ أَوْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ النَّسْرُ وَيُعَلِّي وَكْرَهُ؟
٢٨ يَسْكُنُ الصَّخْرَ وَيَبِيتُ عَلَى سِنِّ الصَّخْرِ وَالْمَعْقَلِ.
٢٩ مِنْ هُنَاكَ يَتَحَسَّسُ قُوتَهُ. تُبْصِرُهُ عَيْنَاهُ مِنْ بَعِيدٍ.
٣٠ فِرَاخُهُ تَحْسُو الدَّمَ، وَحَيْثُمَا تَكُنِ الْقَتْلَى فَهُنَاكَ هُوَ».

هل أنت يا أيوب دبرت غريزة النسور فتسكن في قمم الجبال وأعطيتها البصر الحاد لتصل إلى طعامها، وجعلتها تأكل الجثث والدم، فتنظف الأرض من الجيف.
تتنوع خصائص الحيوان: بعضها وهبه الله الغريزة ليحرس بيضته كاليمام، ومنها ما يهمل بيضته كالنعام. منها ما يعيش في تجمعات مثل الطيور، ومنها ما يعيش مستقلاً كالأسد. منها ما يستأنس ليخدم الإنسان مثل ماشية الحقل، ومنها ما يستحيل ترويضه كالثور الوحشي. منها ما يفزع لأقل خطر مثل الأرنب، ومنها ما لا يهاب الخطر مثل الخيل. منها من يهرب من برد الشتاء بالكمون مثل الدب، ومنها ما يهاجر إلى الجنوب مثل العصافير. **وكلها يدبر الرب قوتها وحياتها** بما وضعه فيها من غرائز.

الأصحاح الأربعون

١ فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ فَقَالَ: ٢ هَلْ يُخَاصِمُ الْقَدِيرَ مُوَبِّخُهُ، أَمِ الْمُحَاجُّ اللهَ يُجَاوِبُهُ؟».
هل من يجادل الله يسلم بالأمر، أم من يوبخ الله يجيب على أسئلته؟
٣ فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ وَقَالَ: ٤ هَا أَنَا حَقِيرٌ، فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ؟ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي.
٥ مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فَلاَ أُجِيبُ، وَمَرَّتَيْنِ فَلاَ أَزِيدُ».

أيوب: أنا حقير فبم أجيب عليك، لقد لغوت كثيراً، ويكفي ما قلته. **أيوب يصمت.** إن أيوب يكتشف تدريجياً مكانه ومكانته في الكون (حقيرٌ أنا = لا قيمة لي). لقد أدرك جسامة خطأه بإصداره أحكاماً ضد الله الذي خلق الكون وضبطه بإحكام. **لقد اصطحبه الله في سياحة تأملية في الكون فتضاءلت أهمية معضلته الشخصية،** ولا يجد ما يعبر به عن إحساسه بالذنب، لكن يظهر لنا بوضوح في كلامه:... فماذا أجاوبك؟ **ورغم أن أيوب لم يعرف بعد أسباب معاناته، إلا أنه لم يعد في المزاج الذي يمكنه من الاستمرار في الإدعاء ببراءته،** ومطالبته لله بأن يرد له ما سلبه منه!.

إن إيمان أيوب يمر بمرحلة من التطهر، وينتقل تدريجياً من الثقة الراسخة بالنفس، إلى حالة جديدة من التوحيد الفعلي («التوحيد» لا يعني رفض عقيدة الثالوث، بل يعني تسليم الحياة بكاملها لله، وإعطاء الأولوية المطلقة له في كل قرار أو موقف).

انتقل أيوب من تمركزه حول ذاته إلى رؤية جديدة للحياة تتمركز حول الله. **لكنه ليس مستعداً بعد للتوبة، ولم يستوعب تماماً تأثير المواجهة مع الله، فيصمت: «وضعت يدي على فمي».**إن النص باسلوب بديع يعرفنا **أن الاتضاع لا يصل بسهولة إلى شخص في مكانة أيوب** (ص ٢٩ و ٣١)، فندرك ضرورة أن يحدثه الله مرة ثانية.

الحديث الثاني للرب

(٤٠: ٦ ـ ٤٢: ٦)

يرى بعض الباحثين أن حديث الرب عن المخلوقات الجبارة (بهيموث ولوياثان) امتداد لاستعراض الله لقدرته في الخليقة الحيوانية وأن مكانه الأصلي في نهاية ص ٣٩، بينما الاعتراف الثاني لأيوب مكانه الأصلي، يتلو اعترافه الأول في (٤٠: ٣–٥)، لكننا نفضل الترتيب الحالي للسفر لعدة أسباب:

١– أن هدف الرب لم يتحقق بإذعان أيوب، فالإذعان لا يعني التوبة.

٢– أن الحديث عن «بهيموث» يقدم تأملاً جديداً عن قدرة الله وعمله في الكون.

٣– **صحيح أن اعتراف أيوب الثاني (٤٢: ١–٦) يتكامل مع اعترافه الأول، لكن يصعب صدوره فوراً، بل يحتاج إلى أن ينضج ببطء،** وهو ما لا يتيسر حدوثه دون عظة ثانية من الرب، وبفاعلية هذه العظة يصل أيوب إلى موقف التوبة، **ففي المرة الأولى نرى رد فعل أيوب متسماً بالسلبية.**

إن تقسيم اعتراف أيوب إلى مرحلتين أمر منطقي جداً، لأنه يتناسب مع نيران العذاب ومتاهة الحيرة التي عاشها طوال تجربته، كما يوضح لنا طبيعة التوبة، التي لا تعني مجرد الموقف السلبي بالصمت، بل تعني التعرف الإيجابي على إرادة الله، فالتوبة ليست مجرد إقرار بالخطأ أو الامتناع عنه، بل إلتزام بإرادة الله وتكريس لخدمته.

٦ فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ فَقَالَ:
٧ «الآنَ شُدَّ حَقْوَيْكَ كَرَجُل. أَسْأَلُكَ فَتُعْلِمُني. (بداية مشابهة للمواجهة الأولى)
٨ لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي، تَسْتَذْنِبُني لِكَيْ تَتَبَرَّرَ أَنْتَ؟

إن الأسئلة التالية تتغلغل في قَلب القضية، فليست المسألة هي معاناة الأبرار أو رخاء الأشرار، بل هي السعي نحو فهم الديانة النقية والتعرف على طريق البر. والحق أن أيوب في كلامه، لم يكتفِ بتأكيد براءته، بل إنه أنكر بر الله (٩: ٢٢). إن الله لا يحتاج إلى شهادة أيوب ليبرهن على بره، لذا يوجه إليه سؤالاً قوياً، ينقل الحوار من الجدل العقلي إلى الواقع الملموس، **وليحرك أيوب من حيرة ذهنية إلى هزة روحية:**

٨ لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي، تَسْتَذْنِبُني لِكَيْ تَتَبَرَّرَ أَنْتَ؟»

هنا تصل الدراما العقائدية إلى قمتها. إن أيوب، مثال الفضيلة ونموذج الأخلاق، ينتظر من الله أن يرد إليه اعتباره، أمام نفسه وأمام الناس، فكان أمامه أن يختار:

١- إما أن يقر بأن الله لم يخطئ بشئ في حقه، فيصبح أيوب مذنباً.

٢- وإما أن يعلن أن الله مخطئ ليحتفظ ببره الشخصي أمام نفسه وأمام الناس.

لكن النص يكشف صراحة خطأ أيوب، وهي ليست خطيئة ضد بشر مثله، بل موجهة إلى أعلى، **فالمخلوق يتجاسر على محاكمة خالقه بل وعلى إدانة هذا الخالق.**

ترى ما هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع أيوب؟

إن الله يحل المشكلة. فهو مستعد لتقبل النقد، ولكن ممن يساويه في القدرة. إن أسئلة الرب التالية، وإن شابها لمحة من الحزن، إلا أنها تنضح بالمحبة والتعاطف مع أيوب.

عرض مذهل واتضاع محير!

٩ هَلْ لَكَ ذِرَاعٌ كَمَا لِلهِ، وَبِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِهِ تُرْعِدُ؟
١٠ تَزَيَّنِ الآنَ بِالْجَلاَلِ وَالْعِزِّ، وَالْبَسِ الْمَجْدَ وَالْبَهَاءَ.

١١ فَرِّقْ فَيْضَ غَضَبِكَ، وَانْظُرْ كُلَّ مُتَعَظِّمٍ وَاخْفِضْهُ.
١٢ انْظُرْ إِلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَذَلِّلْهُ، وَدُسِ الأَشْرَارَ فِي مَكَانِهِمِ.
١٣ اطْمِرْهُمْ فِي التُّرَابِ مَعًا، وَاحْبِسْ وُجُوهَهُمْ فِي الظَّلاَمِ.
١٤ فَأَنَا أَيْضًا أَحْمَدُكَ لأَنَّ يَمِينَكَ تُخَلِّصُكَ.

الآن الدعوة موجهة إلى ايوب أن يتسربل بالمجد، ويرتقي إلى عرش الكون، ويمسك بمقاليد الحكم! ويستخدم قوته لينفث عن غضبه، ويهلك الأشرار، فيكتسب الخبرة التي تمكنه من إصدار الأحكام السليمة على الدنيا ومن فيها. فبوجوده على العرش، فرضاً، سيكتشف التعقيد المذهل والتعدد اللانهائي لأوجه الاهتمام التي يوليها الله عنايته، ورغم هذا يعتني بكل فرد. إن استطاع أيوب أن يحقق هذا! فإنه الله سيكون ممتناً له! فقد انتصر بيده. **إن الله يعرض على أيوب أن يحل محله! فعليه أن يجرد سيف الحق ويغرق الأشرار في دمائهم، ويحقق العدل بإفراغ الأرض من البشر!!**

الخلاصة: عندما تريد أن تواجه الله، اعلم أن المواجهة لا تكون إلا بين أكفاء، فإن استطعت يا ابني أيوب أن تدير الكون، تعال وحاسبني. إن أيوب لا ينطق! فهذه الكلمات لا تثير الدهشة فحسب بل تبعث في النفس إجلالاً عميقاً للقدوس المتضع.

١٥هُوَذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقَرِ.

بأسلوب لطيف يقول الرب لأيوب: **أنت خليقتي مثل بهيموث تماماً!** ثم يستفيض في وصف مظاهر القوة والجبروت التي لهذا البهيموث:

١٦ هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنَيْهِ، وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ.
١٧ يَخْفِضُ ذَنَبَهُ كَأَرْزَةٍ. عُرُوقُ فَخِذَيْهِ مَضْفُورَةٌ. (ذيله مثل شجرة الأرز)
١٨ عِظَامُهُ أَنَابِيبُ نُحَاسٍ، جِرْمُهَا حَدِيدٌ مَمْطُولٌ. (نخاع عظامه مثل حديد مطروق)
١٩ هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللهِ. الَّذِي صَنَعَهُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ.
٢٠ لأَنَّ الْجِبَالَ تُخْرِجُ لَهُ مَرْعًى، وَجَمِيعَ وُحُوشِ الْبَرِّ تَلْعَبُ هُنَاكَ.
٢١ تَحْتَ السِّدْرَاتِ يَضْطَجِعُ فِي سِتْرِ الْقَصَبِ وَالْغَمِقَةِ.
٢٢ تُظَلِّلُهُ السِّدْرَاتُ بِظِلِّهَا. يُحِيطُ بِهِ صَفْصَافُ السَّوَاقِي. (السدرة = شجرة النبق)
٢٣ هُوَذَا النَّهْرُ يَفِيضُ فَلاَ يَفِرُّ هُوَ. يَطْمَئِنُّ وَلَوِ انْدَفَقَ الأُرْدُنُّ فِي فَمِهِ.

٢٤ هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ؟ هَلْ يُثْقَبُ أَنْفُهُ بِخِزَامَةٍ؟

يستأنف الرب كلامه بالحديث عن «بهيموث» ويصفه كمخلوق فائق القوة، له صفات أسطورية، لعله يتحدث بأسلوب شعري عن جبروت الطبيعة بصفة عامة، أو يشير إلى الديناصورات التي خلقها الله (تك ١: ٢١) حتى هذه الكائنات الجبارة تخضع لقدرته.

الأصحاح الحادي والأربعون

١ «أَتَصْطَادُ لَوِيَاثَانَ بِشِصٍّ، أَوْ تَضْغَطُ لِسَانَهُ بِحَبْلٍ؟

٢ أَتَضَعُ أَسَلَةً فِي خَطْمِهِ، أَمْ تَثْقُبُ فَكَّهُ بِخِزَامَةٍ؟ (أسَلَة = حلقة، خزامة = صنارة)

٣ أَيُكْثِرُ التَّضَرُّعَاتِ إِلَيْكَ، أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللِّينِ؟

٤ هَلْ يَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا فَتَتَّخِذَهُ عَبْدًا مُؤَبَّدًا؟ (أيمكنك استئناسه أو التعامل معه)

٥ أَتَلْعَبُ مَعَهُ كَالْعُصْفُورِ، أَوْ تَرْبِطُهُ لأَجْلِ فَتَيَاتِكَ؟

٦ هَلْ تَحْفِرُ جَمَاعَةُ الصَّيَّادِينَ لأَجْلِهِ حُفْرَةً، أَوْ يَقْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكَنْعَانِيِّينَ؟

٧ أَتَمْلأُ جِلْدَهُ حِرَابًا وَرَأْسَهُ بِإِلاَلِ السَّمَكِ؟(إلال = رؤوس الحراب المستخدمة في الصيد)

٨ ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ. لاَ تَعُدْ تَذْكُرُ الْقِتَالَ!

٩ هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ. أَلاَ يُكَبُّ أَيْضًا بِرُؤْيَتِهِ؟ (يُكَب = يسقط)

١٠ لَيْسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ

يريد الرب أن يوضح أن هذا الكائن «لوياثان» يستحيل على الإنسان السيطرة عليه أو إخضاعه، فلا أمل في صيده، بل إن مجرد رؤيته قد تفقد الإنسان وعيه، ولو تهور أحدهم ولمسه، يكون هذا آخر عهده بالحياة! ولو نام من يتجاسر على إيقاظه.

يستمر الحديث عن مخلوق جبار آخر هو «لوياثان» ويفصِّل الرب سمات القوة التي لا تبارى لدى لوياثان، وهذا أيضاً يخضع أمام قدرة الله. لنصل إلى النتيجة الحتمية:

١٠ ب ... ، فَمَنْ يَقِفُ إِذًا بِوَجْهِي؟

١١ مَنْ تَقَدَّمَنِي فَأُوفِيَهُ؟ مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي. (تقدمني = قدم لي شيئاً)

من يستطيع أن يواجه الله، ومن قدم لي هدية أو أقرضني شيئاً لأوفي ديوني. **إن الله غير مدين لأيوب أو غيره بشئ، ولا أيوب يملك أن يقدم له شيئاً، فكم وكم أن يطالبه بأشياء. إن لسان أيوب الذرب ما زال معقوداً!** فيستأنف الرب وصفه للجبار «لوياثان»:

١٢ «لاَ أَسْكُتُ عَنْ أَعْضَائِهِ، وَخَبَرِ قُوَّتِهِ وَبَهْجَةِ عُدَّتِهِ.
١٣ مَنْ يَكْشِفُ وَجْهَ لِبْسِهِ، وَمَنْ يَدْنُو مِنْ مَثْنَى لَجَمَتِهِ؟
١٤ مَنْ يَفْتَحُ مِصْرَاعَيْ فَمِهِ؟ دَائِرَةُ أَسْنَانِهِ مُرْعِبَةٌ.
١٥ فَخْرُهُ مَجَانٌّ مَانِعَةٌ مُحَكَّمَةٌ مَضْغُوطَةٌ بِخَاتِمٍ. (مَجَان = دروع)
١٦ الْوَاحِدُ يَمَسُّ الآخَرَ، فَالرِّيحُ لاَ تَدْخُلُ بَيْنَهَا. (مثل حراشف السمك الضخم)
١٧ كُلٌّ مِنْهَا مُلْتَصِقٌ بِصَاحِبِهِ، مُتَلَكِّدَةً لاَ تَنْفَصِلُ.

يثير الوصف مزيجاً من الرهبة والإعجاب! ولعل النص يشير إلى التمساح.

١٨ عِطَاسُهُ يَبْعَثُ نُورًا، وَعَيْنَاهُ كَهُدُبِ الصُّبْحِ.
١٩ مِنْ فَمِهِ تَخْرُجُ مَصَابِيحُ. شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ.
٢٠ مِنْ مِنْخَرَيْهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ كَأَنَّهُ مِنْ قِدْرٍ مَنْفُوخٍ أَوْ مِنْ مِرْجَلٍ.
٢١ نَفَسُهُ يُشْعِلُ جَمْرًا، وَلَهِيبٌ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ.

من الواضح أن هذه الأبيات لاينبغي أن تفهم بشكل حرفي، وإلا قد نتخيل أنه في وقت ما عاش على الأرض الكائن الخرافي المسمى بالتنين، بل في إطار التعبير الشعري كما نجد في أماكن كثيرة. (وكل شجر الحقل يصفق بالأيادي– أش ٥٥: ١٢).

٢٢ فِي عُنُقِهِ تَبِيتُ الْقُوَّةُ، وَأَمَامَهُ يَدُوسُ الْهَوْلُ.
٢٣ مَطَاوِي لَحْمِهِ مُتَلاَصِقَةٌ مَسْبُوكَةٌ عَلَيْهِ لاَ تَتَحَرَّكُ.
٢٤ قَلْبُهُ صُلْبٌ كَالْحَجَرِ، وَقَاسٍ كَالرَّحَى.
٢٥ عِنْدَ نُهُوضِهِ تَفْزَعُ الأَقْوِيَاءُ. مِنَ الْمَخَاوِفِ يَتِيهُونَ.
٢٦ سَيْفُ الَّذِي يَلْحَقُهُ لاَ يَقُومُ، وَلاَ رُمْحٌ وَلاَ مِزْرَاقٌ وَلاَ دِرْعٌ. (المزراق = الرمح الطويل)
٢٧ يَحْسِبُ الْحَدِيدَ كَالتِّبْنِ، وَالنُّحَاسَ كَالْعُودِ النَّخِرِ.
٢٨ لاَ يَسْتَفِزُّهُ نُبْلُ الْقَوْسِ. حِجَارَةُ الْمِقْلاَعِ تَرْجِعُ عَنْهُ كَالْقَشِّ.
٢٩ يَحْسِبُ الْمِقْمَعَةَ كَقَشٍّ، وَيَضْحَكُ عَلَى اهْتِزَازِ الرُّمْحِ. (المقمعة = الهراوة أو المطرقة)
٣٠ تَحْتَهُ قُطَعُ خَزَفٍ حَادَّةٌ. يُمَدِّدُ نَوْرَجًا عَلَى الطِّينِ.
٣١ يَجْعَلُ الْعُمْقَ يَغْلِي كَالْقِدْرِ، وَيَجْعَلُ الْبَحْرَ كَقِدْرِ عِطَارَةٍ.
٣٢ يُضِيءُ السَّبِيلُ وَرَاءَهُ فَيُحْسَبُ اللُّجُّ أَشْيَبَ. (الزبد عندما يغوص جسم ضخم)

وفي بطنه حراشف يشبهها بقطع الخزف الحادة، والفقاقيع التي تنتج من مروره في الماء تشبه الغليان. وعندما يغوص ينفلق الماء وراءه (كل هذا ينطبق على التماسيح).

٣٣ لَيْسَ لَهُ فِي الأَرْضِ نَظِيرٌ. صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ.
٣٤ يُشْرِفُ عَلَى كُلِّ مُتَعَالٍ. هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ».

لابد للقارئ أن يتساءل: لماذا يطيل الرب الحديث عن بهيموث ولوياثان؟

١- هل ليدخل في روع أيوب أن قدرة الله التي صنعت هذه المردة أكبر من أي تحدي

٢- هل ليعطي أيوب الوقت ليهدأ ويتأمل في عجائب خليقة الله.

٣- هل ليعلم أيوب درساً في طول الأناة، الله يطنب، وأيوب لا يتجاسر على فتح فاه.

لا أملك الجزم بشئ ولعل الإجابة تكون مزيجاً من كل هذه معاً!

الأصحاح الثاني والأربعون

توبة أيوب:

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ فَقَالَ: ٢ «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ.
٣ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ؟ وَلِكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا.
٤ اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي.

يقر أيوب أخيراً بقدرة الله غير المحدودة، ثم يقتبس من كلمات الرب، مصدقاً على مغزاها: «من يُظَلِّم القضاء بلا معرفة». **إن كلامه في ع ٣ يبدو وكأنه تفكير بصوت عالٍ، فبعد أن وضع الله أمامه هذا الكم الهائل من حقائق الحياة، ها هو أيوب يمهد للاعتراف والتوبة،** فقد ميز بوضوح أن الله لا يدير العالم بأسلوب عشوائي.

٥ بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي.

لعل هذا هو الدرس الأعظم في السفر بأكمله. فعلى امتداد الحوار الطويل الذي شارك فيه أيوب وأليهو والأصدقاء الثلاث، نراهم **جميعاً** منطلقين من اللاهوت التقليدي الشائع بين الناس عن الله، والذي ينتقل إلى الناس **بطريقة سماعية «بسمع الأذن»**، لكن الآن يقترب أيوب من لحظة الحقيقة، فمعرفته بالله تصبح **معرفة اختبارية «رأتك عيني»:**

صحيح أن ايوب كان واعياً بالتواصل مع الله، لكن ثقته بعمل الله كانت مشوهةً بسبب ما رآه قَدَراً ظالماً حل به. فانهمك يبحث عن صيغة تثبت براءته وفي نفس الوقت لا تمس

عدل الله، إن بحثه المحموم هذا قاده إلى دروب للفكر سيسلكها فيما بعد كل ساعٍ جادٍ في طريق الإيمان (٩: ٣٣، ١٦: ١٩، ١٩: ٢٥-٢٦). وبينما أيوب يسعى في هذه الدروب يرتطم بعوائق عديدة، **لأن الله الذي سمع عنه كان صورة انتجها الإنسان، وإنعكاس للمفهوم الإنساني القاصر عن العدل وعن العبادة.** لقد كانت معرفة أيوب بالله قائمة على «**سمع الأذن**» من تراث وروايات القدماء، لقد كانت عقيدته موروثة، انتقلت من يد إلى يد حتى وصلت إلى جيله شبه مستهلكة!

إن اللاهوت المدرسي قد يكون كافياً في أوقات الرخاء، لكنه لن يصمد ولن يقدم شفاءً في أوقات الضيق والعوز والعذاب، وعندما ينفض الناس من حولنا.

الآن، **وفي مواجهة مباشرة مع الله**، تتعاظم معرفته من مصدر ليس له مثيل، من الله ذاته. **ولا يجد أيوب وسيلة للتعبير عن هذا الاكتشاف الحميم لجوهر علاقة الله مع الإنسان سوى أن يقول «والآن رأتك عيني»... لقد أصبح الحكيم نبياً**، ومثل كل من رأوا القدوس من الأنبياء والأبرار، **ما أن يواجه الله بشكل أو بآخر، حتى يستشعر ضآلة شأنه وهول تعدياته،** فيرفض نفسه ويسقط تائباً أمام العظمة. «ويل لي لأني هلكت، لأني إنسان نجس... لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود – أش ٦: ٥»

٦ لِذلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ. (أرفض = أرذل ، أندم = أتوب)

أخيراً أدرك الشيخ الفَخور مدى خطيته، ووجد القدرة على الاعتراف بها. إن محدودية المخلوق تتسحق أمام لانهائية الخالق، **وتتأكد المعرفة السليمة لله على أنها الثقل المرجح لمصير الإنسان على حد الميزان المعلق بين الوجود والعدم.** لذا يرفض نفسه ويتوب. **ولكن عن أي شئ يتوب؟ هل يتوب عن آثام لم يرتكبها؟ أم يتوب عن جريمته عندما أدان الله؟**

لقد انتظر أيوب مطلبين من الله:

١- **أن يتلقى حكماً بالبراءة** تعطش للحصول عليه،

٢- **وأن يتأكد من رضا السماء** معلناً من فم من يملك تبريره.

لكن أيوب لم يعد محتاجاً لأيهما، ليس لأنه تأكد من سلامة موقفه، أو من بره الشخصي، فما حدث هو العكس تماماً! إنما لأنه **أصبح واثقاً من عناية الله به، واستعداده لتفهم**

ضعفه البشري. وها نحن نرى موقفاً سيتكرر في الكتاب المقدس: **إن وعي الإنسان بخطيته يتصاعد في وقت خلاصه** (مثل المرأة السامرية. يو ٤: ٤-٣٠ ، وزكا رئيس العشارين. لو ١٩: ١-١٠).

حساب الأصدقاء

٧ وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهذَا الْكَلاَمِ، أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لأَلِيفَازَ التَّيْمَانِيِّ: «قَدِ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلاَ صَاحِبَيْكَ، لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ.
٨ وَالآنَ فَخُذُوا لأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَاذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ، وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ، لأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِئَلاَّ أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حَمَاقَتِكُمْ، لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ».
٩ فَذَهَبَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَبِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ، وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ.

أنظروا إلى لطف الله! يتحدث مع أليفاز ولا يشير إلى توبة أيوب ولعله اعتبرها مسألة خاصة (مثل سر الاعتراف). إننا نرى الله غاضباً على الأصدقاء، صحيح أنهم لم يكونوا مخطئين تماماً في كلامهم عن الله، **لكنهم اتهموا أيوب إتهامات بلا سند**، فضلاً عن غياب محبتهم «لصديقهم»، **أما أليهو فنفهم ضمناً أن الله راضٍ عن موقفه.**

«**لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ**» **ولكن ما هو الصواب الذي قاله أيوب؟**

لقد قرأنا معاً كلام أيوب وأغلبه هجوم على الله. ففيم كان مصيباً إذن؟

ربما لأنه كان صادقاً في التعبير عن مكنون نفسه، وكان شجاعاً في إعلان أفكاره ومشاعره، بينما نافق الأصدقاء الله على حساب أيوب، لكن الله لا ينخدع ولا يسعد بهذا النفاق؛ أن الله لا يحتاج إلى محامين!

يطلب الرب من الأصدقاء تقديم ذبائح، وأن يتشفع أيوب لهم. إن الله يرد اعتبار أيوب كاملاً، ويطلب ذلك بقوة «**لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم**»، وهكذا:

رد اعتبار أيوب:

٩ ب ... وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ.
١٠ وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لأَجْلِ أَصْحَابِهِ، وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ ضِعْفًا.
١١ فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ، وَرَثَوْا لَهُ وَعَزَّوْهُ عَنْ كُلِّ الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيطَةً وَاحِدَةً، وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ.
١٢ وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أُولاَهُ. وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْغَنَمِ، وَسِتَّةُ آلاَفٍ مِنَ الإِبِلِ، وَأَلْفُ فَدَّانٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَأَلْفُ أَتَانٍ.
١٣ وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ.
١٤ وَسَمَّى اسْمَ الأُولَى يَمِيمَةَ، وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعَةَ، وَاسْمَ الثَّالِثَةِ قَرْنَ هَفُّوكَ.
١٥ وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلاَتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الأَرْضِ، وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ.
١٦ وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَال.
١٧ ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ الأَيَّامِ.

بعد أن يرد الرب كرامة أيوب أمام الناس، يعكس اتجاه التعامل معه، **فيرد إليه ما فقده بزيادة.** ولأول مرة نرى أخوته يجلسون للأكل معه بعد أن كانوا لا يطيقون رائحته، وعزوه عما أصابه من شر (في مفهوم الناس)، وقدموا له هدايا رمزية (قسيطة = ثمن نعجة) تعبيراً عن الصداقة والتقدير. نلاحظ أن الرب ضاعف لأيوب ممتلكاته لكنه لم يضاعف عدد أبنائه وبناته، فمن ناحية هم أحياء في الآخرة، ومن ناحية أخرى لا يوجد من يعوض فقدان الأبناء. **ويبدو الكاتب منحازاً للمرأة** حتى أنه يذكر بنات أيوب بالاسم، ويشيد بجمالهن، وأنهن نلن نصيباً في ميراث أبيهن.

ويموت أيوب بعد أن وهبه الرب أن يرى نسله إلى الجيل الرابع كما وهب كثيرين قبله من قديسي العهد القديم.

كان أيوب متمركزاً حول ذاته، منغمساً في الإشفاق على نفسه. لكنه حين ضاعت ممتلكاته، حين تبددت ثروته، حين فقد مكانته، حين هرب منه أفراد أسرته، حين خسر محبة أصدقاءه، وفقد احترام مجتمعه، وفوق هذا حين تنازل عن دعواه بالبراءة، تطهر تماماً وتكرس كلياً للرب وترك نفسه بين يديه، وقتها فقط يتلقى العطية الثمينة، ليس التعويض عما فقده مادياً أو أدبياً، بل الدخول في شركة الحب والمعرفة الحقيقية الغنية للرب. لقد كان على أيوب أن يبيع كل شئ حتى يستطيع أن يشتري اللؤلؤة كثيرة الثمن. أما نحن فترك لنا درساً لا ينسى عبر الأجيال.

ممدوح شفيق

ليلة عيد الميلاد المجيد – يناير ٢٠١٣

ملحق: ملخص سفر أيوب

ص١: يصف تقوى أيوب وحالته الإجتماعية والمادية وبدء التجربة التي سمح بها الرب بطلب من الشيطان. أيوب يفقد ممتلكاته وأبنائه وبناته في يوم واحد لكنه يذعن للرب.

ص٢: التجربة تمتد إلى صحة أيوب فيصاب بمرض جلدي مقزز، يرفض كلام إمرأته ويقول أنه يقبل أي شئ من عند الرب. أصدقاء ثلاثة يحضرون لتعزيته ويجلسون صامتين.

ص٣: أيوب يطلب الموت لنفسه، ويتساءل ما معنى الحياة لو كانت كلها عذاباً.

ص٤و٥: أليفاز: ينصحه بالتماسك وأن الرب سيعوضه لأنه تقي، وليقبل حكم الله، ويتضع أمامه، ولا يرفض تأديب الرب، ويعدد البركات التي يعطيها الرب للأبرار

ص٦: أيوب يرجو تقدير عذابه، وينتقد توبيخهم. إن احتماله محدود، وهم يزيدون ألمه.

ص٧: أيوب يتوسل إلى الله ليتفهم ضيقه، ثم يعاتبه على قسوة التجربة، ويحتار ما ذنبي؟

ص٨: بلدد: أبناؤك ماتوا لأنهم أشرار! فتعلم الدرس وسوف يحسن الله آخرتك.

ص٩و١٠: أيوب يتهم الله بأنه يضربه بلا سبب، ويصف قدرته المطلقة، فلا أحد يحاسبه! ويطلب وسيطاً بينه وبين الله ليحاكمه، وهو واثق من براءته. يتهم الله صراحة بأنه يظلمه!

ص١١: صوفر يهاجم أيوب بحدة، ثم ينصحه بالتوبة عن آثامه ليرفع الله التجربة عنه!

ص١٢: أيوب يستنكر تجريح أصدقائه، وكم من شرير يسعد في الدنيا ويتهم الله بالتعسف!

ص١٣: أيوب: أنتم تنافقون الله. يكرر طلبه بمحاكمة عادلة أمام الله بشرط ألا يخيفه.

ص١٤: أيوب: الإنسان فاني وأيامه محدودة وبلا رجاء بعد الموت، فلم يضيق الله عليه؟

ص١٥: أليفاز: أنت محتال أثيم، فكل بشر خطَّاء. ويفيض في وصف مصير الأشرار.

ص١٦: أيوب: الله ظلمني بشدة رغم أني برئ، وأصدقائي يسخرون مني!

ص١٧: يصف أحزانه، ويشكو أن لا أحد يسانده، ويطلب من الله المعونة! ثم يتمنى الموت

ص١٨: بلدد يتوسع في وصف مصير الأشرار وواضح أنه يعتبر أيوب ضمنهم.

ص١٩: أيوب: كفى تعذيباً. الله يعاديني، والناس لا يطيقونني. سجلوا مأساتي للأجيال القادمة، لكنني أثق أن حقي لن يضيع في السماء.

ص٢٠: صوفر: يتفنن في شرح عذاب الشرير، وأنه مهما اغتصب في الدنيا فلن ينال شيئاً

ص٢١: أيوب يتساءل: لماذا يزدهر الأشرار ثم يعاقبهم الله في النهاية، بينما يقاسي الأبرار

ص٢٢: أليفاز يدين أيوب ويتهمه بآثام كثيرة، وأن الله يعاقبه بأقل من ذنوبه!

ص٢٣: أيوب: لو أقابل الله فأعرف منه لماذا يخاصمني، مع علمه أنني برئ؟

ص٢٤: رغم أن الأشرار يعرفون أحكام الله، يستمرون في استغلال المساكين والله لا يبالي

ص٢٥: بلدد لا يضيف جديداً، ويؤكد على أنه لا إنسان يمكن أن يتبرر أمام الله.

ص٢٦: أيوب يلوم بلدد. ثم يتحدث عن أن ما نعلمه عن الله قليل جداً.

ص٢٧: أيوب: الله أنكر حقي ومرر حياتي وأنا متمسك ببري. لكني لا أبرر أصدقائي.
ص٢٨ : الإنسان يستميت للحصول على الثروة ولا يطلب الحكمة رغم أنها أثمن بكثير. وهي مخافة الرب والابتعاد عن الشر، وهي هبة من الله وليس سواه.
ص٢٩ : أيوب يستعيد ذكريات السعادة والغني والرب يعتني به ويباركه.
ص٣٠ : أيوب يعدد ما فقده من مكانة اجتماعية وما يعانيه من آلام جسدية لا تهدأ.
ص٣١ : أيوب يقدم صورة عن نقاوة ضميره فخورا ببره، مستعداً للحساب الآن.
ص٣٢ : أليهو يتدخل: يشرح سبب غضبه، وتدخله ويوبخ الأصدقاء لفشلهم في إقناع أيوب
ص٣٣ : أليهو يفند حجج أيوب: إن الله لا يصمت : ينبه الإنسان ليستقيم، يطهر بالألم، يتحدث عن اهتمام الله بتوجيه الإنسان، بل وهناك من يتشفع عن البشر أمام الله
ص٣٤ : أليهو يستنكر بشدة قول أيوب: أنه لا نفع في أن يكسب الإنسان رضا الله. قدرة الله الفائقة يستخدمها لخير الناس. الله يراقب كل شئ ليعتني به. تمردك مرفوض يا أيوب.
ص٣٥ : أليهو يفند قول أيوب أن الله لا يضار بخطية الإنسان ولا ينتفع ببره، ويقترح التسبيح كعلاج لآلام المحنة. إن الله يستجيب للمتضعين الصابرين وليس للمتكبرين.
ص٣٦ : الله لا يرفض أحداً ولا يجامل أحداً، وفي التجربة نعرف أكثر عن الله. أليهو يحذر أيوب: ألا يدفعه ضيقة إلى التجديف، ألا يطلب الموت لنفسه، وأن يتوقف عن نقد أحكام الله
ص٣٧ و٣٨: أليهو يرى يد الله الخيرة في الطبيعة، ولكن الله لا يهتم بالحكماء في أعين أنفسهم
ص٣٩ : الله بلطف يتجول بأيوب في الكون البديع ليريه الحكمة الفاعلة في تدبير الخليقة
ص٤٠ : أيوب يدرك خطأه فيصمت، والله يلومه لأن أيوب يستذنب الله ليبرر نفسه.
ص٤١ :الله قادر على كل شئ رسالة تصل إلى أيوب من شرح عجائب الكون.
ص٤٢ : أيوب يعلن توبته، ويعترف بتجاوزاته في حق الرب، بعد أن لمس عن قرب حكمة ومحبة وعناية الله بالكون الفسيح، وبكل إنسان أو خليقة.
الله يرد اعتبار أيوب أمام أصدقائه ويشترط أن يعتذروا لأيوب حتى يعفو عنهم، ويرد إليه ثروته مضاعفة، ويمنحه أبناءً وبنات. أيوب يسترد صحته وأسرته ومكانته بين الناس.

المراجع

أولاً: الكتاب المقدس: الترجمات العربية

١ـ **ترجمة فان دايك** (الشائعة في مصر) . دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. طبعة ١٩٨٣.

٢ـ **الترجمة العربية الحديثة**. جمعية الكتاب المقدس ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

٣ـ **ترجمة الآباء اليسوعيون** – طبعة ثالثة. جمعيات الكتاب المقدس في المشرق. بيروت ١٩٨٨

٤ـ **العهد القديم** – ترجمة بين السطور (عبري/عربي). الجامعة الأنطونية. بيروت. ٢٠٠٧

ثانياً: الكتاب المقدس : الترجمات الإنجليزية:

5- The Authorized King James Version.

6- The Revised Standard Version.13th Imp. 1977. British Bible Society.

7- The New International Version. 1973. International Bible Society.

8- The Good News Bible. 1979. Bible Societies. Pub. Zondervan.

9- The New English Bible. 2nd Edition 1971. Oxford University.

ثالثاً: المراجع العربية:

١٠ـ **دائرة المعارف الكتابية** – ٨ مجلدات – دار الثقافة المسيحية. القاهرة. (١٩٨٨–٢٠٠١)

١١– جيمس فريزر: **الفولكلور في العهد القديم** – الهيئة العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٦٨

١٢– د. س. شارلييه: **القراءة الصحيحة للكتاب المقدس** – المطبعة الكاثوليكية. بيروت. ١٩٩٤

رابعاً: المراجع الأجنبية:

المرجع الأساسي:

13- The Interpreter's Bible (vol 4)	**Abingdon**	**USA**

مراجع هامة:

14-The International Standard Bible Encyclopedia (4 vol)	**Eerdmans**	**USA**
15- Keil & Delitzsch: Commentary on the O.T (10 Vol)	**Eerdmans**	**USA**
16- Layman's Parallel Bible.	**Zondervan**	**USA**
17- Thompson: Chain Reference Bible	**Kirkbride**	**USA**
18- The Interpreter's Dictionary of the Bible. (5 vol)	**Abingdon**	**USA**
19- Gesenius: Hebrew – Chaldee Lexicon.	**Eerdmans**	**USA**
20- J. Strong: Exhaustive Bible Concordance	**Baker**	**USA**
21- R. Young: Analytical Bible Concordace	**Eerdmans**	**USA**
22- A. Cruden: Unabridged Concordance	**Baker**	**USA**

كتب صدرت للمؤلف

١. **تطبيقات عملية في خدمة الشباب** - ١٩٨٨ (نفد)
٢. **دراسة الكتاب المقدس في مجموعات صغيرة** - ١٩٨٩ (نفد)
٣. **كيف نواجه العصر** - الطبعة الأولى – ١٩٩١ (نفد)
٤. **سياحة في العهد القديم** - أسفار موسى الخمسة – الطبعة الأولى ١٩٩٧ (نفدت)
الطبعة الثانية ٢٠٠١ (نفدت)
٥. **تاريخ دير مارمينا العجائبي بفم الخليج** - ٢٠٠٣ (نفد) (وضع على موقع الكنيسة)
٦. **كيف نواجه العصر** - طبعة ثانية مزيدة – ٢٠٠٤ (نفد) (وضع على موقع الكنيسة)
٧. **سياحة في العهد القديم** - السبي والعودة – ٢٠٠٦ (نفد)
٨. **خبرات عملية في خدمة الشباب** - ٢٠٠٨ (نفد) (وضع نسخة على موقع الكنيسة)
٩. **الأيقونات القبطية في دير الشهيد مارمينا الأثري بفم الخليج** ٢٠٠٨
١٠. **حياة وتعليم السيد المسيح في ١٠٠ درس كتاب للشباب.** ج١ :من البشارة إلى التجلي– ٢٠١٠
١١. **سياحة في العهد القديم** (من البدء حتى العودة من السبي)،(مع سي دي للخرائط) – ٢٠١٠
١٢. **الكنيسة القبطية** في الأزمة والمصير – ٢٠١١
١٣. **الكنيسة القبطية الأرثوذكسية** رؤيا للمستقبل – ٢٠١٢
١٤. **اللّه والإنسان في سفر أيوب** - ٢٠١٣

كتب بالمشاركة مع كنائس وسط القاهرة. قام المؤلف بإعداد كل الأسئلة متعددة الإجابات:

١٥. مسابقات الكتاب المقدس – ج ١ – أسفار موسى الخمسة – ٢٠٠٠ (نفدت)
١٦. مسابقات الكتاب المقدس – ج ٢ – الأناجيل الأربعة – ٢٠٠١ (نفدت)
١٧. مسابقات الكتاب المقدس – ج ٣ – يشوع إلى صموئيل الثانى – ٢٠٠٢ (نفدت)
١٨. مسابقات الكتاب المقدس – ج ٤ – الأعمال إلى كورنثوس الأولى – ٢٠٠٥ (نفدت)

أصدرت أسقفية الشباب طبعة ثانية من كتب المسابقات في الكتاب المقدس.

استكمل المؤلف باقي أسفار الكتاب المقدس (عدا الأسفار الشعرية) ووضعت على موقع الكنيسة:

www.marmina-fumalkhalig.org

مجهود لتفسير الكتاب المقدس
يستفيد منه كل من يتابع هذا
الكتاب، إذ يحقق فهما أعمق
لهذا السفر الثمين ...
ونحن نشكر المؤلف على تعبه
وتكريس وقته لهذا البحث الغني

الأنبا متاؤس